

النسخة الأصححة حسب توجيهات لجنة المناقشة
١٤٠٢/٧١٤ هـ

التوقيع
منه

الاسم
د. محمد بن عبد
الرحمن بن
نعمان

الجمهورية العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا - فرع الرياض



الباب الثاني

في أدب الرافعي

بحث مقدم
لدرجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالبة
نجاحة محمد حيدر الماجد العباسي

إشراف الدكتور
محمد بن سعيد حجاب
الأستاذ بالكلية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تبين لى وأنا أطالع فى الكتب ، وأقرأ فى الاسلاميات لأدبائنا المعاصرين أن مصطفى صادق الرافعى هو بحق أديب الفكرة الاسلامية ، بما يحمله فى نفسه من عقيدة صادقة ، وايمان راسخ ، وثقافة واسعة ، وتبصير بأمور الدين نعم هو بحق أديب الفكرة الاسلامية ، بما حققه من أمجاد فى الدفاع عن الاسلام ، وفى حماية اللغة العربية ، وفى تمسكه بالجملة القرآنية التى كانت بمثابة نصال حادة يرسلها على أعداء الاسلام الذين يريدون النيل منه والتقليل من شأنه .

وقف الرافعى وقفة الشجاع فى ميدان القتال متصديا لكل التيارات المعادية للاسلام يصدها بالبراهين الساطعة والحجج القوية الدامغة :

ولايفوتنى وأنا اكتب هذه المقدمة ، أن أنوه بالجهود العظيمة التى اسداها تلميذه سعيد العريان الى العربيه وفى أعماله الجليلة التى أثمرت العربية بكتب ثلاث ، مؤلفه " حياة الرافعى " الذى هو يعتبر المرجع الأول - والأفضل لمن أراد أن يعرف التطورات المختلفة لحياة الرافعى وأدبه ، وكذلك بما جمع من جذاذات الجزء الثالث من " وحى القلم " وقد بذل أيضا جهودا كبيرة مكلفة بالتوفيق حينما جمع أيضا جذاذات الجزء الثالث من " تاريخ آداب العرب " ورتب فهارسه وهناك أيضا ثلاثة مؤلفات ، قد أوفته جزءا يسيرا من حقها على أدبها العربية ، ولكنها تحدثت فقط فى الجانب الدينى الا وهى :-

(١) مصطفى صادق الرافعى كاتباً عربياً ومفكراً اسلامياً - د . مصطفى الشكعة .

(٢) الجانب الاسلامى فى أدب مصطفى صادق الرافعى عبد الستار السطوحى

(٣) نحو أدب اسلامى معاصر . مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات

الاسلاميه فى أدبه د . على عبد الحليم محمود .

وقد استطاعت هذه المؤلفات أن تسلط الأضواء على الناحية الدينيه فى

أدبه كحقائق مقررّة او مستنبطه ذكرها من غير تحليل او تحليل كاف الى حد ما ،
 اما ما عدا ذلك فان حطة من الدراسة الأدبية قليل على ما هو عليه من المكانة
 الرفيعة ، ومع أنى أثرت أن يكون موضوع بحثى الجانب الدينى فى أدب الرافعى
 فلم أقف كما وقفوا عند حد ابرازه فى مؤلفاته ، بل تناولت أيضا عبارته الفنيّة
 التى أختارها فى الاداء والتعبير لأنها الوعاء الذى يحوى هذه الحجج الدالفة
 فهما مرتبطان لا ينفصمان .

((وبعد))

فقد كان طبيعيا أن استبعد من بحثى مؤلفاته الوجدانية كحديث القمر
 وأوراق الورد ان المقام دينى ، وهذا المقام لما قلت آثاره وجدت نفسى أمام
 واحة ممتلئة بالظلال التى يجد فيها المؤمن برد السكينة ، كما يجد أفاقا جديدة
 من المعرفة وهى لعمر الحق ضرورية لكل مؤمن صادق الايمان ، يريد أن يتزود -
 بثقافة اسلامية أدبية تشبع عاطفته الدينية ، تاركا كل ما يجانب الصواب فى الدعوة
 الى الجديد الذى يتعرض للمقدسات الاسلاميه ويحط من قدر اللغة العربية
 والاسلام لا يمنع التزود بالجديد البناء ، والبحث على التعلم والأخذ بالجديد
 فى تطوير الأدب العربى يزيده قوة وثروة ، ولكن معاذ الله أن يكون ذلك على
 حساب الدين أو اللغة العربيه ، وهذه هى نظرة الرافعى للجديد ، ولكن
 عندما رأى الجديد ينال من القرآن ولغته ، قام لمبيانها ضميره ودينه وأمه حاملا
 سلاحا فكريا ماضيا ، واجه به العدوان ودافع عن القرآن ولغته ، محافظا على
 تراثها ممن يريدون طمس معالمها بالافتراءات والصاق الضعف والانحطاط الذى
 أصاب المسلمين بالاسلام وما ذاك من الاسلام فى شىء ، فالاسلام بدأ قويا
 عزيزا وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وان كان هناك من لوم
 فانه يقع على بعض المسلمين الذين يتهاونون فى أمره وهذا التهاون كان سببا
 فى اصابتهم بالعجز والضعف أمام مغريات الحياة ومادياتها حتى صاروا غرباء
 غافلين عن سموه الروحى ، لانصرافهم عن جوهره وحقيقته ، ومن جهل أمرا عاداه .

وقد سخر الله الرافعي ليدرأ هذا الخطر الذي يهدد كيان الأمة الإسلامية الإسلامية التي كانت خير أمة ، ومن الممكن ان يعود لها دور القيادة ، ان تمسكت بايمانها العميق الذي يحرر وجدانها ما يعلق به من أدران العصر والأفكار الهدامة والغزو الفكري الذي اصبح يهدد حياة المسلمين ان مصطفى الرافعي نشأ في بيت له جذوره الدينية العميقة في العلم، مكنته من حمل اللواء ليرد على كل متصد للإسلام ، ويرفع راية الجهاد للذود عن حياضه ، في ثورة اجتهاد يهدهدائه ، تكمن في نفس تحمل في ثناياها قوة في العقيدة والخلق والفكر، ان ظلام العصر الذي عاش فيه الرافعي أثار غيرته الإسلامية ، فحمل قلمه ومضى الى غايته مدافعا به عن المقدسات الإسلامية ، التي آلى على نفسه حمايتها بكل ما أوتى من قوة .

وهكذا استطاع الرافعي أن يبني مجده الأدبي على دعائم الثقافة الإسلامية . مكن له في ذلك موهبته الأدبية ، ونظرت الصافية واطلاعه المستمر ، الذي جعله يتزود بخير زاد من المعرفة والثقافة التي امدته بالعمق الدقيق ذات الطاقه القويه التي بها عرف وبها عز وانتصر .

وقد قسمت هذا البحث الى أربعة أبواب :

الباب الأول : يضم أربعة فصول أفردت الاوّل منها للحديث عن النكسه التي

=====
 حلت بالبلا من جراء العناية بالعلوم الحديثه على حساب العلوم الدينيه التي أصبحت متفوقه في اروقة الازهر ومعاهده العلميه ، وكان لا همال الكتاتيب الاولييه ، أثر واضح في القضاء على أهم المراكز لتحفيظ القرآن كاملا منذ الصفرة .

والفصل الثاني : يتضمن الحديث عن الغزو الفكري ، ومن مظاهره واسبابه ضعف العقول من طلاب البعثات العلميه ، واختلاطهم في المجتمعات الاوربيه بالعقليات العقلانيه المتحرره من قيود الاديان السماويه وقلة الوازع الديني عند الكثيرين وانتقال العدوى

الى شباب العصر ، وما كان لذلك من أثر في الاستهانة بأمر الدين وانتشار موجه الالحاد والزندقة .

وفي الفصل الثالث : تناول البحث التعصب الديني ، وذلك بالحملات التبشيرية للدين المسيحي وأثرها في بلبلة العقول وكثرة الجدل بين المسيحيين والمسلمين حول بعض التعاليم الاسلاميه التي لم يدركوا أسرارها ، مما أدى الى ظهور المؤلفات الدينيه المنطقية التي تظهر نور الاسلام من ناحيه ، وتناهض المتحاملين عليه من ناحية اخرى .

وفي الفصل الرابع : تحدثت عن التقاليد الموروثة التي أسفرت عن انتشار البدع والخرافات بين السذج وطبقة السعوم ، كما تحدثت عن حملة المسلمين الغير على هذه المعتقدات تصحيحا لمعنى الاسلام وتنقية لجوهره من الشوائب .

الباب الثاني : تحدثت عن حياة الرافعي في فصلين :

=====

الفصل الاول : تناولت فيه الحديث عن أسرته ومولده ونشأته

والموطن الاول للاسره في طرابلس الشام ، وانتقالها الى مصر في اواخر القرن الماضي ، وتوليها مناصب للقضاء ، ونشأته التعليميه ، وثقافته الخاصه .

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن بيئته الدينية ، وثقافته الاسلاميه

الواعيه وأثرهما في تكوين شخصيته الاسلاميه المجاهده ، وفي كتاب (حياة الرافعي) لتلميذه سعيد العريان زيادة لمن يرغب في

المزيد لها

الباب الثالث : فقد تحدثت فيه عن أدب الرافعي وأثاره العلمية في ثلاث فصول :

=====

تضمن أولها الاثار العلميه ، وثانيها الاثار الادبيه وثالثها

الخصائص الادبيه التي غلبت على اسلوبه ، وميزته من سواه

الباب الرابع: والاخير فقد افردته للجانب الديني في أدبه وهو بيت القصيد

في بحثنا هذا ، جمعت للمقالات فصلا ، وللمؤلفات فصلا . .
تناولت في الفصل الاول : مقالاته في الاصلاح الديني ، الاشراق
الالهى وفلسفة الاسلام ، وتصحيح معنى الاسلام في نفوس المسلمين
أولا . . وفلسفة العبادات - رسالة المسجد ، وثقافة الدعاء
الى الدين الاسلامي ، ودور الأزهر في اعدادهم والحكومة في رعايتهم
والزواج بالاجنبيات ومدى خطورته على عقائد الابناء وحملته على
البدع والخرافات .

وفي الفصل الثاني : تناولت مؤلفاته الدينيه ، فتحدثت فيه عن اعجاز
القرآن والبلاغه النبويه وذكرت باختصار بعض الموضوعات التي تناولها
الرافعي بالدراسة ، ثم انتقلت الى كتاب "تحت راية القرآن" المعركة
بين القديم والجديد " والرد على طه حسين في كتابه " في الشعر
الجاهلي " وقد أوردت بعض الفصول للمعركة بين الرافعي وطه
حسين كما وردت في هذا الكتاب دون التحيز لاهدهما والتعامل
على الآخر ، وانما بسطتها بين يدي القارىء ليراها بنفسه
وليكون له حكمه فيها ، وعندها سوف تتجلى له شخصية الرافعي
العملاق ومكانته الادبيه والدينيه .

وبعد :-

فعلنى اكون بهذا العمل قد بلغت المراد مما أخذت . نفسي به وندبتنا

له .

فإذا كان في ذلك شيء من السداد والتوفيق ، وهذا ما أرجوه ، فما توفيقى
الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ولا يسعنى في الختام الا أن اتقدم بجزيل
الشكر لاستاذى الفاضل الدكتور محمد نبيه حجاب عرفانا بالجميل لما قدمه

(و)

ليس من توجيهاته السديدة ، وجهوده العظيمة ، وقد لقيت منــــه
كل العون فكان لذلك أثره الطيب في توجيهي الى ما أريد وفي تشجيعي
لهذه الدراسة التي آمل ان اكون قد جتيت ثمارها المرجوه . .

وكذلك اتقدم بخالص الشكر لكل من عاونني في هذا البحث أو أعانني
عليه ، أخص بالشكر السادة أعضاء اللجنة الموقرة التي أترقب توجيهاتهم
وملاحظاتها واتلقاها على هوى النفس ورحابة الصدر ويقيني أنها ستكون (الدرهم
المتيم) الذي الح عليه الرافعي في بعض مقالاته والذي به يكون التمام والكمال
ان كان ثمة نقصان ، وسبحان من تفرد بالكمال . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

= ٢ =

الفصل الأول

العناية بالعلوم الحديثة وإهمال العلوم الدينية

لقد جاء العصر الحديث ومصر تستمد ثقافتها من روافد ثلاثة :

- ١ - الكتاتيب الأوكية .
- ٢ - المعاهد الدينية .
- ٣ - المكتبات العامة .

١ - الكتاتيب الأوكية :

كانت الكتاتيب الأوكية منتشرة في طول البلاد وعرضها ، ولما تخلو منها قرية ومن ثم كانت المصدر الأول لتعليم الطلاب وفيها يتعلم الصبيان القراءة والكتابة ، ويحفظ من شاء القرآن كله أو بعضه ، ثم ينخرط في المهنة التي يريد ها ، ويقوم بمهمة تعليم الصبيان في هذه الكتاتيب "الفقى" ، فإذا كان الكتاب كبيرا يساعده "العريف" ، ويدرس الطلاب القرآن والتفسير ، وقد يكون الصبي في بداية سنه لا يدرك ما يحفظه ، ولكن بتكرار الحفظ ، ومرور السنين عندما يكبر الصبي تكون المعلومات التي تلقاها في الكتاب مخزونة في ذاكرته ، ولسانه يحرن على اللغة العربية ، وتكون حجر الزاوية في إيمانه العميق بهذا الدين ، وتقديسا له وتطبيقا لأحكامه (١)

(١) الفصل في تاريخ الأدب العربي ج ٢ تأليف أحمد الاسكندري ،
وأحمد أمين ، طى الجارم ، عبد العزيز البشري ، أحمد ضيف سنة ١٣٥٢ هـ

٢ = المعاهد الدينية وطى رأسها الأزهر

كان الأزهر منذ عصور قديمة مركز الاشعاع الأول للعلوم الدينية لأنه من أقدم المعاهد ، وأعرق الجامعات الكبرى ، وظل كذلك فيما على اللغة حافظا لها من الزوال أو الاضمحلال ، وما زال يرسل أشعة العلم والدين فى أنحاء العالم العربى ، الى أن جاءت الدولة العثمانية ، فأصابه الركود والخمول ، وبدأ العالم يتطور ويتجدد ، وهو جامد على حاله لذلك رأت مصر أن الأزهر ان ذاك لم يعد قادر على قيادتها وارشادها فولت وجهها شطر الغرب تكرر من هياضه ، وتقطف من ثماره حتى أصبح البون شاسعا بين التعليم الجديد ، وبين التعليم القديم ، وقد انتشرت فى مصر ثقافتان تناهض احدهما الأخرى ، ثقافة صنية طى العلوم الوافدة من الغرب ، وثقافة قائمة على أدب التراث ، وكان لا بد من اصلاح الأزهر ليوقف على قدميه أمام ركب الحضارة المتقدم ليشارك فى النهضة العامة ، وبدأت الحكومة الخديوية ذلك فى عهد شيخه الامانى سنة ١٣٠٥ هـ ، فأدخلت فيه بعض العلوم الحديثة بعد جهد ومشقة وفتوى شرعية ، ثم قام الامام الكبير محمد عبده لاصلاحه ، فوضع الأساس وحال الأزهريون بينه وبين البناء ولكن حركة الاصلاح كانت أقوى ، فلم تتوقف وان اعترضها بعض الصعوبات وخاصة بعد أن انتشرت المدنية التى أسفرت عنها موجة الحضارة الحديثة (١)

(١) تاريخ الأذب العربى تأليف أحمد حسن الزيات ص ٤٢١-٤٢٢

٣ - المكتبات العامة :

تعد المكتبات من أهم مصادر الثروة الثقافية ، ولن تكون الأمة متحضرة مثقفة الا اذا كان اقبالها على دور الكتب للتزود بالمعرفة ، لأن الشهادات العلمية وحدها لا تعد الفرد للثقافة ما لم يتزود بالقراءة والاطلاع المستمر الذى ينمى العلم ، ويدعمه ويقويه بأنواع المعارف المختلفة لذلك هناك كثير من المكتبات العامة فى القطر المصرى وأشهر هذه المكتبات فى القاهرة هى :-

١- دار الكتب المصرية :

هى أكبر مكتبة فى الشرق الأوسط ، أنشأتها الحكومة فى أثناء النهضة ، فى تاريخ طويل يبدأ بزمن محمد على وقد تمت فى زمن اسماعيل عام ١٨٧٠ م ، الذى رأى أن ينشئ مكتبة كبيرة لحفظ الكتب والمطالعة وهما طائفة من أفخر الكتب من كل فن ، وأصبح عدد ما فى دار الكتب المصرية حتى عام (١٩١٤) نحو (٧٠٠٠٠٠ مجلد) نحو نصفها من الكتب العربية وأكثر الباقي فى اللغات الأوربية كالتركية والفارسية ، والعربية تتضمن كتب التاريخ ، والأدب العربى ، والشريعة الاسلامية (١)

٢- المكتبة الأزهرية :

تأسست سنة ١٨٧٩ ، كان فى الأزهر كتب كما كان فى غيره من المساجد ، متفرقة فأمرت الحكومة بجمع ما كان من الكتب ، فى أروقة

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١٠٠-١٠١

الأزهر مما يستغنى عنه الطلبة ، ورتبها حسب موضوعاتها ، ووضعت لها قوائم الجرد ، وأصبحت تضم مجلدات ضخمة لمختلف المعارف وقد بلغ عدد مجلداتها (٣٦٦٤٢ مجلد) في العلوم المختلفة ، كالعلوم الإسلامية والأدب ، والعلوم اللغوية ، وفي التاريخ والسير والجغرافيا والباقي في العلوم الأخرى (١)

٣ - مكتبات الأروقة في الأزهر :

وفي الأزهر مكتبات أخرى غير المكتبة الأزهرية المتقدم ذكرها يقال لها مكتبات الأروقة لكل رواق مكتبة يطالع فيها تلاميذ ذلك الرواق ، وتضم أكبر عدد من المجلدات الضخمة والمخطوطات النادرة . (٢)

٤ - المكتبة الأحمدية في طنطا :

أنشأها الشيخ إبراهيم الطواهرى شيخ الجامع الأحمدي الأسبق ، عام (١٨٩٨) وعين لها أمينا ومعاوناه ، وتحتوى على ست آلاف مجلد وتشتمل على أهم الموضوعات العربية في العلوم الإسلامية ، واللغوية والتاريخ والأدب وغيرها من الفنون . (٣)

٥ - مكتبة جامعة القاهرة :

أفتتحت رسميا عام (١٩٣٢) وتبلغ مجموعة الكتب التي تحويها حوالي (٤٠٠٠٠٠ مجلد) في مختلف الآداب والعلوم والفنون ، نصفها

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١٠٢ .

(٢) ~~تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١٠٣ .~~

(٣) ~~تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١١٠ .~~

تقريباً باللغات الأوروبية ، وتضم أحياناً مجموعة ضخمة من مجالات العلوم والطب والقانون والعلوم الاجتماعية بشتى اللغات (١) .

وهناك عدد كبير من المكتبات فى القطر المصرى أكتفيت بذكر أهم المكتبات الموجودة .

التعليم الأجنبى فى مصر :

انتشرت المدارس المدنية فى مصر ، وهى تمثل النواة الأولى للحضارة والتقدم ، وكانت الظروف فى ذلك الوقت تساعد على انتشار التعليم الأجنبى لأن الدولة العثمانية ضعيفة ، وبدأت هذه المدارس تدرس اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية ، فزاحمتها فى مدارسها وغزتها فى عقودها ، فضلاً عن الحوافز التى قام بها المستعمر ، حيث جعل الوظائف المرموقة لا ينالها الا من يجيد اللغات الأجنبية ، وكان لهذا التخطيط أثره السلبى على اللغة العربية والعلوم الدينية معا (٢) .

اهمال الكتاتيب الأولية وأثر ذلك فى القضاء على أهم المراكز لتحفيظ القرآن الكريم كاملاً منذ الصغر :

كان لتطور التعليم فى مصر ، والاتجاه به الى العلوم الحديثة ، أثره الواضح فى انحسار موجة التعليم الدينى الذى تقوقع فى معاهد

(١) الموسوعة الميسرة مؤسسة فرانكلين باشراف محمد شفيق غربال ط ٢
ص ١٧٣٤ .

(٢) تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر تأليف جرجس سلامة ص ١٦-٢٤

مقدمة .

غاض معين القرآن في الصدور باهمال الكتابية الألية التي كانت بحفظه وتجويده معنية ، وبالتالي غاض معين الوازع الديني من النفوس .

حدث هذا في الوقت الذي انتشرت فيه المعاهد الأجنبية التي أستهانت بعلوم اللغة والدين والتي بدأت تنفث سمومها في أذهان الطلاب الناشئين ، والشئ غلاب والعقائد الهدامة كالماء الفتاك أو المرض المعدى الواسع الانتشار ، وكان من أثر ذلك أن كثر الالحاد ، وكثرت الانحرافات ، وعمت البلوى وأصبح الكثير من الشباب المسلم لا يحمل من الاسلام الا اسمه وهذه من أول الكوارث التي تصيب الدين لأن الطفل الذي لا ينشأ متشبعاً بالعلوم الدينية لا يستطيع أن يقف أمام تحديات الغرب .

الفصل الثانى

الغزو الفكرى

م - معنى الغزو الفكرى وأهدافه :

ان عزو الفكر من أخطر أنواع الغزو الذى يسيطر على البشر ، ومن هنا كان الاتجاه الجديد فى تخطيط الفزاة أن يتركوا استثمار الأراضى ، ليستعمروا العقول حتى لا تفكر الا بعقلهم ولا تتكلم الا بلسانهم ، وذلك ما تعرف على تسميته " بالغزو الفكرى " (١)

ان هذا الغزو الجديد الذى خطط له أعداء الاسلام ، لتدهير الأمة العربية المسلمة ، والقضاء على كيانها ودينها ، وجد الطريق سهلاً ميسوراً ، لأن المسلمين كانوا ان ذاك يغطون فى سبات عميق فى أعقاب العهد العثمانى الذى اقفر البلاد وغرب العقول باهمال المدارس ، والمكتبات وغيره من مصادر الثقافة ، وكان من أثر ذلك أن انتشر الجهل وعم الظلام وتحجرت العقول التى ضلت الطريق ، فلا هى استمسكت بمنهج السلف الصالح ، ولا هى استنارت بأنوار الثقافة البنائة الخالصة من المبادئ الهدامة وهذا ما يلاحظ فى أساليب التفكير عند بعض من تتلمذ على أيدي المستشرقين .

(١) الغزو الفكرى ، أهدافه ووسائله ، للدكتور عبد الصبور مرزوق ، ص ٦

ب - طلاب البعثات العلمية واختلاطهم في المجتمعات الأوروبية بالعقلية
العقلانية المتحررة من قيود الأديان السماوية :

إن القرن العشرين تفتح على حضارات كثيرة كانت السيادة فيها للمجتمع الغربي باختراعاته وطومه التي سبق بها الشرق وفي هذا التيار النخيم من الحضارة ، شمر بجزءه وضعفه ، فأراد التعمير ليتسنى له السير في ركب الحضارة ، وتم الاتصال بينهم وبين الغرب من طرق ثلاثة هي :

- ١ - دراساتهم في معاهد الغرب الأوروبية والأمريكية .
- ٢ - تعلمهم على أيدي مدرسين غربيين في جامعات بلادهم .
- ٣ - أوقراءتهم الخاصة للمصادر الغربية ، خارج المعاهد والجامعات والعمال بعضهم للمصادر الإسلامية ، زهدا فيها وتعففا عنها لجهلهم بقدرها .

والمسلمون هم المسئولون عن الكثير من " المستغربين " الذين يتنكرون لعقيدتهم وقوميتهم معا ، ويعيشون بأفكار وعواطف غربية لمانا ؟ لأن الذين بعثوا الى معاهد الغرب وجامعاته باسم الدراسة والعلم ، لم تعد لهم هناك بيوت اسلامية تجمعهم بعد فترات الدراسة على شعائر دينهم وتقاليد بلادهم وتصحيح ما يلقى في أذهانهم وقلوبهم من شبهات وغواطر ييشها لهم أساتذتهم الغربيون الى جانب مراقبة أخلاقهم وتصرفاتهم وتقويم اعوجاجهم وردهم الى طريق الحق والصواب من قبل أن يستفحل الداء ويتعسر الدواء .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت نفس المهمة تلقى على الطلاب من أتى من الغرب للتدريس في جامعات الشرق (١) هذا فضلا عن الكتب الغربية الهدامة التي تفيض بالكفر والزندقة والساح لها بالانتشار بين أيدي الشباب والشابات يتأثرون بها ويصدقونها والسبب في ذلك قلة الوازع الديني عند الكثيرين من طلاب البعثات العلمية ، وانتقال العدوى إلى شباب مصر عندها يأتي دعاة الاسلام يصيرون وينصحون ولكن هيهات لمن يسمع الصيحات ، انها بلا شك تضع مع الصدى ، انها بلا شك ، لا تجد من يجيب ، وكأننا الأديان عندهم خرافة أو ضرب من الأساطير ، وليس معنى ذلك أننا ندعو إلى العزلة ، والبعد عن الثقافة الأوروبية ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (اطلبوا العلم ولو بالصين) . ويقول : (من تعلم لغة قوم آمن منهم) ولكن الذي ندعو إليه ونحذر منه هو الترامي في أحضان هذه الثقافة من غير وعي أو تدبير ، ونكون إذ ذاك خلطنا عملا صالحا وآخر سيئا فما أكثر ما تحويه من سموم فتاكة ، مقلقة بما يسمونه (التفكير الحر) الذي لا يقيم وزنا للفضائل ، ويرى الايمان ضربا من الأساطير التي تناقلها الخلف عن السلف .

(١) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ، ص ٥ - ٦ .

الفصل الثالث

التعصب الديني

أ - الحملة التبشيرية للدين المسيحي وأثرها في بلبلة العقول :

المبشرون - والمستشرقون - والمستعمرون .

لقد عمل أعداء الاسلام على نشر الأفكار الهدامة للتقليل من شأن الاسلام ، ولا تارة الشبهات في عقول المسلمين وغير المسلمين ، وما هذه الا نتيجة للمكر والدسائس التي تضافرت قوات ثلاثة على اظهارها هي :

التبشير - والاستشراق - والاستعمار .

تضافرت ضد الاسلام لاضعاف الامة الاسلامية ، وتشتيت شملها وتحزيب كيائها ، بأساليب المكر اليهودي الخبيث الذي يعمل لمصلحة نفسه ، وقد وقد بعض هؤلاء الى ديار المسلمين ، وظل آخرون في عقور دارهم منكبين على دراسة أحوال المسلمين ومعارفهم ، ويمكن أن يتضح من ذلك المهمات التالية :

المهمة الأولى :

هدم الاسلام في عقيدته وعباداته ونظامه ، ولكن هذا الهدم لا يكون بمعاول الهدم المباشرة الظاهرة حتى لا يتنبه اليها المسلمون ، بل يلبسون معاولهم أقنعة مبهرجة خداعة تخدع الناظرين ، وعندها وكل سهولة

يستطيعون بأساليبهم الخاصة أن يأسروا أبناء الأمة الإسلامية ، وأن يوجهوهم إلى حيث يريدون ، وقد يزلزلون منهم العقيدة وهم لا يشعرون .

المهمة الثانية :

إشاعة الفركة بين المسلمين أينما كانوا من الأرض ، حتى يعيشوا متنافرين متقاطعين ، ولا تؤلف بين قلوبهم مودة ، ولا تربط بين جماعتهم أو أصد دينية أو تاريخية أو مصلحة ، وقد استطاعوا أن ينجحوا فيما أرادوا من تمزيق الوحدة الإسلامية وتفريق شملها ، ومن هذا المطلق استطاعوا أن يحققوا ما يريدون ، في إضعاف الإسلام والمسلمين .

المهمة الثالثة :

تشويه صورة الأمة الإسلامية الحالية والتاريخية بوسائل الكذب والافتراء وتفسير الحقائق وتحريف الكلم عن مواضعه ، ليظهر المسلمون بأن الأخطاء الناتجة عن سوء تصرفاتهم راجعة لأنهم مسلمين ، ولو فكر المسلمون في هذه الأخطاء وفي حقيقتها لعلموا أن مصدر الاضطراب والفوضى التي يعيشها المسلمون هو سبب عدم تمسكهم بإسلامهم ، وسيرهم السير الصحيح للمسلم الحقيقي ، ولكن قوى الشر جعلت أبناء المسلمين ، يشعرون بالتخلف والنقص والكراهية واحتقار الشعوب الأخرى للإسلام .

المهمة الرابعة :

تضليل الشعوب الاسلامية ، وايهام الشباب الحائر ، بأن كل تخلف حضارى سببه الاسلام ، وأن الاسلام يعارض المدنية الحديثة ، وأنه أساس التأخر وهذه هي أساليب المبشرين ، والمستشرقين والمستعمرين ، فى النيل من المسلمين ودينهم الحنيف الاسلام بأصالة جوهره استطاع أن يبقى مضيئاً مشرقاً محافظاً على روائع نصوصه ، وذلك يرجع الى المسلمين الذين فطنوا لمآربهم ، ووقفوا لمها المصرد (١) .

ب - الطعن على الاسلام ، وكثرة الجدل بين المسيحيين والمسلمين

هول بعض التعاليم الاسلامية التى لم يدركوا أسرارها :

قام أعداء الاسلام بإثارة الشكوك فى النفوس المسلمة لارتدادها والحيلولة دون التقائهم على وحدة اسلامية تجمعهم ، وتوحد صفوفهم ، ولكن الاستعمار يحول دون ذلك بالمناهضات المختلفة ، التى لا تظهر جهرياً تردهم عن دينهم ، لأنه رأى حركات الوعى الاسلامى هنا وهناك ، وهو تأخذ طريقها فى الانتشار فى العالم الاسلامى من أقصاه الى أقصاه ، ولكن الاستعمار بدأ يخادع ويراعى ويحارب باسم العلم مرة عن طريق المستشرقين المأجورين وتلاميذهم المخدوعين ، وباسم الهداية أحياناً عن طريق المبشرين بالحضارة والمدنية غير أن هذه الحضارة التى لا تقيم للفضيلة وزناً خير منها البداوة .

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، التبشير - الاستشراق - الاستعمار ،

تأليف عبد الرحمن عبيدة الميدانى ، ص ٢٨

إن الحضارة الحقّة هي التي تتمثل في القيم الأخلاقية ، ولم يعرف قط أن الإسلام يناهض الحضارة البناءة وأى نوع من الأنواع ، لكن الانغماس في الشهوات ، وانفلات زمام النفس ، واتباع الحريات التي لا تحدّها حدود هذا ليس من الحضارة في شيء* لأن الحرية المطلقة لا تعتبر حضارة ، فعلى الفرد أن يلتزم بواجبات يؤدّيها لمجتمعه تجاه نفسه والآخرين ، ومن هنا يستطيع أن يحقق ما يريدّه المجتمع الإسلامي ، وما يفرضه عليه الدين ، هذا إن تمسك بالدين كما أرادّه الله ، على أن الاستعمار يعلم علم اليقين ، أن المسلمين لو بقيت لهم روح الإسلام الأصيلة ، لاستطاعوا أن يقفوا أمام كل اعتداء* ، وأن ينشروا بينهم الحثيف في مشارق الأرض ومغاربها كما نشرها أسلافهم الأوائل ، وتلك التي تقض مضجعهم وقد بسّذل المستعمرون أقصى الجهود لغرس الشكوك في العقول الإسلامية ، وقتل الطموح في نفوس المسلمين ، ونشر الفرقة والنزاع في الصف الإسلامي ، وذلك بإثارة الشبهات في نفوس الشباب (١) .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد محمود الصواف ،

شبهات حول الدين

يسعى الغرب المعادي للإسلام بكل طاقته الى الحط من قدر الاسلام وإثارة الشبهات حول هذا الدين للتقليل من شأنه وإضعاف قوته وهذه بعض الشبهات التي أثاروها ، والتي طعنوا بها على الاسلام والمسلمين وقد تجلّى ذلك في الظمن على :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأحاديث النبوية .
- ٣ - التشريع الاسلامي .
- ٤ - الفتوحات الاسلامية .

وقالوا :

- ١ - ان القرآن من تأليف محمد .
- ٢ - ان الحديث النبوي من صنع الفقهاء .
- ٣ - الفتوح الاسلامية ليست موجهة نحو مثل طيا .
- ٤ - العرب كانوا جياعا فخرجوا لالتماس كئوز المدائن ود مشق !
- ٥ - الجزية - اضطرت الذميين الى اعتناق الاسلام .
- ٦ - الاسلام لا يحترم المرأة .
- ٧ - الاسلام انتشر بالسيف فهو دين القوة (١)

(١) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ، ص ١٢ .

ما قالوه عن القرآن :

ما زال الغرب المعادي بيت سموه ، ويتعرض للمقدسات
الاسلامية الطعن والكيد ، فقد اذنب على القرآن الكريم الذي هو دستور
الامة المسلمة وكيانها ونورها وهداها ، ومصدر عزتها وأمنها واستقرارها
بما يحمله من خير عظيم يتصل في أحكامه وشرايعه وفرائضه ، لذلك شعروا
المستشرقون بخطر الكتاب المقدس ان تمسك به المسلمون ، فأرادوا النيل
منه بمزاعمهم التي يقولون فيها ان القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه
وسلم ، وسبب ذلك الحقد على القرآن هو ان القرآن اتهم أتباع التوراة والانجيل
بتحريفها ، ولذلك ادعوا أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - أخذ معارفه
في تأليف القرآن من هذين الكتابين قصصا وأخبارا ، كما أن القرآن ينكر
على المسيحية الأسس الثلاثة التي تقوم عليها وهي:-

التثليث - والمصلب - والفساد

والضاحية الأخرى هي محاولة علماء " اللاهوت " في أمريكا الآن تطبيق نظرية
" النقد الأعلى " على القرآن الكريم كما يطبقونها على الانجيل والتوراة ،
ويدعون ان الله لم يتحدث العربية قط ،

هذه الأفكار التي أتى بها المستشرقون ، صورتها لهم أفكارهم
الطحونة ، وضامتهم الحاقدة على الاسلام ، ولم يكتفوا بكفرهم وضلالهم ،
ولكنهم يحاولون يشقى الوسائل أن يقنعوا الناس بما يعتقدون حتى يردوهم

عن دينهم ، وذلك ببذور الشك التي يزرعونها في نفوس المسلمين ، فـسـى
أن القرآن من عند الله ، ويقولون : انه كغيره من الكتب المولفة عرضة
للنقد والتحريف والتبديل . (١)

ما قالوه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

يسمى المستشرقون بكل طاقاتهم ونفوذهم لتشويه سمعة الرسول
العظيم وطعننه في دعوته وسيرته فهم يزعمون أن الرسول - صلى الله عليه
وسلم - بدأ دعوته كرسول ومصلح ولم يكن يخطر بالبال أن يكون زعيماً
ومنشأً لدولة حتى هاجر الى المدينة فبدأت تدور في ذهنه فكرة تأسيس
دولة ، ويجرون هذا الافك بأنه - صلى الله عليه وسلم - كان في مكة مسالماً
لا يقاوم أعداءه بحرب ولا قتال ، ولكنه في المدينة خاض مع أعدائه الممارك
الطاحنة ، أولها بدر وخاض مع اليهود مارك أجلاهم عنها ، وقالوا
بافتراءهم : ان محمداً قد تخلى في المدينة عن صفة الداعية الى الهدى
والتوحيد واتصف بصفة المحارب الذي لا يهدأ له بال حتى يفتك بأعدائه
من هذا المنطلق بدأ الافك والتزوير والتخايب عن حقيقة دعوة الاسلام وتدرج
الدعوة والتشريع في الاسلام ثم الفرق بين الدعوة في مكة والدعوة في المدينة (٢)

(١) مفتریات علی الاسلام احمد محمد جمال ص ١٢-١٤ .
(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف

السدس والتشكيك في السنة

حاول أعداء الإسلام النيل من القرآن الكريم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا مفترياتهم بالمزاعم الكاذبة والباطيل حول هذا الكتاب المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد ، فاتجهوا إلى السنة النبوية وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، فيذروا في النفوس الضعيفة بذور الشك التي سبق ذكرها فيما تقدم * في شبهات حول الدين * ظانين أنهم يستطيعون بذلك أن يهدموا هذا البنيان الشامخ لهذا الصرح القوي ، وقد بدأت هذه المحاولات اليائسة منذ القديم ثم استمرت في مختلف العصور وقد برزت في هذا العصر لأنها وجدت النفوس الضعيفة لا تستطيع المقاومة ، وضار الاتصال بالغرب كثيراً ، وقل الواع الديني عند الكثيرين ، مما ساعد على رواج هذه الباطيل ، ولكن الله تعالى الذي حفظ هذا الكتاب الكريم كما قال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " هو كذلك الله العلي القدير الذي حفظ هذه السنة المطهرة وسحفظها الى أن تقوم الساعة ، ان هي بيان وتوضيح للمراد بما في كتابه فأعد لها في كل عصر دعاة وحماة وطمع ورعاة رأوا كيد الأعداء * فنفضوا عنها الزيف (١) .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد محمود الصواف ،

تشويه الأعداء لموقف الاسلام من المرأة :

ان الاستعمار أراد أن يشوه الاسلام من كل جوانبه ، حتى يستطيع أن يحقق مآربه في تضليل المسلمين ، عندما يفقدون الروح الاسلامية الأصيلة ، فأرادوا أن يشوهوا مكانة المرأة المسلمة ، لأنهم يعلمون مدى تأثير المرأة في الأجيال الناشئة ، فهي التي تربيتهم وتفرض فيهم الفضائل الاسلامية ، وثبتت فيهم روح الاقدام والشجاعة ، فانا استطاعوا أن يعيشوا بحقيقتها يكون لها دور خطير في التأثير على الأجيال بأفكارها المريضة التي تشوش من معنى الاسلام في نفوس الأجيال ، لذلك قالوا ان الاسلام احتقرها وأذلها وأنقص قدرها وأضاع حقوقها ، فهم يدعون أن المرأة المسلمة مهينة القدر مهزومة الحقوق ، حتى تتأثر بهذا الكلام وتشعر بالظلم ومن هذا تضعف عقيدتها وإيمانها .

وهذه الأباطيل المنتشرة التي زعموها ليس جيلا بحقيقة الدين ولكن خوفا منهم على أجيالهم ان أطلعوا على الاسلام أن يتأثروا به ، لقد كانت المرأة قبل الاسلام وحقوقها ضائعة بين نظرة أهل الشرق والغرب ، لأنهم ينظرون اليها باحتقار فالعرب كانوا يقدونها في المهدي ويضمونها في التراب بكل قسوة والغربيون اجتمع رجالهم في ايطاليا ابان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم - في شبه مؤتمر مسيحي عام فكان موضوعه الأول : هل المرأة انسان كالرجل أم هي مخلوق آخر غير انسان ؟ في هذه الفترة التي كادت أن تضع فيها حقوق المرأة كإنسانة وكفرد له حقوق على المجتمع ،

يشرق ضوء الاسلام لينقذ المرأة من رجس الافكار الهدامة ويبعث ســــيد
الموسلين محمد - صلى الله عليه وسلم ويجعل لها حقوقا تكفل لها السعادة
في الدنيا والاخرة ، وتجعلها معززة مكرمة ، وجعل للرجال درجة فقط وهى
درجة السيادة والقيادة التى لا تصلح الا للرجال كما قال تعالى :-
" ولهن مثل الذى طيبن بالمعروف وللرجال طيبن درجة " (١)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" النساء شقائق الرجال "

فكيف انقلبت هذه الحقائق الانسانية التى تعزز من مكانة المرأة المسلمة
الى ادعاءات مزيفة ؟ انه الحق الذى يعض ويصم بلا ريب ، فيجعلهم
يتصورون أمورا غير موجودة للتقليل من شأن الاسلام واضعاف مركزه . (٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٢٧ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكانة الاسلام ، تأليف محمد محمود .

الصواف ، ص ١٠٦-١٠٨ .

وهن تكفل بالرد عليهم الأستاذ محمد الصواف في كتابه (المخططات
الاستعمارية لمكافحة الاسلام) :

تناول هذا الكتاب الرد على مزاعم أعداء الاسلام الذين يحاولون
الطمع في الاسلام وتشويه حقائقه التي أنزلها الله ومن هذه المزاعم
الباطلة (الطمع في القرآن الكريم) .
والقرآن الكريم كتاب الله الخالد ودستوره الماجد ومعجزة النبي الكبرى
وحجة الله البالغة ولا اسلام بدون قرآن ان القرآن دستور الاسلام أنزله
الله هدى ونورا للمسلمين ، لذلك يريد هؤلاء الأعداء هجب نور الاسلام
بدسائس لا أساس لها من الصحة ، ولكن هيهات أن يستطيعوا النيل
من أقدم المقدسات الاسلامية ، بأفكارهم الموبضة ، وضمايرهم المزيفة
المظلمة ، هم يحاولون أن ينشروا ما في أنفسهم على أمة الاسلام من
أباطيل مظلمة ، يمحوها رداً للنور الذي يتمثل في كتاب الله المقدس
ناشرا الويتنه الخفاقة على أبناء الاسلام ، ان تمسكوا به ، وهذا التمسك
سيمحو عنهم الضلال ، وسيكون لهم درعا حصينا وطمحاً آميناً ، وحامياً لهم
من الانزلاق في دروب الشر والفتنة التي تصرفهم عن دينهم الحنيف
والقرآن منذ نزوله يتعرض لمطاعن ومفتريات حتى اليوم وقد اجاب الله
تعالى على افتراء المفترين ان قال في كتابه العزيز : قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبنصرى للمسلمين ، ولقد نعلم

أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين ياهدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى صين ، ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ، انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون^(١) . وتوالت الحملات على الاسلام ، لأن الأفكار المريضة تتوالد فى نفوس هؤلاء الملحدين ، وتنتقل من جيل الى جيل ومن ميدان الى ميدان ، طالما أنهم وضعوا هذا الكتاب المقدس موضع نقد وتحدييل فالنظريات متعاقبة حتى جاء الاستشراق والمستشرقون والتبشير والمبشرون والاستعمار والمستعمرون واليهود الصهيونيون ، واذنا المطاعن تكثر وتنتشر فتارة يتهمون القرآن بالتناقض ، وتارة باللحن ، وأخرى بفساد النظم ، ورابعة بانكار الاعجاز ، واستمروا فى اتهامهم الى أنه من صنع النبي الى ما شاء لهم الحقد من ألوان التهم ، حتى لم يتركوا عيبا الا نسبوه اليه وألصقوه به ، وهكذا استمرت الحملات على القرآن الكريم ، بكل عداوة وحقد ، منتهزين الفرص لنشر أفكارهم باعلانها أحيانا ، أو اخفائها وتغليفها بأردية صهرجة تجذب الأنظار اليها وتخفى وراءها سموما فتاكة للقساة على العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين . (٢)

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ،

ساوئ الاختلاط بين الفتیان والفتيات في المجتمع

ان قضية الاختلاط بين الفتیان والفتيات ، أصبحت أمراً مشاعاً في البلاد الاسلامية ، وذلك نتيجة لرفع الحجاب عن المرأة المسلمة ، بحجة التطور والتقدم ، ومشاركة المرأة في كل الأعمال ومساواتها بالرجل ، ومما ساعد على ذلك بعض الكتاب مثل قاسم أمين ، الذين نادوا برفع الحجاب كل هذه الأمور أدت الى الاختلاط الذي تحرمه الشريعة الاسلامية ، لما فيه من أضرار جسيمة من شأنها تصدع المجتمع الاسلامي وانحداره وقد رأت هذه الحقيقة المؤلمة كاتبة أمريكية زارت القاهرة وساءها ما رأت من اختلاط في المجتمع الاسلامي ، وقد أشارت بمنع الاختلاط قبل سن العشرين ، وذلك لما رأت في المجتمع الأوربي ، من التفكك والانحلال الخلقي ، الذي كان وما زال نتيجته الضحايا الذين يملأون السجون والأرصفة ، هذا إضافة الى المصائب المختلفة نتيجة للتشرد والضياع والاباحية والتحلل الخلقي ثم تصف هذه الكاتبة المجتمع العربي فتقول : " ان القيود التي يفرضها المجتمع (الاسلامي) على الفتاة الصغيرة صالحة ونافعة ، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، واضموا الاختلاط وقيودا حرية الفتاة ، بل أرجعوا الى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا " (١)

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، تأليف محمد محمود الصواف ،

ويرد على هذه المقالة الأستاذ محمد محمود الصواف فيقول :
" أيها المسلمون لقد نهض الاسلام بالمرأة نهضة روحية وطمية وانسانية ،
وأخلاقية واجتماعية واقتصادية فطكتها وورثها ، وجعل منها شخصية فائقة
سامية بين نساء العالمين لقد فعل هذا وأكثر من هذا يوم كان للاسلام
سلطان وكان المسلمون يطبقون في أنفسهم شريعته وأحكامه السامية
فاتقوا الله في هذه الأمة ، واتقوا الله في أنفسكم وأهليكم ، وعودوا إلى
شريعتم الصافية بعزمكم الله وينصركم ويثبت أقدامكم والله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون " (١)

ان هذه النعمة التي تعيشها المرأة المسلمة رآها أناس من الغرب ،
عندما رأوا مساوئ الاختلاط في مجتمعاتهم ، وساء لهم ما رأوا في المجتمع
الذي يعيشون فيه ، بل وساء لهم أكثر من ذلك أن يروا المجتمع الاسلامي
ينحل نتيجة للتقليد الأعمى الذي يجروا به الشر ، باسم الحضارة والتقدم
تاركة ، وباسم التحلل من الرجعية تارة أخرى ، وما ظموا أن الرجعية فسى
سيرهم وفي تخلفهم يوم أن تركوا أمرا من أمور دينهم التي شرعها الله لهم ،
وهو أظلم بما يصلح عباده ، وما يضرهم ، وما تستقيم به الانسانية ويصلح أمرها
فالمرأة المسلمة ان تمسكت بأمر دينها ، ستكون محسودة على النعمة الكبرى
التي هي فيها من أمن واستقرار وسعادة وورخا ، وطمأنينة تظلمها ، مصدرها
اتباع الدين والسير على هداه .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، تأليف محمد محمود الصواف ،

تشويه معنى الجهاد وقيام الاسلام بالسيف

الجهاد ضرورة من الضروريات الاسلامية التي فرضها الله على عباده لاعلاء كلمته ، ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ، ولكن أعداء الاسلام لم يتركوا شيئاً الا وحاولوا التليل منه ، والتشكيك في صحته بمطاعنهم في الاسلام ، لانه لو بقيت للمسلمين روح الاسلام الاصيلة متمثلة في أبناءه ، معناه ، القضاة على أعداء الاسلام ، ولكن ببذرهم هذه الشبهات حول الجهاد ، يضعف التواضع الديني لهذا الهدف النبيل ، ويفقد شباب المسلمين روح الحماس ، والشجاعة والاقدام ، ويعد زرع بذور الشك ومحاولات المستشرقين بمزاعمهم الباطلة طمس الحقائق الاسلامية التي توخاها الاسلام في فتوحاته الاسلامية التي فرض الله من أجلها الجهاد ، لذلك فانهم يشيرون فيما يكتبون ويحاضرون أن معنى الجهاد في سبيل الله عند المسلمين ، هو حطهم السيف لأكراه الشعوب غير الاسلامية على الدخول في الاسلام وهذه فرية يكذبها واقع تاريخ المسلمين وكتاب رب العالمين (١) قال تعالى :

" أنأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (١)

ويقول أيضاً :

" فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر " (٢)

ويورد العقاد على هذه المزاعم في كتابه " ما يقال عن الاسلام " بقوله :

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام تأليف محمد محمود الصوان ص ١١

(٢) سورة يوسف آية (٩٨)

(٣) سورة النمل آية (١٧)

" ان المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الدعوة الا مدافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من نوى السلطان ، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم ، وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث في طلب صاحب الدعوة الاسلامية حيا أو ميتا ، لأنه خاطبه داعيا الى الاسلام (١) "

ومن هنا تتجلى الحقيقة الناصعة في دور الجهاد الاسلامي العظيم وما يهدف اليه فالاسلام لا يقبل على المسلمين أن يكونوا أذلاء متخاذلين في الدفاع عن رسولهم العظيم وعن أنفسهم لاحقاق الحق وابطال الباطل ان الباطل كان زهوقا ، ولو تدبر أعداء الاسلام الأهداف النبيلة السامية والأسباب التي دعت الى الجهاد كما شرعها الله لتراجموا عما زعموا ولعلموا علم اليقين انها هذا الدين ما جاء الا لتكريم الانسانية ، ونشر الرخاء والسودد على العالم أجمع وما زال الكتاب يذودون عن شرائع الاسلام موضحين الأسباب التي شرع من أجلها الجهاد ، وها هو العقاد يرد على زعمهم بانتشار الاسلام بالسيف بقوله :

الحقيقة الأولى : " ان مطعن القائلين بأن الاسلام دين قتال انما يصدق لو صدق - في بداية عهد الاسلام كما أسلفنا ، يوم دان بهذا الدين كثير من العرب والمشركين ، ولولا هم لما كان له جند ولا حمل في سبيله سلاح ،

(١) ما يقال عن الاسلام ، عباس محمود العقاد ص ١٣٥ .

لكن الواقع أن الاسلام في بداية عهدِه كان هو المعتدى عليه ، لم يكن من قبله اعتداء على أحد ، وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القوم حول النبي عليه الصلاة والسلام ، فانهم كانوا يقاتلون ولا يزيدون على ذلك . " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (١)

والحقيقة الثانية : أن الاسلام انما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فككرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف " سلطة " تقف في طريقه ، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصغاء اليه ، لأن السلطة تزال بالسلطة ، ولا غنى في اخضاعها عن القوة (٢) .

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) عقرية محمد ، عباس محمود العقاد ، ص ٤٤-٤٥ .

المؤلفات الدينية التي تظهر نور الاسلام من ناحية ، وتناقض المتحاملين عليه من ناحية أخرى ، * مفتريات على الاسلام ، للأستاذ أحمد محمد جمال * :

تناول فيه الجوانب التي تعرض لها الغربيون في الحملة على الاسلام وتشويهه ، والتقليل من شأنه ، ورد على مزاعمهم الكاذبة الضالّة بما يؤكّد حقيقة هذا الدين ويظهر نوره الذي أراد الله له ولو كره الكافرون ، فقد تعرض المستشرقون للقرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والتشريع الاسلامي ، والفتوح الاسلامية ، فقد تعرضوا لكتاب الله الكريم ، وبأنه ليس منزلاً من عند الله انما هو تأليف محمد ، بهذا التشكيك الذي يبذره المستشرقون يصبح المسلمون في شك من أمور دينهم ، ويصلون الى أغراضهم من جعل المسلمين ضعفاء لا كيان لهم ولا دين يجمعهم من ظلالاتهم المطلقة ، ومن هذا المنطلق بدأت افتراءاتهم ، ولكن هو لا الطحديين لم يتدبروا آيات القرآن ويفهموها كما أنزلها الله ، لو فهموها لتراجعوا عما زعموا ، وذلك لأن آيات المتاب التي عاتب الله بها نبيه تدل دلالة قاطعة على أن القرآن ليس من تأليف محمد كما في قوله تعالى :

" عس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى " (١)

فلو كان القرآن من تأليف محمد - كما يزعم المستشرقون لتناول هذا العتاب بالحذف والتلطيف ، ولكن تبديل شيء من القرآن ليس الى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولذلك أمر حين طلب منه المشركون أن ينزل القرآن ببعض أهوائهم ورجاتهم أن يقول لهم :

(١) سورة عس - آية ١ - ٣ .

"قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه ان أتبع الا ما يوحى الى " (١)
وشبيه بآيات العتاب فى القرآن الآيات التى يمن الله فيها عليه باصطفائه
للمرسالة وتشبيته عليها ، وتحذيرة من الانفكاك عنها كقوله عز وجل :
" وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل
الله عليك عظيما " (٢)

" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ، اذن لأنقناك ضعف
الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا " (٣) (٤)

(١) سورة يونس آية ١٤ .

(٢) سورة النساء آية ١١٢ .

(٣) سورة الاسراء آية ٧٣ - ٧٤ .

(٤) مغتربات على الاسلام أحمد محمد جمال ص ١٦-١٧ .

الحديث النبوي في نظر المستشرقين

لقد تناول المستشرقون - الحديث النبوي ، بالطعن ومطاعنهم

في الحديث النبوي تتلخص فيما يأتي :

- ١ - يزعم بعضهم : أن أحاديث نبوية كثيرة زائفة وملتقطة .
- ٢ - ويقول آخرون : ان نصف الأحاديث المدونة في صحيح البخاري ليست أصيلة ، وغير موثوق بها .

أما جولد زيهر - المستشرق اليهودي المجرى - وفي زعم فسي

كتابة (العقيدة والشريعة في الاسلام المزاعم التالية :

- ٣ - أن الاسلام نما على يد رجاله - من طريق الاضافات التي جعلت هذا الدين يكبر الى حد لم يعرفه محمد في حياته ، وان هذه الاضافات ، أي السنة على حد تعبيره - هي من صنع الفقهاء الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام ديناً عاماً شاملاً .

٤ - ان تعاليم القرآن - نجد تكلمتها واستمرارها في مجموعة من

الأحاديث المتواترة وهي وان لم ترد عن النبي مباشرة الا أنها

تعتبر أساسية لتميز روح الاسلام . (١)

والواقع أن رجال الحديث النبوي انفردوا في تاريخ الفكر

الإنساني وبخاصة تاريخ تدوين الرسائل السماوية وغيرها - بنظام البحث

(١) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ص ٣٥-٣٦ .

والتدقيق في الرواية ، وبالجرح والتعديل للرواة حتى غرّبوا ما روى
عن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام غريبة نادرة لا مثيل لها في تاريخ
الأنبياء والمرسلين . وكان من نتيجة ذلك النظام الدقيق ، في ضبط الحديث
النسبي ، وتوثيقه أن عرف الناس الأحاديث الصحيحة والضعيفة ، والمنكرة ،
والشاذة وغيرها .

ووضعت كتب ضخام في الأسانيد ومثلها في تراجم الرواة حتى
أصبح من اليسور على الباحث عن حقيقة أي حديث منسوبا إلى الرسول
عليه الصلاة والسلام - أن يعرف سنده ومتمنه ، ومدى صحته من عدمها
وعدالة رجاله من سقوطهم . (١)

(١) مقريات على الإسلام أحمد محمد جمال ص ٤٠

الفتوح الإسلامية

=====

اتخذ المستشرقون من الفتوح الإسلامية مادة للطعن على الإسلام متجاهلين حقيقة هذه الفتوح ، والتي شرع الله سبحانه وتعالى من أجلها الجهاد ، وكان لهذا التشريع الإسلامي أثره الواضح في نماء وازدهار الرقعة الإسلامية ، ونشور لواء الإسلام خفاقاً في البلاد المفتوحة ، وكانت هذه الفتوحات تغليظاً للبلاد التي فتحت من الظلم والاستبداد التي كانت تعاني منها ، ولكن المستشرقين جحدوا هذه الحقائق في التشريع الإسلامي للفتوح ووضعوا مطاعن كثيرة لهذه الفتوح حيث قالوا :

- ١ - أن الإسلام فكرة اقتصادية واجتماعية أكثر منه فكرة دينية وأنه لم يكن دينياً إلا في الظاهر أما الجوهر فكان سياسياً واقتصادياً .
- ٢ - وأن من مظاهر عبقرية مؤسس الإسلام أنه سخر الحركة الاقتصادية بأكملها لأغراضه السامية دينية كانت أو اجتماعية .
- ٣ - أن القبائل العربية وسكان مكة والمدينة قبلوا على الإسلام ونخلوا فينته لأسباب غير دينية .
- ٤ - أن صاحب الدعوة استعمل الدين واسطة للوصول إلى أغراضه ولا علاقة بالدين أصلاً .
- ٥ - أن اشتغال العرب بالفتوحات الواسعة ، وما تبع ذلك من تدفق

الأموال المغتصبة اليهم عن التفكير في المسائل الاجتماعية .

٦ - ان العرب رحبوا بالاسلام على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه التي تدعو اليها الضرورات الاقتصادية .

٧ - ان العرب كانوا جياعا في جزيرتهم فخرجوا يلتمسون الأكل اشرقسط
نزل ببلادهم ، ولم يخرجوا عن عقيدة وايمان (١) .

الفتوح الاسلامية أسبابها وأهدافها

=====

ان الحقائق التاريخية تثبت كذب وافتراء الحاقدين على الدين وتوضيح الأسباب المقنعة لهذه الفتوح ، وتنزه المسلمين الفاتحين عن هذه الأغراض التي هم منها براء ، هذا إضافة الى ما تتميز به روح الفاتحين من زهد في الدنيا ، وعزوف عنها ، طالبين رضوان الله آمين في ثوابه ، راجين رحمته ، مشفقين من عذابه ، فالأسباب التي دفعت المسلمين الى الاعتراك مع أعدائهم نجمها فيما يلي :-

أولاً حماية الدعوة الاسلامية من عدوان خصومها سواء أكانوا من عرب الجزيرة نفسها ، أم من خارجها ، كالفرس والروم كما حدث في اعتداء كسرى على مبعوث الرسول عليه الصلاة والسلام ومحاولة اغتيال الرسول نفسه ببذل العطاء السخي لمن يأتيه برأس محمد ، وكما فعل (هرقل) ملك الروم حين أمر بقتل كل من أسلم من أهل الشام ولذلك جهز الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته جيشاً لقتال الروم جهزه بقيادة أسامة ابن زيد وأنفذه أبو بكر - رضی الله عنه - بعد تولية الخلافة ، وأصر على انفاذه ، برغم معارضة بعض الصحابة وقال لا أحمل لواء عقد الرسول - صلى الله عليه وسلم -

واستطاع أبو بكر أن يخيد للإسلام هيئته ويجعله قويا عزيزا في الجزيرة العربية لتبقى هذه الدعوة مصدر الاشعاع والهدى والصلاح وتظل حصينة

على تهديد الأعداء المناوئين لها ، والمترصين بها الدوائر ، سواء
من داخل الجزيرة أو خارجها .

ثانياً : ومن العوامل التي دعت المسلمين إلى الفتح نقض هؤلاء للعهد
المبرمة بين الفريقين ، ويد الأعداء أنفسهم بالعدوان ، وقد أثبتت
القرآن ذلك في قوله تعالى : " الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهم
باخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه
ان كنتم مؤمنين " (١) .

ثالثاً : المسلمون ممنوعون من الاعتداء ، بأمر قرآنهم وحديث رسولهم وقصد
أمتنعوا فعلا عن العدوان والبغى على الغير وإنما وجههم القرآن
الكريم بقوله " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين " (٢) (٣) .

(١) سورة التوبة آية ١٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٣) مقتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ص ٦٠ - ٦١ .

وهذه بعض المطاعن التي تعرض لها المستشرقون على الاسلام تتضح فحوى
أقوالهم الاتية :

يقولون :

- ١ - ان القرآن قليل الرأفة بالنساء .
- ٢ - لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن النساء !
- ٣ - الطلاق في الاسلام قسوة وظلم للمرأة ؟

ان هذه المزاعم ما هي الا نتيجة الدسائس والحقد على الاسلام
فلو قرئت آيات القرآن وفهمت كما هي ، لعرف المستشرقون أي دين بها جمون ؟

ولأي كتاب سماوى يتعرضون ، والدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى

أنصف المرأة وجعل لها حقوقا وفرض عليها واجبات . قال تعالى :

وَالرِّجَالُ كَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ كَالنِّسَاءِ (١) أى أن النساء مثل الرجال وطبيعتهم

واجبات كواجبات الرجال ، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل للقيادة والرياسة

للرجال كما قال تعالى :

" الرجال قوامون على النساء " (٢) هذه الدرجة الواحدة يتميز بها الرجل

عن المرأة وهي ضرورة اجتماعية لا بد منها . (٣)

ثانياً : أقوالهم عن الرسول بأنه لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النساء :

ان أعداء الدين يحاولون أن يصلوا الى فرية تحط من قدر الاسلام

فطمعوا في نبوة الرسول من حيث تعدد الزوجات وأنه لو كان حقاً نبياً

لشغلته مهام النبوة عن النساء . والرد على ذلك من قوله تعالى : " ولقد

(١) سورة البقرة آية ٢٢٧ .

(٢) سورة النساء آية ٣٢ .

(٣) مقريبات على الاسلام احمد محمد جمال ص ٨٣ .

أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية (١) .
هذا الدفاع الالهي عن النبي يتضمن أمرين :

الأول ان تعدد الزوجات عند الأنبياء لا يتعارض مع واجبات النبوة
وأهدافها ، بل قد ينعين عليها ويحققها .

الثاني : ان الأنبياء الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم - قد تزوجوا
بأكثر من واحدة .

وهكذا رد القرآن الكريم على شبهة اليهود والفابرين عن تعدد زوجات
الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحجتين الأولى (عقلية) ، والأخرى
(تاريخية) من سير الأنبياء قبله .

زواج النبي (صلى الله عليه وسلم)

=====

لقد اتفق خصوم الاسلام على التشويه من سمعة الرسول في أمر
تعدد الزوجات ، واخراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في صورة معيصة
لا تتفق مع شرف النبوة ولا يتصف بها بفضيلة الصدق في طلب اصلاح .
فحاولوا أن يصفوه - صلى الله عليه وسلم - بصورة الرجل الشهواني الغسارق
في لذات الجسد العازف في معيشة البيتية ورسالته عن عفاف القلب
والروح !

وانهم بلا شك على خطأ جليل في هذا التصور الخاطيء لأن المسلم
الحق المطلع على سيرته - صلى الله عليه وسلم - ، يدرك أن هذه فريسة وأي فريسة
يفترى بها على نبي الأمة ، وان تعدد زوجاته خصوصية من خصوصياته لا مسرور

تقتضيها الرسالة ، كأسباب دينية أو اجتماعية ولم يحدث قط أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اختار زوجة واحدة لأنها جميلة ، ولم يمين بعد راء إلا العذراء التي علم قومه أنه اختارها لأنها بنت صديقه وصفيه أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وما من زوجة تزوجها إلا وكان وراءها زواجه منها دافع انساني كريم ، أو مقصد اجتماعي يخدم الدعوة الاسلامية . (١) .

مذاعهم أن الطلاق في الاسلام قسوة وظلم للمرأة :

ان الاسلام أباح الطلاق عند ما تتعذر الحياة الزوجية ، ويصبح الوفاق بين الطرفين مستحيلا ، وبعد اللجوء الى جميع الحلول المناسبة ، وعند ما جعل الاسلام الطلاق في يد الرجل ما ذلك إلا لعكمة رآها ، وهي بعد الرجل عن العاطفة والانفعال ، وأقدر على تحكيم عقله وضبط نفسه عند الغضب لذلك جعل الطلاق في يده ، وللمرأة طلب الطلاق من زوجها

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، عباس العقاد ص ٢٥٣ - ٣٥٨ .

ان رأأت أنها لا تستطيع الحياة معه ، وقد أباح الاسلام هذا انصافا
للمرأة ورعاية لحقوقها وعدم اكرهها على أمر لا تريد من شأنه أن يحطم
حياتها ويقضى على مستقبلها مع رجل لا تريد . (١)

(١) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ص ١٢٣ - ١٢٤

الفصل الرابع

=====

التقاليد الموروثة

=====

انتشار البدع والخرافات

لقد انتشرت البدع والخرافات في المجتمع المصري بين السذج ، وطبقة العوام ، وهي ليست من الدين في شيء ، بل هي كفر وشرك صريح ، فالتبرك بأضرحة الأولياء ، والتمسح بقبورهم ، والاتجاه اليهم - دون الله - في تفريج همومهم ، وكشف كربهم ، انحراف عن جوهر الشريعة الذي يدعو الى الايمان بالله وحده ، لا شريك له ، وان الفرد الصمد الذي يجب أن تتجه اليه القلوب في مقاصدها ، فلا مجيب الا هو ولا مغيث سواه ، ولا حليف الا بذاته ولا قسم الا بجلاله ، أما التمايم والرقى والعزائم والبخسور فكفها من الوان الشعوذة والتمويه على غفاب العقول . ومن عجب أن تظل هذه المعتقدات الفاسدة سائدة في المجتمع المصري وسواء على الرغم من صحاح المصلحين وعلى رأسهم الامام الأكبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي هتف بأعلى صوته منكرًا لها ، مندداً بفسادها ، مثبتًا بأنها الشرك الأكبر . وكان لصيخته دوى في الأفاق ، وصدى في النفوس ، وكان على رأس المؤمنين بها والمتحمسين لها ، حامى حمى الصروبة والاسلام في مصر ، مصطفى صادق الرافعي .

الاصلاح الدينى

=====

حقيقة الاصلاح الدينى فى الاسلام :

الاصلاح الدينى فى مجال الاسلام هو محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك، قصد التخفيف من وزنها فى نفوس المسلمين ، وهذا يعنى تنبيه الشعوب الاسلامية من حالة الجمود التى توقفوا عندها حتى لا يقف المسلم المعاصر موقف المتردد الضعيف فى أمور دينه الأعزل من السلاح الدينى الذى يحميه من حالة الشك والتردد فى أى أمر من أمور دينه ، وقد تمت حركة الاصلاح الدينى من منتصف القرن التاسع عشر الميلادى الى منتصف القرن العشرين ، وكانت الظروف السائدة فى القرن التاسع عشر أن تم استعمار الغرب للشرق الاسلامى ، وانتشار الأفكار الغربية لدى المسلمين وضمف الشرق اجتماعيا وسياسيا ، كان سببا لا يقاوم بعض المفكرين المسلمين وحافزا لهم على دراسة ما يجب أن يكون عليه موقف الشرق الاسلامى ازاء الاستعمارية فى بلاد الشرق ، فكانت حركة الاصلاح التى حمل لواءها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة ، واقبالها فى باكستان ، وكذا الأفغانى والشيخ محمد عبده فى مصر ، وان كان لهم فى بعض الشطحات بمعنى أن الامام ابن عبد الوهاب كان همه تصحيح العقيدة وتخليصها من شوائب الشرك ، أما الباقيون فان مهمهم كان محاربة المستعمرين (١)

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د . محمد البهيج ،

الاصلاح الدينى فى نجد :

نجد هى الأرض التى انطلقت منها حركة الاصلاح الدينى التى كان يقوم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى ولد فى عام ١١١٥ هـ ، ونشأ نشأة دين وثقوى فى كنف والده الشيخ سليمان بن عبد الوهاب التميمى قـاض مدينة * الميينة* فتلقى عنه العلوم الدينية والعربية ، وقد تنبه الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لحالة الجمود والانحطاط التى كان يعيش فيها سكان نجد ، وليس هذه الحالة من التأخر قاصرة على نجد بل على العرب والمسلمين جميعا وليعد هم عن روح الدين الاسلامى ، وتمسكهم بالبدع والخرافات التى ليس لها صلة بالدين بل تؤدى بهم الى الكفر والضلال ، وقد قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب برحلات الى بعض البلاد العربية باحثا مستطلعا ورأى رأى العين ما يتخبط فيه العالم الاسلامى من ضلال ، وما يتقلب فيه من أوزار ، وكانت لهذه الرحلات تأثير على نفسه ، ومن ثم كان لها الأثر الأکبر فى قيامه بالاصلاح والدعوة الى التوحيد وتعليم الناس اصول الدين الصحيح القائمة على عبادة الله وحده لا شريك له من أشجار يعتقد أنها تنفع أو تقرب الى الله ، فقد جاء الشيخ ووجد الناس يتردون فى الضلال فى الميينة أشجار يعظمها الناس ، ويعلقون عليها قطعاً صغيرة مما يلبسونه طلباً للبركة ، فبعث اليها الشيخ من قطعها بعد أن نقده أجراً من ماله ، وقطعت بدون مقاومة ، وتقدم الشيخ بخطوة أكبر وأوسع ، فقرر هدم القبة فوق ضريح ، زيد بن الخطاب أحد الصحابة الذين استشهدوا فى حروب أهل الردة سنة ١٢ هـ ، وتمكن الشيخ من هدم القبة التى كان الناس يعظمونها وظنوا

أنه سينزل بالشيخ بلاه ، ولكن عند ما مضت فترة ولم يصب الشيخ بأذى أصبح له مكانة عالية عند العامة ، وعظم أمره وكثر عدد الموالين له ثم انتقل الشيخ الى الدرعية وقابل الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية ، وتم بينهما اجتماع فقال الأمير محمد بن سعود / أيها الشيخ ان هذا الدين دين الله ودين رسوله بلاشك فيه ، فابشر بالنصرة لما أمرت به وبالجهاد فيمن يخالفك .

وهكذا تم الاتفاق بينهما على الجهاد في سبيل الله ، واعلاء كلمة التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما من اتفاق تقوم دعائمه على نصرة الاسلام والدين الا يؤيدها الله بنصره ، ويجعلها خيرا عيما على الأمة الاسلامية وغيثا منهمرا على قلوب أجد بها الجهل وأصابها القحط ، فارتوت من نفيها ، واستقامت على دعوته ، واذا استقامت حياة الأفراد واستقرت أيضا حياة الأمم والدول (١) وكانت السعودية أول المستجيبين لهذه الدعوة والعاظمين بها والقائمين عليها ، فبدل الله تعالى خوفهم أمنا وعسرهم يسرا ، وجعل لها مكانة مرموقة بين دول العالم .

هذا ما كان من أمر الإصلاح في نجد والحجاز ، أما في اواسط آسيا فقد ظهر محمد اقبال بحركته الاصلاحية أيضا وكان لها أثر كبير في تصحيح المسار الديني في هذه البلاد .

(١) تاريخ الدولة السعودية - المجلد الاول من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل سنة ١١٥٨ - ١٣٠٧ تأليف أمين سعيد ، توزيع دار الكاتب العربي

محمد اقبال وحركته الاصلاحية

أيقظ الاستعمار الغربي بعض المفكرين ، وجعلهم دعاة مخلصين ، وظهر

من هؤلاء المخلصين شخصية آرية مندية هي شخصية محمد اقبال .

مولده ونشأته :

ولد محمد اقبال في سيالكون بالبنجاب عام ١٨٧٣ م في عائلة
تعيش على الزراعة ، ونح جدهما الأكبر عن كشمير ، وتلقى اقبال تعليمه
في طفولته على أبيه ، ثم أدخل مكتباً ليتعلم القرآن ، ثم التحق الصبي
بمدرسة اليعثة بالاسكتلنديه في سيالكوت في رعاية صديق أبيه يدرس فيها ،
وبعد أن حصل على شهادة الكلية الاسكتلندية بدرجة ممتاز ، التحق بكلية
الحكومة " بلامور " (١) وتقلب في عدة مناصب .

د وافق الاصلاح :

=====

المسلم الحقيقي الذي يخشى على دينه مما يتعرض له ، يحاول محاولة
جادة للاصلاح ، ومما دفع اقبال لحركته الاصلاحية تخلف المسلمون عن المشاركة
في السيطرة على الطبيعة والواقع ، وفهم المسلمين للاسلام فهما خاطئاً
لا تصالهم واختلاطهم بغير المسلمين ، واستطاع أن يتمكن منهم الفهم الخساطي
بسبب التأخر الذي وصل اليه حال العالم الاسلامي ، من فهم لهم بأن

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د . محمد البهي ،

العالم الطبيعي الذي يمشون فيه يجب أن يحضروا عنه وأن المادة يجب تجنبها ، ومن ذلك " الصوفية الإيرانية " هي التي أبعدت المسلمين عن حياة الانسان المسيطر على الطبيعة والواقع ، واقبال يريد من المسلم الحقيقي أن يكون عاملا غير متواكل ، قريبا من الله لا بعيدا عن ذاته ومقدساته محتفظا بشخصيته هذه العوامل هي التي دفعت اقبال الى تفكيره الاصلاحى (١)

المسلم المعاصر :

يتحدث اقبال عن ظروف المسلم المعاصر ، كدافع من الدوافع التي حملته على الاصلاح ، وهي ظروف الانسان الذي يعيش مرددا بين قديم أصيل خصب ، لم يستطع يوضعه الحالى أن ينقله الى الحياة كما يعيشها عصره ، من الانخداع وراء الجديد البراق دون النظر الحقيقي الى الجوهر هذه النظرة السطحية هي سبب ركود التفكير لدى المسلمين ، يقول اقبال :

" ظل التفكير الدينى فى الاسلام راكدا خلال القرون الخمسة الأخيرة وقد أتى على الفكر الأوربي زمن تلقى فيه وحي النهضة الاسلامية . ومع هذا فان أبرز مظاهره فى التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون فى حياتهم الروحية نحو الغرب . ولا غبار على هذا المنزع ، فان الثقافة الأوربية فى جانبها العقلية ليست الا ازدهارا لبعض الجوانب الهامة فى ثقافة الاسلام ، وكل الذى نخشاه هو أن المظهر الخارجى البراق للثقافة

(١) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى الحديث ، د . محمد البهسى ،

الأوروبية قد يشل تقدمنا فنصجز عن بلوغ كنهها" (١)

هذا هو موقف اقبال من الثقافة الأوروبية ولغت النظر الى خيرها وشرها
وهذا هو دوره في الاصلاح ودعوته التي كرس لها حياته ، وهذا موقفه
الواعي ، من الثقافة الأوروبية بخيرها وشرها وأزهارها وأشواكها ، فأثنى
عليها وحذر منها ، فلا تقبل عليها من غير وعي ، ولا نتركها من غير سبب .

اصلاح الفكر الدينى :-

ان اقبال استطاع أن يسير في طريق الاصلاح الذى رسمه لنفسه ،
نابعا من عقيدته الاسلامية ، ناظرا الى ما وصل اليه حال العالم الاسلامى ،
وحاجتهم الى الاصلاح لذلك عبر عن حركته الفكرية بـ " اعادة بناء الفكر
الدينى فى الاسلام " دون التعبير بالاصلاح الدينى ، لأن أى محاولة
انسانية تدور فى محيط الاسلام ، لا تتعلق بتعديل مبادئه ، طالما أن مصدره
هو القرآن الكريم له صفة الجزم والتأكيد والأبدية وأية حركة اصلاحية فى
الاسلام ، بعد ذلك ، هو اذن فى دائرة الفكر الاسلامى حوله ، وفى دائرة
اتهام المسلمين لمبادئه ، وأى تطور للاسلام يجب أن يكون بها المعنى فى
دائرة اتهام المسلمين ، وتفسيرهم لتعاليمه ، وليس هناك تطور للاسلام
نفسه لأن الوهى به قد انتهى على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى الحديث د . محمد الهبى

ختمت برسالتة الرسالة الالهية .

واصلاح الفكر الدينى فى الاسلام " وعند اقبال " يقوم على طلب تغيير
الوضع الذى وصل اليه المسلم الآن - بسبب ضعف عقيدته الاسلامية ، و
والغزو الفكرى الذى يسمى اليه أعداء الاسلام ، من الفرد الى الجماعة
الاسلاميه بسبب ضعفها وعدم وقوفها صفا واحدا فى وجه أعداء الاسلام (١) .

ومحمد

فهذه هى الحالة الدينية فى عصر الرافعى وقد رأينا موقف الامام
محمد بن عبد الوهاب منها فى نجد ، ومحمد اقبال فى الهند ترى
ماذا كان موقف الرافعى منها فى مصر وفى العالم الاسلامى بأسره : هذا
ما ستجيب عنه مفصلا ان شاء الله فى الباب الرابع من هذا البحث .

(١) الفكر الاسلامى - الحديث وصلته بالاستعمار الغربى الحد يث

د . محمد البهى ، ط ٦ - سنة ١٩٧٠ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥

الإبائِ الثاني

حياة الرافعي

الفصل الأول:

أسرته ومولده

الفصل الثاني:

نشأته العلمية

الفصل الأول

أسرته و مولده

الموطن الأول للأسرة في طرابلس الشام ، وانتقالها الى مصر في أواخر القرن الماضي ، وتوليها مناصب القضاة :

مصطفى صادق الرافعي سوري الأصل ، مصري المولد ، اسلامي الوطن ، فأسرته من طرابلس الشام ، يعيش على أرضها أهله ونوعيته ورأس الأسرة هو المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ بطرابلس الشام ، ويتصل نسبه بعمربن عبد الله بن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين - رضی الله عنه - وأول وافر من هذه الأسرة الى مصر هو المرحوم الشيخ محمد الطاهر الرافعي ، وقد مها في سنة ١٢٤٣ هـ (قريبا من سنة ١٨٢٧ م) ليتولى قضاء الحنفية في مصر بأمر من السلطان العثماني في الأستانة وقد أنجب الشيخ محمد الطاهر فتاة وطلاما ، انتهى بموتها نسبه فليس في مصر أحد من ولده ، ولكنه كان فاتح الطريق لهذه الأسرة ، وبعد ذلك توافرت له أخوته وأبناء عمومته الى مصر ، وأسرة الرافعي تعرف بالفقه في الدين ، وبذاهبهم الحنفية ، وقد كثرت هذه الأسرة حتى اجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضيا في مختلف المحاكم المصرية ، حتى أوشكت أن تكون وظائف القضاة ، مقصورة على آل الرافعي ، ولما توفي المرحوم الامام الشيخ عبد القادر الرافعي ، دعه الخديو عباس الى تولي وظيفة الافتاء ، وكان رجلا ورعا تقيما وخشيا على نفسه من هذا المنصب خوفا منه على دينه ومروته ، وقد رشحه الخديو

لتولي منصب (مفتي الدولة) وهو في طريقه اليه أخذ يدعو الله أن يصرف عنه هذه الوظيفة ، في أثناء نزوله من العربة فارقت الحياة ، وأبو الأستاز الرافعي هو المرحوم الشيخ عبد الرزاق الرافعي ، كان رئيسا للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم ، وهو واحد من أحد عشر أخا اشتغلوا كلهم بالقضاء من ولد المرحوم الشيخ سعيد الرافعي وظل الشيخ عبد الرزاق رئيسا لمحكمة طنطا الى آخر أيامه وأم الرافعي كآبيه سورية الأصل ، وكان أبوها الشيخ الطوخي تاجرا يسيرا بقوافل التجارة بين مصر والشام ، وأصله من حلب وقد اتخذ مصر وطن له ، وعاش بها قبل أن يتصل نسبه بأسرة الرافعي وهذا وقد ولد مصطفى صادق الرافعي في قرية بهتيم من قرى مدينة القليوبية بمصر

سنه ١٨٨٠ (١) .

الفصل الثاني

=====

نشأة التعليم ، وثقافته الخاصة (دينية ومدنية)
وأثرهما في تكوين شخصيته الإسلامية المجاهدة

=====

نشأ مصطفى الرافعي في أسرة مشبعة بالدين ، عريقة الجذور في
أمور القضاء ، وتولى مناصبه ، وقد كان لهذه الأسرة اهتمام كبير بالقرآن والدين
وهما المادة الأولى في هذه المدرسة العريقة التي تسير هذه الأسرة على —
منهاجها منذ انحدر أولهم من صلب الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه — وعلى هذه النشأة نشأ مصطفى صادق الرافعي ، فاستمع
إلى أبيه أول ما استمع من تعاليم الدين ، وحفظ شيئاً من القرآن ، وفهم كثيراً
من أخبار السلف ، فلم يدخل المدرسة إلا بعد ما جاوز العاشرة بسنة أو سنتين
فقط سنة في مدرسة مشهور الابتدائية ، ثم نقل أبوه قاغيا إلى
محكمة المنصورة الأميرية ، فنال الشهادة الابتدائية وسنه يومئذ سبع عشرة
سنة أو دون ذلك بقليل ، عندها أصيب بمرض التيفوئيد ، وبعد أن شفئ
هذا المرض أصيب بالضم في أذن واحدة ، وبعد فترة تبعثها الأخرى ، وكان

صوته أن يختفى ، ولكن رحمة الله وعنايته تداركه ، وأصبح يستطيع الكلام ولكنه لا يسمع ، وذلك انقطع عن دنيا الناس ، وعاش في دنيا الكتب التي كانت له معيناً على ما يريد من أمر الدنيا ، وتمكن من تحقيق ما تصبو اليه نفسه ، واستطاع أن يسمع الناس ما يريد يظلمه الفند ، وأفكاره النيرة ، وذلك لم يستطع أن يكمل دراسته بعد الشهادة الابتدائية ، فانه استعاض عن تعليم المعلمين بتعليم نفسه ، وقد كان معيناً له على ذلك مكتبة أبيه الحافظة بنوادير الكتب من الفقه والدين والعربية . وكذا مكتبة الجامع الاحمدى ومكتبة القصبي بطنطا وكلتاهما من المكتبات الشهيرة الزاهرة بأهيات الكتب ونقائس المخطوطات ، فأخذ يتزود منها زاده ، من العلوم والمعرفة ، وأخذ يعد عدته ، وكان له ما أراد من انفتاح عقله لا لوان من الثقافة ، وأحاط بكل ما فى المكتبة ، وقد مكنته ثقافته الواعية أن يدخل الى دنيا الناس بالقلم والفكر والوجدان ، من خلال كتاباته التي تعبر عن القيم الاسلامية والاخلاقية والاجتماعية .

هذه هي ثقافة الرافعي الأديب العملاق الذي كان حاميا للذين
وما زالت آثاره تحمى الدين ، بما تحويه من أفكار جمة عميقة وبرهاننا
قويا ، وحجة داحضة لاعداء الدين الذين يحاولون النيل منه ، والتصدي
له ، ان ثقافة الرافعي نتيجة لجهده المتواصل في القراءة لمدة ثمانى
ساعات متواصلة لا يمل ولا ينشد الراحة لجسده وأعصابه ، ولا يقف
الامر عند قراءته الثمانى ساعات فقط بل يقرأ فى كل مكان
فى الديوان ، وفى القطار عند ما كان أول عهد
بالوظيفة كاتبا بمحكمة طلخا ، فكان يسافر كل يوم
ويمود ، فياخذ فى الذهاب والاياب (ملازم) من أى كتاب
ليقرأها فى الطريق ، لقد كان لثقافة الرافعي
العميقة أثرها الواضح فى كتاباته ، مما جعل شخصيته تظهر
بأسلوب الكاتب الذى أسهم فى كل الفنون
الأدبية ، وكان له فيها تفوق ونبوغ بما
أظهره من فنون القول والأدب الوفيير ، والفلسفة
العميقة بالجمال الفصيحة المشرقة بالأدب السامى الثرى باللغة والبيان والفكر
الناضج . (١) .

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٢٨ - ٣٣ .

شيوخه في الأدب

ان الرافعي كان لا يعرف لنفسه أستاذا في الأدب والانشاء وهو فنى بد حياته لم يكن هدفه أن يكون كاتباً ، ولكن الظروف التي أحاطت به جعلته كذلك ، وقد قرأ الرافعي كثيراً فمذهبه في الكتابة من صنع نفسه واختياره ، الذي كونه بمجهوده الشاق ودروسه المتواصلة ، فرأى أدباء العربية وكتابتها ، وكانت قراءته في الأكثر لاثنين من كتاب العربية ، هما الجاحظ ، وصاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني . وكان شديد الإعجاب بهما ، وكان عندما يريد الكتابة بعد أن يجمع عناصر موضوعه في فكره أو مذكرته يفتح جزءاً من الأغاني أو كتاباً من كتب الجاحظ يقرأ فيه شيئاً مما يتفق ليعيش فترة ما قبل الكتابة في جو عربي فصيح .

ويعتقد أن الرافعي قد تأثر في أول أيامه بما كان يكتب الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب مجلتي " الضياء والبيان " ولقد أوضح اليازجي تأثره الأدبي بفكتور هوجو في أسلوبه يقول الرافعي :
" ان كلمة قرأتها ليفكتور هوجو كان لها أثر في الأسلوب الأدبي الذي اصطنعته لنفسه "

قال الاستاذ فرج أنطون مرة : ان لهوجو تعبيرا جميلا يعجب به الفرنسيون كل الاعجاب ، قوله يصف السماء ذات صباح " وأصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل " قال الرافعي : " واعجبتني بساطة التعبير وسهولة المعنى فكان ذلك حذوي من بعد في الانشاء " (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٧٦ .

إبراهيم شاعر الحسـن

أحب الرافعي الشعر في أول نشأته ، فكانت رغبته أن يكون شاعرا ، من شعراء العربية ، ان لم يكن خير شعرائها ، دفعه أمه لتحقيق غايته ، ويسر له كل صعب أمامه وسعى ما وسعه السعي لتحقيق ما يريد ، وقد يكسب اعتداده بنفسه وكبرياؤه ما جعله قوي الحجة ذرب اللسان فيما بعد .

ان صفات الرافعي مكنته أن يكون كما أراد من شعراء العربية وقد سار الرافعي بخطى حثيثة ثابتة للوصول الى مبتغاه ، وقد تثقف بثقافة واسعة من الأدب القديم ، واستطاع أن يعرف من تراث شعراء العربية ما مكنته من إصدار دواوينه فيما بعد . وكان يتطلع الى شاعرين من شعراء عصره هما البارودي وحافظ أما أولهما فكانت له زعامة الشعر ، وأما الثاني فكان جديدا على الشعر ، فأخذ الرافعي يقارن بينه وبين نفسه ، ولكن حافظا كان أسبق منه الى الشهرة فضلا عن منزلته عند البارودي زعيم الشعراء ، ومكانته عند الشعب ، وبدأ الرافعي يستجمع قواه ويعد العدة للمعركة والكفاح ، فأكد علاقته مع البارودي ، وعقد الصداقة بينه وبين الأستان الامام ، وأخذ يتحدث في المجالس وينشر في الصحف بأنه شاعر الحسـن ، وأن حافظ لا يقول في الغزل والنسيب .

ورغم هذه المنافسة الا أن صلة الود بينه وبين حافظ قوية وفي هذه الاثناء التي يسعى فيها الرافعي للظهور واثبات وجوده كشاعر قدم الى مصر شاعر العراق الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمي ، ونشرت له الصحف قصيدة قرأها الرافعي فأعجبت ورأى فيها فنا ليس من فن الشعراء المعاصرين الذين قرأ

لهم ، فسعى الراقعي جهده للتعرف عليه حتى يقتبس من أدبه ، ولكنه عندما ذهب اليه رده ردا غير جميل إذ أن الكاظمي كانت فيه أنفة وكبرياء واصطدمت كبرياء بكبرياء وذهب الراقعي وكتب مقالة أو قصيدة على ما يقال قتل فيها من شأن الكاظمي ومكانته وما كان هذا شعور الراقعي حقيقة نحوه ولكن للفت الانتباه بقصد الانذار والتخويف ، وكان لهذه الكلمة رجع الصدى في تقوية الصلة بين الراقعي والكاظمي ، وصفت نفسيهما ، وأصبحا صديقين حميمين ، هؤلاء الثلاثة البارودي وحافظ والكاظمي هم الشعراء الذين تأثر بهم الراقعي في شعره .

بدأ الراقعي يقول الشعر ولما يبلغ العشرين من عمره ، ينشر في الصحف وفي مجلات السوريين التي تصدر في مصر وكانت المجلات الأدبية كلها إلى ذلك الوقت في أيديهم ، فمجلة الضياء والبيان ، والثريا ، والزهر ، والمقتطف وسركيس والهلال ، وغيرها . كان يقوم عليها كلها جماعة من أدباء سورية كالبيستاني ، واليازجي ، وصراف ، وجورج زيدان وسليم سركيس وغيرهم ، فما كانت سنة ١٩٠٣ م وعمر الراقعي يومئذ ثلاث وعشرون سنة ، نشر حافظ إبراهيم ديوانه ، وقدم له بمقدمة بليغة كانت حديث الأدباء في حينها ، وطال حولها الجدل حتى قال بعضهم أنها للمويلحي ، ووجد ديوان حافظ حفاوة بالغة وثناء مشكورا ، ومن هنا بدأت الغيرة تتسرب إلى نفس الراقعي ، وبدأ يهمل جاهدا حتى يصل بديوانه للمستوى الذي وصل إليه حافظ وصدر الجزء الأول من ديوان الراقعي بعد ديوان حافظ بقليل ، وقدم له بمقدمة رائعة فصل فيها معنى الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته ، وهي أول ما كتب الراقعي

وان كانت مقدمة ديوان حافظ قد ثار حولها من الجدل ما حمل بعضهم على نسبتها للمولحي ، فقد حطت هذه المقدمة الاديب الناقد الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي على الشك في أن يكون كاتبها من ذلك العصر ، مما يخادع نفسه في قدرة الرافعي على كتابتها .

استطاع الرافعي أن يحقق ما تصبو اليه نفسه وذلك بعد نشر الجزء الأول من ديوانه عام ١٩٠٣ م ، واستطاع أن يلفت اليه أدباء عصره وواصل الكفاح فأصدر سنة ١٩٠٤م الجزء الثاني من الديوان ، وفي سنة ١٩٠٦ م ، أخرج الجزء الثالث في سنة ١٩٠٨م الجزء الأول من ديوان المنظرات ، وتحدث الأدباء والشعراء عن الرافعي الشاعر وبقى على مذهبه حتى سنة ١٩١١ ثم تحول من الشعر الى الكتابة وتوجه وجهة جديدة سيرد ذكرها فيما بعد . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد الصريان ، ص ٤٣ - ٥١ .

الإرضاء وشعراء عصره

لقد عاش الراضى الشاعر فى أول هذا القرن ، فكان حافلا بالشعراء
من لم يجتمع منهم فى زمان أو مكان ، ولقد تأثر الراضى بهؤلاء الشعراء
المعاصرين ، ويتضح مبلغ تأثره بهم من حديثه الذى نشره فى مقالة فى عدد
يناير ١٩٠٥ م من مجلة " الثريا " بتوقيع (✨) نجم ولقد أخفى اسمه بهذا
الرمز خوفا من التهمة ، وحتى يحصل على مكان من الدعاية لنفسه ، وقصد
نظم الشعراء فى طبقات ثلاث ، وجعل نفسه فى الشعراء رابع الطبقة الأولى
وكان ترتيبه كما يلى :

الطبقة الأولى :

الكاظمى ، والبارودى ، وحافظ ، والراضى .

الطبقة الثانية :

صبرى ، وشوقى ، وصاربان ، وداود عمون ، والبكرى ، ونقولا رزق
وأمين حداد ، ومحمود واصف ، وشكيب أرسلان ، ومحمد هلال ابراهيم ثم
حبنى ناصف .

الطبقة الثالثة :

الكاشف ، والمنفلوطى ، ومحرم ، وامام العبد ، والعربى ، ونسيم
ثم أضاف اليهم اثنين من شعراء العراق : السيد ابراهيم ، ومحمد النجفى .

وقد افتتح الراضى مقاله بما يأتى :

" قرأت فى بعض أعداد " الثريا " كلمة عن " الأديب قديما وحديثا "
خطت : كلمة مألوفة . ولم ألبث أن رأيت جطة أخرى لأديب غير على الشعراء ،

كان رأس الشعر بين أولها وآخرها كأنما شدخ بين حجرين ، فقلت : انسى
أنظم الشعر فأسر ، وأقرأ عنه فأسر ، فمالى لا أنفثها والقوم قد أصبحوا
يتنافسون فى أسماء الشعراء كما يتنافسون فى القاب الامراء ، وقد استويا نفس
الزور ، فلا أكثر أولئك شاعر ولا أكثر هؤلاء أمير !

* ثم رأيت بعد أن عزم الله لى كتابة هذا المقال أن أحرره بغير توقيع ، وان
كنت أعلم أن أكثر من يقرأونه كذلك سيخرجون من خاتمة كما لو كانوا أميين لم
يقرأوا فاتحته ، فان الحكمة كلها والمعرفة بجميع طبقاتها أصبحت فى أحرف
الأسماء ، فان قيل كتاب لفلان . . قلنا : أين يباع ، وان كان من سقط المتاع
على أن اسى قد لا يكون فى غير بطاقتى وكفى الى أصحاب القليلين ، ونسى
سجل بعض الجرائد والمجلات فليظننى القارى ما ضرب على رأسه الظن . .
* وسأذكر فى هذه الاسطر كل من عرفته أو اتصل بى اسمه من الشعراء ،
وأقطع عليه رأى ، فاما وسعه فكل به ، واما أظهره كما هو فى نفسه ، لا كما
هو عند نفسه ، ولذلك فقد ضمتهم الى ثلاث طبقات ، وجاريت فى تسمية
بعضهم بالشعراء عادتنا المألوفة *

ثم كتب بعد ذلك رأيه فى كل شاعر مما أثار الشعراء والأدباء عليه نفسى

الصحف والمجلات . (١)

الرافعي وأغانى الشعب

لقد وفق الرافعي في تأليف الأناشيد الوطنية ، التي تفيض حماسة بالأنشيد العربية ، وهو بذلك جرى أن يسمى " شاعر الأناشيد " وقد ولع منذ صغره بالأنشيد الوطنية ، والأغانى الشعبية يفتن في نظمها ، ويصعد في أوزانها وأساليبها ، ففي سنة ١٩٠٣ م أخرج صدر الجزء الأول من ديوانه بضع قصائد وطنية ، تفيض عاطفة وتشتعل حماسة (١)

وهو في مستهل حياته الأدبية انتشرت قصائده ومقطوعاته ذات الصفة التربوية ، وانتظمت حماسة على السنة لملبة المدارس ومنها قوله : الذي جمع عناصر الفكرة القومية كلها في بيت :

" بلادى هواها في لسانى وفي دوى . . . يمجدها قلبى ويدعولها فى " (٢)

وقد عرف الرافعي بتفوقه على شعراء العربية في هذا المجال ، وقد سار شوطا بعيدا في هذا المجال فأخرج ديوان أعانى الشعب " وأخرج مجموعة كبيرة في هذا المجال بعضها نشر والآخر لا يزال بين أوراقه الخاصة ومؤلفاته التي لم تنشر.

ولذا خلد اسم الرافعي وكتب له البقاء على مرور الأيام والسنين بسين شعراء العربية ، فلم يكن ذلك من أجل أنه ناظم ديوان الرافعي أو ديوان النظرات ، أو المدائح الطكية في المغفور له الملك فؤاد أو قصائد الحبيب ، ولكنه سيخلد لأنه شاعر الأناشيد وأشهر أناشيد " أسلمى يا مصر " و " السى العلالى العلابنى الوطن " و " حماة الحمى " ولكل نشيد تاريخ . (٣)

-
- (١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٨٣ .
 - (٢) أغاريد الرافعي ، مصطفى نعمان البدرى ، ص ١٠ ، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر .
 - (٣) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٨٣ . ٨٤

من الشعر الى الكتابة

استلغ الرافعي أن يحقق أمنيته ، وأن تكون له مكانة مرموقة بين الشعراء منذ أوائل هذا القرن ، وبلغ ما أراد ، وأمتد به الأمل الى اتجاه جديد ، فأخذ يروض قلمه على الانشاء لعله يصل فيه الى ما وصل في الشعر ، فكتب بعض مقالات مصنوعة ، كانت سببا في اعجابه بها ، وبعد هذه المقالات أصدر كتابا مدرسيا سماه ملكة الانشاء ، يكون نموذجا للمتأدبين وطلاب المدارس ، ووجد قراءه أن ينتظروه ، ولكن هناك أمورا جدت فيما بعد صرفته عن وجهه فبقى الوعد قائما بينه وبين قرائه حتى نسيه ونسوه .

ولم يفتقد قراء الرافعي عدم نشر الكتاب ، ويكفي الباحثين والأدباء في التاريخ الأدبي أن يقرأوا من هذا الكتاب الذي لم يظهر على الوجود مقالات ثلاث نشرها الرافعي في الجزأين الثاني والثالث من ديوانه ، وفي الجزء الأول من ديوان النظرات . (١) .

(١) حياة الرافعي ، سعيد المرمان ، ص ٦٤ .

انشاء الجامعة المصرية

وتاريخ آداب العرب

في سنة ١٩٠٧ م ، أنشئت الجامعة المصرية ، ومضى على انشائها سنتان ، ولم تستحدث جديدا يفتقر اليه الرافعي وما تحدث أساتذتها حديثا في الأدب لا يعلمه ، وهو كُرف من يومها أن له قيمة ، فأخذ يتحين الفرص ، وطال انتظاره ، ولكن الجامعة لم تثبت له ان فيها جديدا من دروس الأدب ، فكتب مقالا في "الجريدة" يحمل فيه على الجامعة وعلى اساتذة الجامعة ، وعلى منهج الأدب في الجامعة ، وكان لهذا المقال أثره في الأجواء الجامعية ، فاجتمعت اللجنة الفنية للجامعة وعرضت جائزة مقدارها مائة جنيه لتأليف كتاب في " أدبيات اللغة العربية " وحدد موعد للكتاب مدته سبعة أشهر ، وقرأ الرافعي دعوة الجامعة ، فلم يوافق ولم تسكن نفسه ، فكتب مقالا ثانيا في "الجريدة" ينعته فيه الجامعة ولجنة الجامعة ، ويرفض الدعوة التي دعت ، وبشيت أن الذين دعو الدعوة الى وضع الكتاب ، وحددوا موعد سبعة أشهر انما أعوزتهم الحاجة الى كتاب فأخذوا يبحثون عنه في ضوء الجائزة ، وأخذ ينتقد هذه الطريقة التي اقترحتها الجامعة ، متسائلا كيف يمكن تدريس الكتاب لغير مؤلفه ، فيكون الحاضر كالفائب عنهم ، ويروى أن الدراهم لا قيمة لها الا انها مصدر التلقين ، فاذا طبع الكتاب صارت كل مكتبة في حكم الجامعة ، لأن العلم هو الكتاب لا الذي يلقيه ، والا فما بالهم لا يعهدون بالتأليف لمن سيعهدون اليه بالتدريس ؟ ، وهل يقتصرون على أن يكون من كفاية الأمتان القدرة على

استنباط الدرس ، واستجماع مادته حتى لا يزيد على أن يكون هو بين تلامذته
التلميذ الكبير .

ثم يتساءل الرافعي ويضع اللوم على الجامعة التي نقضت يدها من قسوم
هم رؤساء الصداقة ، وظهور مناصبها العالية والسنة والحكم فيها ، ثم تلتبس
من ضعف الافراد ما لم تؤمله في قوة الجماعة وهي تعلم أن الحمل السذبي
تتوزعه الاكف يهون على الرقاب .

وعادت الجامعة تفكر في الامر ثم أعادت نشر المسابقة لتأليف الكتاب ،
وزادت الجائزة الى مائتين والمدة الى سنتين وتعهدت بطبع الكتاب المختار ،
وأعد الرافعي العدة لتأليف الكتاب ، مثابرا ساعيا الى تحقيق ما تصبو اليه
نفسه ، من مجد ورفعة بتصميم وعزيمة ، واستطاع أن ينتهي من كتابة في منتصف
سنة ١٩٠٩ ، وفرغ منه واتم طبعه في سنة ١٩١١ م قبل أن يأتي الموعد
المحدد الذي حددته الجامعة ، ولم يكن الرافعي طامعا في جائزة ، ولذلك
لم يتقدم اليها بكتابه ، ترفعا عن قبول الحكم فيه لجماعة ليس منهم من أبصر
بالمحكوم فيه ، ولعله كان يوئل يومئذ أملا أكبر من الحصول على جائزة الجامعة ،
فكان أسبق المؤلفات ظهورا الى الجامعة ، الجزء الأول من كتاب جورج زيدان
ثم هذا الكتاب الذي سبقه بشهر أو شهرين سبقا مطبعيا . (١) وقد ساعد
الرافعي على تأليف الكتاب واظهاره بالصورة الرائعة التي أوصلته الى المجد
والشهرة ، وجعلته من الأدباء المشهورين بحثه المتواصل ، وسعيه الدائم .

(١) تاريخ آداب العرب مصطفى الرافعي ج ١ ص ٦ - ٨

وقد مكنته من جمع وسائل البحث لكتابه مكتبات ثلاث : بطنطا ، كلها طبع بنوادير
الكتب العربية ، مطبوعها ومخطوطها هي ؛
مكتبة الرافعي - ومكتبة الجامع الاحمدى - ومكتبة القصبي - وقد ساعده
على اتمام كتابه من وسائل الطبع ، ما ساعده به مدير الغربية الانيب المرحوم
محمد محب باشا من معونات أدبية ومادية ، وقد نال هذا الكتاب قيمة
أدبية عظيمة ، وكان له منزلا محمودا بين الأدباء ، ونال الثناء والتقدير ،
ولم ينله بالنقد الا الاديب طه حسين الذى كان فى ذلك الوقت طالبا بالجامعة
قال فى مقال نشرته الجريدة سنة ١٩١٢ " هذا الكتاب الذى نشهد الله
على أننا لم نفهمه . . . " ولكنه عاد فصحح رأيه سنة ١٩٢٦م ، فاعترف بأنه لم
يعجبه أحد ممن الفوا فى الأدب والفنون الا الأستاذان مصطفى الرافعي ، فهو
قد فطن لما يمكن أن يكون من تأثير القصص فى انتحال الشعر واضافته الى
القدماء ، كما فطن لاشياء أخرى قيمة وأحاط بها احاطة جيدة فى الجزء الأول
من كتابه تاريخ آداب العرب ، وقد وجد الرافعي مكانا عظيما بين أدباء عصره
وشغل به العلماء وقت غير قليل ، مما يدل على قيمة الكتاب الأدبية ما قاله
الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد فى " الجريدة " :

" قرأنا هذا الجزء ، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه ، يدل على أن المؤلف
قد ملك موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من
السهل أن تجتمع له الأغراض التى بسطها فى هذا الجزء الا بعد درس طويل
وتعب ممل وأما أسلوب الرافعي فى كتابه فانه سليم من الشوائب الأعجمية التى تقع
لنا فى كتاباتنا نحن العرب المتأخرين ، فكأنى وأنا أقروءه أقرأ ظم المبرد فى
استعماله المساواة والباس المعانى الفاظا سابعة مفصلة ، لا طويلة تتعثر فيها

ولا قصيرة عن مداها تورى ببعض أجزائها
وكتب عنه الأمير شكيب أرسلان - وهو أشهر كتاب العربية في ذلك الوقت
مقاله في صدر المؤيد جاء فيها :
" لو كان هذا الكتاب خطأ محجوما في بيت حرام اخراجه للناس منه ، لا استحق
أن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله في نواشى الأسفار ، لكان جديرا
بأن يعكف عليه"
وأسلوب الرافعى في هذا الكتاب أسلوب العالم الأديب ، يجد فيه كل طالب
طلبتة من العلم والأدب والبيان الرفيع ، وكان الرافعى يؤمنف قد أتم الثلاثين . . .
وفي العام الثانى ، أصدر الرافعى الجزء الثانى من " تاريخ آداب العرب "
وموضوعه اعجاز القرآن والمبلاغة النبوية ، وقد أصدره في طبعة ثانية باسم
" اعجاز القرآن " وباسم الثانى يعرفه قراء العربية وقد طبعة على نفقة المغفور
له الملك فؤاد رحمه الله . ومات الرافعى وفي مكتبته أصول الجزء الثالث من
تاريخ آداب العرب ، ومعها تعليقات كان ينوى اضافتها الى الجزء الأول في
طبعته الثانية فمأجلته الضنية (١) .

لقد كان تاريخ آداب العرب أول إنتاج أدبى عظيم قدمه الرافعى
لقراء العربية وتاريخ الأدب الذى ألفه تغيير اتجاه الرافعى الشاعر
الى المنحى الجديد في ديوان الأدب والانشاء ! وأن الرافعى لم يكن له
خبرة في شىء من ذلك ، ولا كان يعنيه ولا توجهت اليه نيته ، ولكنه الف تاريخ
العرب لأنه وجد ، نفسه ميل الى أن يكتب عن تاريخ آداب العرب ، وكتب

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ٦٧ - ٧٠

في اعجاز القرآن لأن اعجاز القرآن باب في تاريخ آداب العرب ، فلما قسراً
الناس كتابيه وكان لذلك أثر عنده فيما يقول الناس ، فاذا هو في نظرم
أديب ليس كمثل في العربية واذا هو كاتب من الطراز الأول واذا هو صاحب
القلم الذي يكتب عن اعجاز القرآن يتقلم المسلم المثقف بثقافة القرآن المستزود
بزاده المتأثر بأسلوه ، ويكتب عن الاسلام فيعبر عن حقيقة المسلم والسروح
الاسلامية التي تفيض ايماناً عميقاً وشعوراً وضاءً بالحق والدين الذي أراد
الله لعباده أن يكون ، ومن هذه الجادى الاسلامية انطلق الرافعى نحو
تحقيق هدفه المنشود في الدفاع عن الاسلام ولحمائته من يريد أن ينال منه
بسوء ، وأعد نفسه للعدة وتأهب للمعركة بأضى سلاح ، بسلاح الفكر والقوة ،
والعزيمة وكان لديه ما يعينه على ما يريد وبدأ يختفى الشاعر وأخذت شمسه تميل
للفروب ، لتشرق بشمس ساطعة على العالم الاسلامى بناشر جديد أعضاء العالم
الاسلامى بأدب الفكرة الاسلامية العميقة الذي كان هدفه منها رعاية الدين
والحفاظ على العربية ، ورأى الناس تكتب في الجرائد وتتحدث عامية متفاضة
أو عجمة مستعربة تحاول أن تزاخم اللغة العربية فعرف أن اللغة العربية لن
تعود الى ماضيها المجيد حتى تعود " الجملة القرآنية " فيما يكتب الكتاب ،
ولن يكون الأدباء والكتاب حملة أقلام الا بعد أن يأخذوا من الزاد القديم في
نظر الرافعى ، وبدأ فنسى البحث والتنقيب والقراءة من جديد ، يقارن
بين ما كتب الكتاب المنشئون في مختلف العصور العربية ، يبحث عن الأسلوب
الجميل والعبارة المنتقاة ، واللفظ العذب الجزل ، والكلمة النادرة ، فيضعها
في قاموسه المحيط ومعجمه الوافى لتكون له مساعداً على ما يتحدث من أدب
جديد ، هذا سبب لتحويله من الشعر الى الانشاء ، وهناك سبب

آخر صرح به كثيرا لمن يعرفه : ذلك أنه كان يرى في الشعر العربي قيودا لا تتيح له أن ينظم الشعر كل ما يريد أن به عن خواطر نفسه ، ونهضات قلبه انه كان يعجز أن يصب في قصيدة من الشعر ما كان يستطيع أن يكتبه فسي يسر وسهولة مقالا من مقالاته الشعرية التي يعرفها قراء العربية فيما قرأوا للرافعي ، ولكنه أجاد في التعبير الجميل عن خطرات الوجدان ، وهتاف الروح وأنين القلب ، وحزن النفس ولقد كان - رحمه الله - بعبء فيه من اعتداد بالنفس يكتب المقال الفنى المصنوع ، فيقيس لفظه بمعناه ويربط أوله بآخره ويجمع بين أطرافه كل ما ينبض به قلبه من معاني السرور والألم والرجاء واليأس والرغبة والحرام ، فاذا انتهى من انشائه جلس يترنم ويعيد على سمعه الباطن ثم لا يلبث أن يلتفت الى جلسيه قائلا : أسمعت هذا الشعر؟ رأيت شاعرا في العربية يطك قوة البيان ما يجمع به كل هذه المعاني من قصيدة منظومة ؟ لقد كان شعره رائعا أقوى من الدلتة ، وكانت قوالبه الشعرية تضيق عن شعوره .

ولا يعتقد أنه كان يعنى ما يقول حين يزعم أن القيود في الشعر العربي من أسباب الضعف في الشعر ، فهو لم يصرح بهذا الرأي وقد أنكر في نقده الأدبية مثل هذا القول على أديب من الأدباء وراح يتهمه بمحاولة الغض من قدر الشعر في العربية ، فما كان يقول ذلك الا تعبيرا عن معنى تأبى كبرياؤه الأدبية أن يصرح به . لقد اتجه الرافعي الى هدفه الجديد . وأصبح يقول الشعر بين الفينة والفينة اذا وجد باعنا من بواعث النفس على قوله وقد عاد الى الشعر عندما مع شغاف قلبه الحب سنة ١٩٢٣ م فدعته نفسه وعندما اتصل ببلاط الملك فواد سنة ١٩٢٦ م فدعته داعية الجماعة. (١)

الرافعي والنقد

لقد كان الرافعي ناقداً عنيفاً حديد اللسان ، ومن أجل ذلك كانت له معارك كثيرة مع بعض الأدباء ، وكان معتداً بنفسه متمسكاً بلغته العربية ، لأنه يرى أن الدين واللغة لا ينفصلان فهماً كاللغتين الواحد لذلك كان هجومه شديداً دون هوادة أو رحمة أو ممانعة ، وعندما مات ترك وراءه صدى من الخصومات بين أدباء عصره ، وقد أحدث موته اهتزازاً في الدول العربية ولكن خصومه لم يمهزأفتدتهم نياً وفاته في الدول العربية ويكتبوا لأهله كلمة عزاء* إلا رجلاً واحداً هو الدكتور طه حسين وهو بذلك أنزله الخصوم .

وأول ما عرف للرافعي في النقد ، مقالة في " الثريا " عن شعراء العصر سنة ١٩٠٥ ، ثم مقاله في الرد على المرحوم المنفلوطي في المنبر وكان نشر مقالا يعارض به رأى الرافعي في الشعراء وينتصف لصديقه المرحوم السيد توفيق البكري ، فكتب المرحوم حافظ يقول :

" قد وكلت أمر تأديبه اليك "

ثم كانت هناك بعض الجولات بينه وبين الجامعة المصرية عند نشأتها ١٩٠٨-١٩٠٩ ، ثم مقالات عن الجديد والقديم والعامية والفصحى في مجلتي البيان والزهر* ، ثم خصومه بينه وبين لجنة النشيد القومي في سنة ١٩٢١ ، ثم بينه وبين الدكتور طه حول كتاب " رسائل الأحران " في سنة ١٩٢٤ في السياسة الأسبوعية ، فكان هذا أول ما بينهما ثم كانت المعارك الشديدة بينه وبين العقاد ، وبينه وبين عبد الله عفيفي وبينه وبين زكي مبارك إلى ما لا نهاية

له من المصاولات بينه وبين أدباء عصره .
على أن أشهر هذه الممارك شهرة هو ما كان بينه وبين طه ، وبينه وبين
العقاد ، بل لعلها أشهر وأقصى ما في العربية ، وأنها لحقا تستحق
أن يؤرخ بها في النقد . (١)

بين الرافعي وطه

في سنة ١٩٢٢ كانت السياسة الاسبوعية هي صحيفة الأدب والثقافة
وفيهما كان يعمل الدكتور طه حسين في الأدب والسياسة معا ، وفي ذلك
الوقت لم يكن بين الرافعي وطه شيء في الصدور ، حيث أن طه كان طالبا
في الجامعة المصرية ، وكان الرافعي شاعرا ، ولم يكن من الكتاب
المشهورين إلا بعد ما نشر مقالته المشهورين " في الجريدة " ينقد بهما
أساليب الأدب في الجامعة ، عندها توجهت إليه الأنظار ، فلما ألف كتابه
" تاريخ آداب العرب " في سنة ١٩١١ عرف الأدباء العالم المؤرخ ، وعرف
طه حسين الطالب بالجامعة .

وفي سنة ١٩٠٨ أو ١٩٠٩ زار الرافعي ادارة " الجريدة " لبعض
شأنه ، وحيا العاطلين في الجريدة ولم يحى طه رغم معرفته به ، فأثر ذلك في
نفس طه وحفظها له . (٢)

هذا ما رواه سعيد العريان في كتابه " حياة الرافعي " لكن محمد سيد كيلاني
فيقول في كتابه (طه حسين الشاعر الكاتب) : ان بداية المعركة بين الرافعي

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

وطه حسين في سنة ١٩١٢ عند ما نشر حفي ناصر خطابا موجهما الى مصطفى صادق الرافعي مقرظا فيه كتابه (حديث القمر) فذكر له حسين في مقاله له أن الرافعي الح علي حفي ناصر حتى اضطره الى تقريظه بهذا الخطاب وقد بادر الرافعي الى تكذيب ذلك * (١)

من هذا المنطلق بدأت المعركة بينهما ، وساعد على ذلك ما نفخته " السياسة " من روح الحماس في الأدب ، واتخذت لها أسلوبا في الدين وفي العلم وفي الأدب ، وتقسيم الأدباء الى فرق ومفسكرات وقديم وجديد ورفعت راية الجهاد ، والرافعي كان معروفا بتمسكه بالدين والقديم ، فعرف عندما قرأ " السياسة " أنه سيكون له شأن ، وتأهب للمعركة ، وكتب كلمة الى طه يذم أسلوبه بما يشبه المدح ، ويهيب عليه التكرار وضيق الفكرة ، فنشرها طه في السياسة قبل أن يستبين مغزاها وما ترمى اليه ، عندها تهيأت أسباب الحرب للرجلين ، ونشر الرافعي كتابه " رسائل الأحرار " ثم نشر طه حسين رأيه في " رسائل الأحرار " في السياسة الأسبوعية ورفع راية العداة وأعلن الحرب ، لم يكن في الحسبان أن تصل المعركة الى ما وصلت اليه إذ أنها كانت في البداية خصومة بين مذهبين أو أسلوبين في الكتابة ، وبعد فترة أصبحت حربا ضروس يرمى فيها الفريقان بعضهما بألفاظ الكفر والالحاد والجمود والغفلة ، وانتقلت من ميدان الأدب واللفظ الى ميدان الدين والقرآن ثم الى ميدان السياسة ، والحكومة والبرلمان ، ثم الى ميدان القضاء ، ومع أن الرافعي له معرفة بها ، وليس له آراء فيها يواخذ عليها .

(١) طه حسين الشاعر الكاتب ، تتأليف محمد سيد كيلاني ط ١ سنة ١٩٦٣

ثم أخذ الدكتور طه يلقى المحاضرات على طلابه في الجامعة وبعد ذلك جمع المحاضرات في كتاب أسماه " في الشعر الجاهلي " ، وقرأ الناس رأى الدكتور طه حسين ، فقال أكثر القراء أن هذا كفر وضلال ، وقالت طائفة هو خطأ فنى الفكر واسراف في حرية الرأي ، قال الأقلون : بل هو الأسلوب الجديد لتجديد الآداب العربية وتحرير الفكر العربي ، وظل الرافعى ساكناً الى أن قرأ مقالين نشر أحدهما الأستاذ عباس فضلى القاضى فى السياسة الأسبوعية وكتب ثانيهما الأمير شكيب أرسلان فى كوكب الشرق ، فكان فيهما تنبيه للرافعى أن يعد عدته للمعركة ، وتأهب لها وكتب مقاله الأول فأرسله الى جريدة " كوكب الشرق " ، ثم مقالات ثلاث بعده ، ولم يكن قد قرأ الكتاب ولا عرف عنه الا ما نشر فى الصحف من خبره فكانت المعركة فى بدايتها :

خصومة بين مذهبين فى الأدب وفى الكتابة وفى طرائق البحث ، على أن الرافعى لم ينس أن له ثأراً عند طه فجعل الى جانب النقد الأدبى فى هذه المقالات شيئاً من أسلوبه المر فى النقد ، ذلك الأسلوب الذى لا يريد به أن يفهم أكثر مما يريد أن ينتقم ، ثم قرأ الرافعى كتاب الدكتور طه حسين ، فغضب غضباً شديداً وثار ، لقد كان شيئاً منكراً أن يزعم كاتب أن له الحق فى أن يتجرد من دينه ليحقق مسألة من مسائل العلم ، أو يناقش رأياً من رأى فى الأدب ، لم يكن كاتب من كتاب العربية ليتجرأ ، ويجعل حقيقة من حقائق الدين فى موضع شك ، أو نصاً من نصوص القرآن فى موضع التكذيب ، ولكن طه قد كتب آراءه فى صراحة جعلته موضع سخط الساخطين من المسلمين بما قاله عن القرآن والاسلام ، وتاريخ المسلمين والرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة ، وقرأ الرافعى ما قاله طه حسين فثارت ثائرتة للدين والقرآن

وتاريخ المسلمين ، ونقل المعركة من ميدان الى ميدان ، واستطاع الرافعى أن يثير صيحة كبرى حول آراء طه حسين فى كتابه ، وأثارت هذه الصيحة شيخ الأزهر ، فتأهبوا للجهاد والدفاع عن الدين والقرآن فاجتمعوا للجهاد ورأى طه حسين ما أثير من ضجة ، وأن كل شىء ضده ، فكتب الى مدير الجامعة كتابا يشهد فيه أنه يؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، ولكن الرافعى لم يقنع به وسار سيرته الجادة ، وتوجه لطله حسين بالنقد اللاذع ، والحجج القوية ، والبراهين الساطعة ، وقد تحدثت عن هذه المعركة بتوضيح أكثر فى الباب الرابع .

وإزاء هذه الحملات الشديدة التى قام بها الرافعى ، جمعت الجامعة نسخ الكتاب من المؤلف ومن المكتبات لتمنع تداوله ، لعل ذلك يخفف وطأة الفتنة القائمة التى توشك أن تعصف بكل شىء حتى بالجامعة ، ولكن الرافعى لم يتوقف بل استمر فى حملته على الدكتور طه حسين ، ولا ظهر له يومئذ غير الدكتور زكى مبارك . وقد كان لهذه المقالات أثرها على الناس بما أثارت من ضجة كبرى حتى المذنبين لم يكن لهم رأى فى شئون الادب ، ولكنه نوع من التعصب السياسى والدينى ، دافعا عن الدين .

وهكذا ظلت هذه الخصومة قائمة بين الرافعى وطه حسين ، وستظل كذلك لان مؤلفاتهما ما زالت حية تدرس بما تحمله من آراء ومعتقدات. (١)

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٥٢ - ١٥٨ .

الرافض وكليظة ودمنة

ان سخريه الرافعى من خصومه قد جعلته يتجه اتجاهها جديدا ، سار فيه على نمط كليظة ودمنة ، الذى ترجمه الى العربية ابن المقفع ، والذى لم يقدر أحد أن يحاكيه فى أسلوبه ، الا أن جاء مصطفى الرافعى ، وكانت بداية المحاكاة صادفة فى مقال من مقالات الرافعى فى طه حسين ، ان أراد أن يسخر منه على أسلوب جديد ، فلما كمل تأليفه لهذا الفصل عاد قراءته ، فاذا هو عنده شبه بأسلوب ابن المقفع ، فلا يشك أحد فى صدق روايته أنه لا بأس بالمقفع لقرب الشبه ، فنشره واستمر على هذا النشر الى أن نشر منه ثمانية فصول متتعة فى كتاب المعركة ، ان أنه أبدع للعربية انشاءً جديداً فيه لون من المتعة والطرافة ، الذى ما أن قرأه القراء حتى نال اعجابهم وثناهم ، وكان حافظاً له أن يتم بعد الفصل الأول سبعة فصول تبعته حتى أن طه حسين كان يعجب بأسلوبه رغم ما يناله فيه مما يؤلم .

وقد انتهى الرافعى من حديث كليظة ودمنة بعد انتهاء هذه المعركة وظل مهملًا "سخته الخاصة" ست سنين بعد ذلك ، حتى تذكرها سنة ١٩٣٣ ، فى أثناء المعركة بينه وبين العقاد حول "وحى الأربعين" فنشر الفصل التاسع منها فى البلاغ بعنوان "الثور والجزار والسكين" ثم نشر فى الرسالة سنة ١٩٣٥ الفصل العاشر بعنوان كفر الذبابة يعنى مصطفى كمال أتاتورك وحركته الدينية (١)

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٦٥ .

الرافعي شاعر الطك

تقدم المرحوم محمد نجيب باشا الى الرافعي أن يكون شاعر الطك ورجع الرافعي الى الشعر بعد زمن طويل ، اذ كان آخر ما نشر من الشعر هو ديوان النظرات في سنة ١٩٠٨ ، ثم لم يقل بعده الا قصائد متفرقة في أوقات متباعدة لصدى في نفسه ، أو حادث يجعله ينفعل ويقول الشعر ، وكان ممن أكثر ما قال في الشعر في الوجدانيات في سنة ١٩٢٤ ، وما لبث أن لبي دعوة الطك في أن يكون شاعره ، وكانت قصائده في مدح الطك في مناسبات مختلفة من سنة ١٩٢٦ الى سنة ١٩٣٠ ، وكانت قصائده في مدح الطك فؤاد نسيج وحدها في المديح ، تقرأ القصيدة وكأنها موضوع عام من موضوعات الشعر ، ليس من شعر المدح فلولا بيتان أو أبيات قليلة من قصيدة خمسينية أو سبعينية يخصص بهما الطك ويذكره لما أدركت قصده ، ومن يقرأها يستطيع أن يضعها في أي باب من أبواب الشعر ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى اعتراض الرافعي بنفسه ، وشخصيته القوية التي تدل على أخلاقه ومع أنه كان شاعر الطك ، فانه لم يبالغ في المديح الذي قد يفقد القصيدة جمالها بكثرة ما فيها من مبالغات . أبت على الرافعي نفسه أن يكون من الشعراء المتكسبين بالمديح ولم ينل من هذا المنصب أجر الا الجاه والشرف وكذلك يقول قصائده في المديح الا أن حدث بينه وبين الأبراشي باشا خلاف وعاد الى هجران الشعر ، بعد أن أشعل الخصومة بينه وبين عبد الله عفيفي . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ١٦٨ .

الرافعى وعبدالله عفيفى

لقد نظم الرافعى فى الموسم قصيدته وبعث بها الى القصر ، فوضعت حروفها مشكولة فى مطبعة دار الكتب ثم بعثت بحروفها الى الجريدة المختارة ، ومعها قصيدة أخرى مرصوفة مشكولة مزخرفة ، من تأليف الأستاذ عبدالله عفيفى المحرر بديوان الطك ، ونشرت القصيدتان جنباً الى جنب فى جريدة واحدة وطى نظام واحد ، وكلاهما فى مدح الطك ما يختلفان فى الشكل الا بتوقيع الشاعرين فى آخرهما ، وقرأ الرافعى قصيدة منافسه الجديد ، فتار ثورة عنيفة ، وطم أن الابراشى بهذه الطريقة يريد أن ينال منه ، وهو يرى نفسه أفضل من عبدالله عفيفى ولا يرضى أن يكون موضع مقارنة بينه وبين عبدالله عفيفى لأنه ليس من طبقتة وطم أنها مكيدة وتريد أن تزحجه من منصب " شاعر الطك " ومن هنا بدأت المعركة بين عبدالله عفيفى والرافعى ، وبدأ الرافعى يكتب فى مجلة " المصور " مقالات عنيفة بعنوان " على السفود " ، وكان الرافعى يعلم أن نقده لهذا الشاعر سيكون له تأثير بعيد فى آذان لا يرضيها أن تعرف أنه كاتب المقال فأخفى اسمه . على أن هذه الخصومة تختلف عن سائر الخصومات التى دارت بين الرافعى وأدباء عصره ، لأن هذه الخصومة نشأت للتزاحم على مرتبة " شاعر الطك " على أن خصومات الرافعى مع بقية الأدباء كانت دفاعاً عن الدين وحفاظاً على لفظة

القرآن ، فكان الاتهام فيها بالكفر والالحاد ، أما معركته مع عبد الله عفيفي فكانت اتهاما بالزيغ والغفلة وفساد الذوق ، غير أن هذه المعركة لم تكن شديدة مثل بقية معاركه وذلك لأن الطرف الثاني كان صامتا لم يرد عليها ، ولم تبد منه أي بادرة للدفاع لذلك كانت معركة ايجابية من طرف واحد .

وظل عبد الله عفيفي كذلك الى أن مات شوقي أمير الشعراء في خريف سنة ١٩٣٢ كتب الرافعي عنه مقاله المشهور في مجلة المقتطف ، وذكر فيه أن شوقي لو كان مصريا خالصا المصيرية لما تهيأت له الأسباب النفسية التي بلغت به مبلغه في الشعر لأن الطبيعة المصرية لا تساعد على انضاج المواهب الشعرية ، ولا تعين على ابراز الشاعرية الكامنة في كل نفس ، وأحدث هذا المقال ضجة كبرى ، وحاول خصوم الرافعي النيل منه بكتابة هذا المقال .

عندها تأهب عبد الله عفيفي للرد ، لأنه وجد الفرصة سانحة أمامه فكتب في جريدة " البلاغ " مقالات أسبوعية بعنوان " مصر الشاعرة " يذكر فيها شعراء مصريي مختلف الأجيال ما يراه ردا على دعوى الرافعي . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العمريان هي ١٧٣ - ١٨٠ .

بين الرافعي والعقاد

يتفق نقاد العقاد ودارسوه على أن معركته مع مصطفى صادق الرافعي كانت من أعنف المعارك التي خاضتها العقاد في حياته بل تعتبر أعنف معركة في ميدان الأثبات بوجه عام ذلك لأن الرافعي كانت له شهرته المدوية وتاريخه في الدفاع عن اللغة العربية وله في مجال الشعر قصائد ودواوين ومواقف وآراء (١) . وان أقدم المعارك الأدبية بين الرافعي والعقاد في عدد المؤيد الصادر في ١٦ مايو سنة ١٩١٤ فيه نقد للعقاد أخذه على الرافعي كان عنوانه " فائدة من افكوهة " يدور حول اضطراب القياس عند الرافعي حينما كتب عن جهاز النطق لدى الانسان والحيوان . ويهبط في العقاد في مقاله أن يكون نطق الكلب لبعض الألفاظ لأنها من حاجاته الطبيعية ، ويذهب في هذا الصدد الى أن جهاز المنطق في الحيوان مهياً للتحسن والاكتمال ، وأن الأصوات الحيوانية أصل نمت منه فروع اللغات الانسانية ويأخذ العقاد على الرافعي تناقضه بين قوله بصدور اللغة في الحيوان عن الاحساس ، وبين كونه يتعلم حرفاً أو أحرفاً من لغة الناس . فيستدرك الرافعي فيكتب في هامشه " أما الحيوان المروض المأخوذ بالعناية والتعليم والتلقين فقد يقتبس جملة من حروف اللغة التي يعلم بها ، بذلك تأتي لبعض الالمانيين أن ينطق كلبه بالفاظ خالصة من اللغة الالمانية ، ولكنها في الجملة ممن حاجات الكلب الطبيعية كالأكل والشرب فلا تخرج عن معنى الاحساس أيضاً " (٢)

(١) العقاد في معاركه الأدبية والفكرية ، سامح كريم ، دار القلم ، بيروت ،

لبنان ، ص ٩٧ .

(٢) تاريخ آداب العرب ج ١ مصطفى صادق الرافعي ص ١١١ .

ويعلق العقاد في مقاله بقوله : ان مثل هذا المقياس أفكوهة ، فلم يكن من سبيل أمام الرافعي الا أن يطنب فيذكر لغة الحيوان الطبيعيــــــــــــــــة الخالدة ولغة الهمج وموقف الحروف التي ينطقونها والتي لا ينطقونها .
وينهى العقاد مقاله بأن الرافعي منشىء مكهن ، يحسن اضطراب القياس لديه ، ويعمل القلم ولا يعمل الرأي ، لأنه لا يستطيع أن يضمن غير ذلك ، ومن هنا فان كتاب الرافعي في نظر العقاد كتاب أدب لا تاريخ أدب لأن البحث في هذا الفن يتطلب من المنطق والذكافة ومعرفة المنطق الباطني ، ما يتطلبه الرافعي نفسه ولا يجده في استعداده (١) . هـذِهِ أقدم المعارك كما ذكرها عامر العقاد ، ولكن سعيد العريان يروي قصة الخلاف بين الرافعي والعقاد فيقول :

" لم يكن بين الرافعي والعقاد قبل اصدار الطبعة الطليقة من " اعجاز القرآن " غير المحبة والصفاء ، فلما صدر هذا الكتاب في طبعته الجديدة أحدث بينهما شيئاً كان هو أول الخصام .

يقول الرافعي في ذلك : " سميت الى دار المقتطف فوافقت العقاد هناك ولكنه لقيني بوجه غير الذي كان يلقاني به فاعتذرت من ذلك الى نفسي بما الهمتني نفسي ، وجلدنا نتحدث ، وسألته الرأي في اعجاز القرآن فكأنما القيت حجراً في ماء آسن . . فمضى يتحدث في غضب وانفعال كأن ثأراً بينه وبين اعجاز القرآن ، ولو كان طعنه وتجريحه في الكتاب نفسه لهان طس ولكن حديثه عن الكتاب جره الى حديث آخر عن القرآن نفسه وعن اعجازه

(١) لمحات من حياة العقاد المجهولة ، عامر العقاد ، ص ٢٧٧ .

وعن ايمانه بهذا الاعجاز* (١)

وقد أورد العقاد رأيه في كتاب " اعجاز القرآن " بقوله : فليكن كتابه اذن نموذجا في البلاغة البدوية أو تسيحا بالآيات القرآنية أو تحية يقرأها المسلم فيرتاح اليها ويقرأها غير المسلم فلا تزيده بالقرآن علما ولا تطرق من قلبه أو عقله مكان الايمان والتسليم ، ولكن لا يقل عنه انه كتاب فـى اعجاز القرآن ، وليس فيه شاهد واحد على معجزات الكلام ، ولا هونـهـج فيه ذلك المنهج الذى أحسن فيه الجرجاني ايما احسان ، وأفاد به الأذاب العربية ايما افادة فانما الشناء على القرآن في كتابه تناهز صفحاته الأربعة حسنة طيبة يكتب للرافعى أجرها وثوابها عند الله ، ولكنـهـا لا تكتب له في سجل المباحث والعلوم ولا تعد من حسنات التفكير والاستقراء (٢)

ومن هنا بدأت المعركة بين الرافعى والعقاد ، فكتب الرافعى مقاله الأول من كتاب " على السفود " في نقد العقاد وتتابعت مقالاته من بعد فـى اعداد المجلة متوالية في كل شهر (٣) فلما انتهت نشرها الاستاذ اسماعيل مظهر في كتاب قدم له بمقدمة امضائه يبين فيها ما دفعه الى نشر هذا الكتاب الذى لم يكتب على خلافه اسم مؤلفه ورمز اليه بكلمة " بقلم امام " من أئمة الادب العربى .

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٨٥ .

(٢) ساعات بين الكتب ، عباس محمود العقاد ، ص ٢٧ .

(٣) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٨٥ .

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر في مقدمته لكتاب السفود :
" أردنا بنشر السفود أن نرضى من أنفسنا نزعناها الى تحرير النقد من
عبادة الأشخاص ، ذلك الداء المستعصي الذي كان سببا في تأخر الشرق
عن لحاق الأمم الأخرى في الحضارة .
وان نحن قد منا اليوم للسفود بهذه المقدمة الوجيزة ، وقد هم أحد أدباء
الناشرين بنشره ، فانما نقدم بها تعريفا لما قصدناه من اذاعة هذه المقالات
الانتقادية التي اعتقد بأنه لم ينسج على منوالها في الأدب الحديث حتى
الآن .

وعسى أن يكون السفود ، مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم ومثالا
يحتذى به الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص
ووثنية الصحافة في عهد البائد (١)

أما أن تكون هذه المقالات الانتقادية لم ينسج على منوالها فنعم
ولكن هذه المقالات لو اقتصر على النقد العلمي لكان كما قال الأستاذ اسماعيل
مظهر مثالا يحتذى به ، ولكنها تجاوزت النقد العلمي الى السباب الفاحش
الذي لا يليق في مجال النقد ولا ينبغي أن يحتذى به . ومن أمثلة ذلك
ما يقوله الراقعي عن العقاد :

" هذا وقد كتبنا مقالات (السفود) كما نتحدث عادة لهوا بالعقاد
وأمثاله ان كانوا أهون علينا وعلى الحقيقة من أن نتعب فيهم تعباً أو نصنع
فيهم بيانا فهم هلاهيل لا تشد أحد هم حتى يتهتك وينفتق (وينفلق) . .

(١) على السفود ، مصطفى الراقعي ، ص ٧٠ .

وانى ولما أضرب الكيش ضربة على رأسه تلقى اللسان من الفم.

ويقول الرافعى :

وللسفود نار لو تلقى ————— .°.° . جاحمها حد يد ا ظن شحما

ويشوى الصخر يتركه رمادا .°.° فكيف وقد رميتك فيه لحما ؟ (١)

(١) على السفود ، مصطفى الرافعى ، ص ١١ .

فترة حسام

انتهت المعركة بين الرافعي والعتاد ، ثم عاد الرافعي الى نفسه وعاد الى دار كتبه للمطالعة والثقافة والتزود بالمعرفة ، وترك الكتابة في الصحف والمجلات أشهرها كان في أثنائها يستعد لاتمام كتابه (أسرار الاعجاز) ويجمع في الوقت نفسه ما نشر من المقالات في الفترة السابقة ويرتبها ليخرجها كتابا يسميه (قول معروف) ، وبعد ذلك خطأ خطواته الأولى نحو القصة لم ينشر الرافعي في هذه الفترة شيئا ذا بال ، الا أحاديث كان يطيها بعض المرتزقة من كتاب الصحف الأسبوعية ، وفي هذه الفترة وكل اليه الأديب حسام الدين القدسي الوراق تصحيح كتاب " ديوان المعاني لابي هلال العسكري " وكان قد وقع منه على نسخة خطية فطبعتها بأغلاطها وتصحيحها ، ثم بدأ له قبل أن يتم طبع الديوان أن يلجأ الى الرافعي ليصحح له أغلاطه ويتم نقضه ، على أن ينشره في الجزء الأخير من الكتاب ثم ترك له كتابه بمعد أن أصلح له جزءا غير قليل .

وبعد ذلك كتب السيد حسن القاياتي في جريدة " كوكب الشرق " في الموازنة بين قول الله تعالى " ولكم في القصاص حياة " وقول العرب " القتل أنفى للقتل " فانزلق الى رأى ، وكان محرر الكواكب في ذلك الوقت طه حسين وهو من هو عند الرافعي ، ثم رد عليه الرافعي بمقالة طويلة بعنوان " كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة " نشرتها البلاغ في صفحتها الأدبية وقد أورد فيها بضعة عشر رأيا في بيان اعجاز الآية وبلغها من البلاغة وقد جعلها بعد ذلك فصلا من شواهد كتابه اسرار الاعجاز وفي هذه الفترة تم انشاء المجمع اللغوي وكان يريد أن يكون عضوا من اعضاءه ولكن ذلك لم يتم له لأنه لا يسمع وبعد ذلك كتب بحثا طويلا في البلاغ

النبوية " أنشأه تلبية لدعوة جمعية الهداية الاسلامية بالعراق ، لنشره فسى
ذكرى المولد النبوي .

وعندما انتهى الرافعى من كتابة هذا الفصل شعر بحاجة الى الراحة ،
ثم جاءته رسالة من جمعية الكشاف المسلم بالشام تطلب اليه أن يعد لها موضوعا
يما تنشره فى صحيفتها لمناسبة المولد النبوي كذلك ، ثم كتب مقاله (حقيقة
المسلم) الذى أعاد نشره فى الرسالة بعد ذلك وجمعه الى وحي القلم
وله فى هذه الفترة بضع مقالات أخرى نشرها فى مجلة " المقطف " ثم دعته
الرسالة ليكتب لها فصلا عن الهجرة فى العدد الممتاز لسنة ١٣٥٣ هـ فكان
ذلك أول عهده بالكتابة فيها ثم كانت صلته بها وعد ذلك أهدي اليه
الشاعر المهندس على محمود طه ديوانه " الملاح التائه " وكان بينه وبين
الرافعى صلة صداقة قوية ، فأنشأ مقاله فى المقطم ، تحدث فيها عن الشعر
حديثا يبين مذهبه وطريقته فى فهم الشعر وفى انشائه ثم أثنى على الشاعر
يمدح وينتقد وينصح . وتناول المازنى ديوان (الملاح التائه) فى البلاغ
بعد ما تناوله الرافعى فعاب عليه أشياء كان الرافعى يمتدحها ، وكانت
مقالة المازنى حافزا للرافعى على أن ينشئ مقاله للرسالة فى الرد عليه
عنوانها " الصحافة لا تجنى على الأديب ولكن على فنائه " كان الرافعى
معجبا بمقالاته الثلاث التى أعدها فى هذه الفترة : البلاغة النبوية ،
وحقيقة المسلم ، ووحى الهجرة . وجدت ترحيبا عند القراء ، مما شجع
الرافعى على الاستمرار فى هذا الباب من الأديب الدينى ، فوطد المزم

على أن يكتب السيرة النبوية كلها على هذا النسق الفلسفي لجعلها كتابا
يعنوان يتناول سيرة النبي المعظم - صلى الله عليه وسلم - على طريقة
التحليل والفلسفة ، لا على نسق من الرواية ، فأنشأ بعد ذلك مقالا ن
(سمو الفقر " و " الانسانية العليا " . ثم اتضح له أن هذا الفن
عسر الهضم عند كثير من القراء ، فتركه الى موضوعات أخرى يعالج بها بعض
مشاكل الاجتماع في الحياة المصرية ، وبعد فترات منقطعة يعود الى
المقالات النبوية . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٢٠٨ - ٢١٩ .

كيف كان يكتب ؟

إن الرافعي كان كثير القراءة ، وكانت هذه القراءة الكثيرة ، تهى له الجوالعربي الفصيح لكاتبه المواضيع التي يراها مناسبة ، في الصحافة وكان اختيار الموضوع عاملا هاما لأنه يعمل في الصحافة قبل اشتغاله بالرسالة ، والعمل في الصحافة يتطلب اهتماما كبيرا من الرافعي خاصة أن الرافعي له خصوم كثيرون يترصدون به اذا وجدوا الفرصة سانحة ، لذلك لما عين بالرسالة راح يبحث عن الموضوعات التي تصلح أن يكتب فيها ، فتتبع كل حدث وكل منظر يترامى له ، وأحيانا كان يتأبى له القول فلا يجد الموضوع الا في اللحظة الأخيرة ، وكان دائما في جييبه ورفات يكتب في اهداها عنوان كل ما يخطر له من موضوعات الأدب ، ومن فضلات المعاني التي كتبها وفرغ منها كان يختار " كلمة وكلمة " التي كان ينشرها على قراء الرسالة في فترات متباعدة ، لم تكن الكتابة عند الرافعي فكرة ومعنى وعاطفة فحسب ، بل كانت الى ذلك فنا وأسلوبا وصياغة ، والأدب العربي منذ كان الى أن يطوى الله تاريخه بين دفتين فكر وميكان يستحق الخلود . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٢٢٠

نقطة اجتماعية

لقد انقطع الرافعى عن دنيا الناس بسبب الصم الذى أصابه ولم يكن بين الرافعى وقراءه صلة الا من تربطه بهم صلات خاصة . كان يكتب اليهم ويكتبون اليه ، وعندما عمل بالرسالة ، فتحت أمامه آفاق جديدة ، ونافذة مطلقة على العالم الذى انقطع عنه ، ومن هذا المنطلق أصبح اتصال الرافعى بالعالم الذى حرم من الاختلاط به ، وصار مختلطاً به عن طريق الرسائل المتتابعة التى تصله مع القراء ، وكانت نقطة اجتماعية لها الأثر الأكبر فى حياته وفكره وأدبه ، وكانت هذه التطورات الاجتماعية نقلته الى عالم جديد طوى بالصور والألوان من الفن تبعث على التأمل ، وتنبه الفكر ، وتوقظ الوجدان ، وتنير الحياة بأفكار جديدة ، اسمعته ما يدور فى دنيا الناس مستمداً مادة كتابته منهم ، بدلاً من أن يكتب فقط عما يدور فى صدره وخلجات نفسه متأثراً بعواطف خارجية ، وكان هو شاعراً بهذه القطيعة ، لذلك كان يجلس الى أصحابه القليلين ليستمع منهم ويستفيد من تجاربهم ، ويعرض الحياة وشؤونها ان كانت هذه الرسائل تمثل نماذج من المشاكل التى يتعرض لها الناس على اختلافهم .

وقد كانت الرسائل التى تأتى الى الرافعى على ثلاثة أنواع :

١ - رسائل الاعجاب والثناء .

٢ - رسائل النقد والملاحظة .

٣ - رسائل الاقتراح والاستفتاء والشكوى .

وكانت أهم هذه الرسائل هي رسائل الاقتراح والشكوى والاستفتاء .
ان وجد الرافعي فيها المادة الغزيرة التي تجعله يكتب عن الناس وللناس
بالأساليب الممتعة الموثرة الجيدة بعد أن اقترب من الناس واختلط
بهم ، وكانت انطلاقة الى دنيا واسعة استطاع الرافعي أن يعرّف
الناس على حقيقتهم ، كانت له خير زاد بالالهام والاهتداء الى أفكار جديدة
نيرة ، ومعان عميقة بتراث أدبي يشهد له بالخلود والبقاء . (١)

وفاته

لقد عاش الرافعي حياته يجاهد لأمته ، ما لم يجاهد أديب في العربية
منذ قرون ، يكافح من أجل الاسلام واللغة العربية ، بروح تفيض حماسة وحمية
للدين ، وحمل الراية ووقف مناضلا الى أن وافته المنية في عام ١٩٣٧ م ،
ودفن في مقبرة الرافعي بطنطا . (٢)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

الفصل الأول

=====

آثاره العلمية

=====

تاريخ آداب العرب :

يتكون تاريخ آداب العرب من ثلاثة أجزاء تم طبع الجزء الأول منه سنة ١٩١١ ، ويتضمن الحديث في موضوعات متنوعة بيدوها بالحديث عن الأدب والمؤدبين وعلوم الأدب وكتبه ، وبلاد العرب أو اللغات العربية ، وعن الرواية والاسناد فسي الحديث .

أما الجزء الثاني منه فهو عرف حيناً باسم " اعجاز القرآن والبلاغه النبويه " وقد الفه في العام التالي من تأليفه للجزء الأول ، وفي هذا الكتاب تظهر الروح الدينيه الأصيلة والثقافة الرافعيه في حديثه عن القرآن والبلاغه النبويه ، وقد افضت القول في ذلك ، في الباب الرابع كما سنرى .

أما الجزء الثالث منه لقد كتبه الرافعي في قصاصات وأوراق مبعثه في مكتبه ووفاته المنية ولم يجمع كتاب والنظيره التي بين أيدينا هي الطبعة الثانيه وقد بمقدمتها سعيد العريان بمقدمة الطبعة الأولى وقد فيها جهوداً عظيمه بالبحث في مكتبه بين أوراقه الخاصه عن محتويات الكتاب لمعرفة موضوعاته ونهجه وتبويبه ، ولكنه لم يهتد الى شيء ، فالأوراق مجتمعة على غير ترتيب ولا نظام ، واستطاع العريان أن يحمل العبء ويتكلف المشاق بجمع الكتاب وترتيبه مستهدياً في ذلك بالجزء الأول من تاريخ آداب العرب " لعله قد بدأه مع الجزء الأول كما يقول العريان :-

" في منتصف سنة ١٩٠٩ ثم رتبته أجزاءً وأبواباً فنشر منه ما نشر وطوى

منه ما طوى" (١)

(١) تاريخ آداب العرب - مصطفى الرافعي ص ١٤ هـ ٣

وقد تم طبعه سنة ١٩٤٠ ، وهو يتحدث فيه عن تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة منه وما يلحق به ، وتنوع الشعر العربي وفنونه ، والفنون المستحدثة من الشعر ، وعن حقيقة القصائد المعلقة ودرس شعرائها ، وعن آداب الأندلس الى سقوط ومصرع العربية فيها وعن الصناعات اللفظية التي أولسح بها المتأخرون في النظم والنثر وتاريخ أنواعها ، هذه الموضوعات التي وردت في الكتاب أما الأبواب التي لم تذكر في موضعها فيقول فيها سعيد المريان :

" ومقتضى هذا الترتيب أن يكون أول هذا الترتيب أن يكون أول هذا الجزء - الباب الرابع في تاريخ الخطابة والأمثال ، ولكني لم أجد فيما بين يدي من المخطوط حديثا عن هذا الباب ، الا فهرس وجدنا اختوارقام صفحات في مراجع مختلفة " (١)

وقد تجاوز البابين الثامن والتاسع لان شأنهما شأن الباب الرابع .

تحت راية القرآن " المعركة بين القديم والجديد :

=====

هذا الكتاب يتنمّن الخصومة بين الرافعي وأدباء عصره وكانت المصاركة حول الجديد والقديم ، وقد بدأت من عام ١٩٠٨ الى ١٩٢٦ ، مقالات متفرقة في عدد من الصحف والمجلات وبعد ذلك جمعها الرافعي في كتاب والمعركة الأكثر عطفها هي معركته مع طه حسين حول كتابه " في الشعر الجاهلي " صدر في سنة ١٩٢٦ (٢) وقد ذكرت ذلك بتوضيح أكثر في الباب الرابع من هذا البحث .

(١) تاريخ آداب العرب الجزء الثالث مصطفى الرافعي ص ١٢

(٢) حياة الرافعي سعيد المريان ص ١٦٢

الفصل الثاني

===

آثاره الادبية

====

المساكين :

=====

الف الرافعي كتابه المساكين عام ١٩١٧

وقد قدم للطبعة السابعة التي بين أيدينا بفاتحه لسعيد العريان وصف فيها
مشاعر الرافعي وارهاف حسه تجاه الألم الذي كان سببه استعمار الحرب العالمية
ما سبب اليأس والشقاء لأفراد الشعب ، وكلما مضى الوقت تعددت الوان اليأس
والشقاء على أفراد الشعب والرافعي يرى ذلك في نفسه وعامل الحزن يزيد الآمه
وهموه ، ثم أخذ يؤلف كتابه الذي بدأه بصفحة من كمال النبوة وأخلاق سيد
المرسلين ثم صفحة الغيب يقول فيها :

" هذا كتاب المساكين فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه لأنه لا يفهمه ومن كان مسكينا
فحسبى به قارئا والسلام " (١)

ثم صفحة من الحكمة يقول فيها :

" ينبغي أن تقدر ثروة الانسان لا بأمواله ومستغلاته بل بعدد الاشياء التي
يستطيع أن يمشي غير محتاج اليها " (٢)

وكان الدافع لتأليفه الكتاب انه كان في زيارة لأصحابه في " منيه جناح "
فلقى الشيخ علي ^{عليه السلام} والشيخ علي من الناس الذين ليس لهم جيوباً تساك درهما
ولا جسداً يمساك ثوبا ولا داراً تؤبه ، ولا حقلاً يقات منه ، ماذا بقي للشيخ علي من
الموارد ؟ لاشي . هكذا بدأ الرافعي الفيلسوف يتخذ من الشيخ علي مادة
لكتابه " المساكين " من الآم اليأس والفقراء ثم قدم بمقدمة الطبعة الثانية
الذي يوضح فيها أنه وضعه من احدى عشرة سنة ويقول أنه لو وضعه من احدى -

(١) المساكين - مصطفى الرافعي ص ١٢

(٢) المرجع ص ١٣

عشرون لما تغير وصفه عما وصفه له ، وهو يصف البؤس أنه يولد كل يوم —
المولدين في هذه الحياة ولكنه لا يموت مع الراحلين عنها .

ثم قدم أيضا بمقدمة الطبعة الأولى الذي يقول فيها :

“ هذا كتاب حاولت أن اكسو الفقر من صفحاته مرققة جديدة فقد والله بليت أشواب

هذا الفقر وانها لتتسدل على أركانه مسزقا متهدله يمشي بعضها من بحر (١)

وقد فلسف الفقر بأسلوب عميق وفلسفة بعيدة الفور مطهرا الأم الفقراء مبينا

الفرح من الكتاب بقوله :

“ فاني وقد وضعت هذه الاوراق وكتبت فيها عن الفقر وما هو من باب الفقر ، لا لمحوه

ولكن للصبر عليه ، ولا من أجل البحث فيه ولكن للمزاء عنه ، (٢) .

وقد جعل الشيخ على نموذج في كثير من أحاديثه عن الفقر .

(١) المساكين مصطفى الراقصي ص ٢٢

(٢) “ “ “ ص ٢٥

وحى القلم :

=====

مجموع مقالاته فى الرساله بين سنتى ١٩٣٤ ، ١٩٣٧ الى مقالات
أخرى ، طبع منه جزءان فى حياته ، اما الجزء الثالث منه فقد جمعه تلميذه سعيد
العرىان من قصاصات فى مكتبه مما نشر وما لم ينشر فى الصحف والمجلات فرتبها
وتم طبعه سنة ١٩٤٢ م (١) .

وفى أول الكتاب نصر دعاء للإمام محمد عبده فى أول عهد الرافعى
بالادب ، ثم تصوير لسعيد العريان الذى يقول فيه :-

" ان هذا الكتاب يجمع كل خصائص الرافعى الأدبية متميزة بوضوح فى
أسلوبه ، كذلك أقول هنا انه يجمع كل خصائصه العقلية والنفسية متميزة بوضوح
فى موضوعه ، ففيه خلقه ودينه ، وفيه شبابه وعاطفته ، وفيه تزمته ووقاره ، وفيه
فكاهته ومرحه ، وفيه غمبه وسخطه ، فمن شاء أن يعرف الرافعى عرفان الرأى والفكرة
والمعاشرة فليعرفه فى هذا الكتاب " (٢)

ثم يقول انه آخر كتاب أنشأه الرافعى ولكنه أول ما ينبغي أن يقرأ له
لان اتصاله بالصحافة جعل أسلوبه يتضح ويسهل فهمه ، ولكنه عند طائفة من قراء
العربية أديب عسر الهضم ، وعند آخرين متكلف ، ولكنه عند أصحاب الذوق الفنى
هو أديب " الفكرة الاسلامية "

والفن الأدبى فى نظر الرافعى بالجودة والانتاج والسمو والرفعة وان

كان قليلا وفى ذلك يقول :

وربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف
ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف
ولكن الحرية كذلك " (٣)

(١) حياة الرافعى - سعيد العريان ص ٣٥١ - ٣٥٣

(٢) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ١ ص ١٣

(٣) " " " " " " ج ١ ص ١٧

ووهي القلم يمتاز بموضوعاته المختلفة التي تضيء على القارئ لذة المتعة والشفاف
والشوق والحرفة الى قراءة المزيد من هذا الانتاج السخي الذي يغير بالادب -
العربي من الألوان المختلفة التي جعلت الرافعي حيا على مدى الأجيال ، لان -
معطياته فنية بالأدب العربي الأصيل الذي نحن بحاجة اليه ، ولنثبت أن لفتنا
تستطيع أن تكون زادا وافرا لأدب أصيل ومن الموضوعات التي تحدث فيها الرافعي
في هذا الكتاب :

موضوعات دينية ، مثل الاشراف الالهية وفلسفة الاسلام ، حقيقة المسلم ،
الانسانية العليا وغير ذلك ، من هذه الموضوعات سيأتي ذكرها بتفصيل أكثر في
الباب الرابع من هذا البحث .

وتحدث أيضا عن موضوعات اجتماعية مختلفة فهو يهتم بقضايا المرأة ، وهو
دائم النصح لها أن تبتعد عن الرذائل والسقوط في الهاوية ، وعليها أن تحتفظ
بقيمها واخلاقها الاسلامية المتينة ويتمنح ذلك في مقالتي بعنوان " لحوم البحر "
و " أحذري " وكذلك يتحدث عن الآم البؤساء فيتألم للألم ويشقى بشقائهم ، فتبكي
سظوره بمداد قلمه ، لتصور مآسي الحياة والانسانية ففي مقاله " أحلام في الشارع "
يصور شقاء طفل مشرد وأخته رأهما نائمين على الشارع .

وكتب ايضا في المجال السياسي عندما شعر بسيطرة الانجليز على مصر ،
وضعف المسلمين وتخاذلهم امام سيطرة المستعمر ، ويعددهم عن روح الاسلام
الأصيلة ، ومن ذلك عدة مقالات منها :-

" الطماطم السياسية " و " اليك والباشا " و " الاخلاق المحاربة "

و " خضع يخضع "

وكذلك كتب عن محنة فلسطين " أيها المسلمون "

وللرافعي قصص متنوعة تدل على اطلاعه وثقافته بتاريخ العرب وفهمه

لحوادثه ، والهدف من القصة عنده العظة والحكمة والاعتبار .

ومن ذلك " القلب المسكين " و " بنت الباشا " و " عاصفة القدر "

ولأمثل على ذلك بواحدة من هذه القصص : ففي " قصة زواج وفلسفة المهــــــــــــر " يحدثنا عن الامام سعيد بن المسيب ويصفه من حيث زهده وتقشفه وحسن أخلاقه وفضائله ، ثم يتحدث عنه عندما بعث اليه الخليفة برسول ليخطب ابنته لابن الخليفة ، وقد رفض طلبه وزوج ابنته من رجل فقير معدم فضله على ابن الخليفة وقد استغرب الناس منه هذا الصنيع ولكن ابن المسيب رأى الرجل الفقير أنه أصلح زوج لابنته . لانه يطاك أقوى أسلحة الدين والفضيلة ، فهو خير من ابن الخليفة الذي تجتمع في قصره كل أقدار النفس و دنس الايام والليالي .

ويعتبر الرافعي مجددا في موضوعاته لأنه عرضها عرضا جديدا ، وذلك لشافته الاسلاميه من القرآن الكريم ، وتملكه لزمام اللغة العربيه ، وقوة بيانه ، وتأمله واستنباطه ، وتحليله الدقيق الذي ساعده عليه عزلته عن دنيا الناس بسبب صممه المبكر ، ولكن هذا الصم الذي أصاب أذنيه ملاءساع الدنيا بما لا يستطيع أن يقوم به السامعون ، واسمعهم ما لم يعرفوا من دنيا المعرفة والسحر والبيان ، وكان لقلته صوت مدوي ينفى الاسماع ولعللى لا أكون مبالغة ان قلت ان الطريقة الرافعية نسيج وحدها تضم في حناياها الحكمة والموعظة والجمال والحب والوصف والدين والحياة وحقا ان وحى القلم نابض بالحياة لمن يريد أن يكون سعيدا في الحياتين وذلك بما يستشعره القارىء كلما قرأ فيه من الفكر والعاطفة والبيان ، وتطمح اليه نفسه وتتلتمس سبيلها في الوصول الى معرفة المزيد . .

الوجدانيات عند الرافعي :-

=====

إن من طبيعة بحثنا أن لا نذكر الوجدانيات فيه لأنه بحث ديني ،
ولكني أذكرها هنا اجمالاً لكمال دائرة كتبه التي هي من تمام التعريف به وبأدبه ،
حديث القمر :

=====

انشأ الرافعي هذا الكتاب بعد رحلة الى لبنان في سنة ١٩١٢ عرف

فيها شاعرة من شواعر لبنان وكان بين قلبيهما حديث طويل (١) .

وهو أول ما نشر من أدب الانشاء الذي يقول فيه :

" وقد كتبت على نمط خاص من الكتابة العربية يجعل طالب الانشاء بادمان

قراءته وتأمله منشئاً ان يرى فيه ملكة التخيل التي هي أصل البلاغة ولا بلاغة

بدونها (٢) .

وقد كتب مقدمة بين فيها غرض الكتاب ، وكان حديثه للطبيعة وهده

المقالة في يده كأنها رسالة تعزية يحملها من الطبيعة للعالم ، وهو يأمل أن -

تكون الطبيعة قد القت في معانيها بذورا من عناصر التحول الأخلاقي تزكو

بها القلوب الحيوانية لتسمو وترتفع ، وتصل للإنسانية المنشودة ، وهو يطمح أن -

تكون الطبيعة فيها نسمة الحياة للعواطف الميتة ، ثم بين الغرض من الفاظه

ومعانيه وكتابتها فيقول :

" وأنا أرجو أن اكون قد وضعت لطلبة الانشاء المتطلعين لهذا الاسلوب أمثلة

من علم التصور الكتابي الذي توضع أمثله ولا توضع قواعده ، لأن هذه القواعد

في جملتها الهام ينتهي الى الاحساس ، واحساس ينتهي الى الذوق ، وذوق -

يفيض الاحساس والالهام على الكتابة جميعاً ، فيترك فيها حياة كحياة الجمال -

(١) حياة الرافعي سعيد العريان ص ٧٤

(٢) حديث القمر مصطفى الرافعي مقدمة الكتاب

لا تداخل الروح حتى تستبد بها ، ولا تتصل بالقلب حتى تستحوذ عليه فتكسبون
له كأنها فكرة في ذاته * (١) .

لقد اتخذ القمر سميرا له بيته شكواه وخواطره وهمومه وخلجات نفسه ،
ومشاعره الصادقة تحدث بها اليه هذا إضافة الى موضوعات أخرى يتضمنها
الكتاب فهو قد تحدث عن البكاء والدموع ، وعن الاستبداد والطفافة ، وعن الفن
والمال ، ثم عن الشاعر الصحيح ، والزائف ، وعن الطبيعة والانسان الملحد ،
وعن المحزون . وكان حديثه عن المحزون وما يقدمه اليه من نصائحه بلسما شافيا
لكل محزون لو قرأه لاغناه عن الدواء وخفف ما به من داء .

رسائل الاحزان :

=====

أنشأ الرافعي رسائل الأحزان عام ١٩٢٤م وهي أول الرسائل العاطفية بينه وبين "مى" على أثر القطيعة التي هجرها فيها ، وقد دفعه كبرياءه لكتابة هذه الرسائل وهو يعنيهها ، وهي أول ما أنشأ في الوجدانيات ، وقد كان يعتقد أنه يستطيع أن ييغفر من يحب وأن يثار لكرامته وكبرياءه وبذلك يتشفى وبدأ مقدمته بأنها رسائل صديق بعث بها اليه فهو يخاطب نفسه على أسلوب التجريد والكتاب تظهر فيه الشكوى والسلوان ، وما هذه الاحاديث الا حديث الرافعي يتحدث به الى نفسه ، من وحى زكرياته التي خطها بقلمه لتكون حماية لآيامه الماغمية من الفناء لآيام أشرفت بها سماء العمر وقد عبر عن ذلك في مقدمته حين قال انها عواطف ثارت وقتا ما ليحدث منها تاريخ ، وسكنت بعد ذلك ليحدث منها شعر وكتابة ، وقد قسم الكتاب الى خمسة عشر رسالة ، فجاءت عبارته لونا جديدا فى هذا المجال ، هذا الى ما فى هذه الرسائل من الفلسفة العميقة والغموض فى بعض عباراتها ، ولكنها كانت تعبيرا صادقا عن مشاعره والآمه فى تصويره ولحرارة الالم وشدة الغضب وكبرياء الحب .

السحاب الأحمر :

=====

الف الرافعي السحاب الاحمر بعد رسائل الأحزان بعدة أشهر - والطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة السابعه ، وقدمت بمقدمة الطبعة الثانية لسعيد الصريان ، والكتاب هو الفصل الثانى من وجدانيات الرافعي الذى أوجتها اليه خواطره كلمات متلاحقة ، وهو فى حالة غضب وانفعال وكبرياء أثارتهافى نفسه "مى" .

والكتاب يقوم على سبب واحد حول فلسفة البغض وطيش الحب ، ولوم المرأة . وقد تحدث فيه أحاديث متنوعه ، عن فتاة عرفها فى لبنان وعن البغض والهجر والقطيعة وفى موضوع "السجين" قام بوصف بارع فيه يدل على تمكنه من الوصف لافراد أسرته

والناس المحيطين به ثم أوضح ، أثر الحزن على هذه القلوب المجروحه ، ثم حلل العواقب لهذه الأسرة ، وتحدث ايضا عن المناق وعن حب الأم ، وهكذا مضى يفلسف العواطف ويجريها كلام على السنة شيوخته وأصدقائه .

أوراق الورد :

=====

يبدأ الكتاب بتصوير لسعيد محمد المريان عنه ، يذكر فيه سبب انشاء

لهذا الكتاب ويقول :

" انه انشاء بعد كتابه " رسائل الاحزان " و " السحاب الأحمر "

عندما هدأت ثائرته بعد عنفوان الهجر والقطيعة التي كانت في كتابه السابقين

وانتزع الرافعي الاشواك ، من نفسه ليبدأ مؤلفه أوراق الورد " في سنة ١٩٣١ .

وقد تحدث فيه عن الرسائل الوجدانية في عصور مختلفة من التاريخ فنراه يقول :

" اننا لا نعرف في تاريخ الأدب العربي كله رسالة كتبت عن هذا الطراز على

كثرة كتاب العربية (١) " .

وقد استعرض اشهرهم في مراحل مختلفة ، وهذا يدل على سعة اطلاعه

وعلمه في هذا الفن .

والكتاب يصور صلته بالأديبه " مى " وفيه مجموعة من الخواطر ونبضات

القلب التي توحىها الذكرى له . وما كان من هذه الذكرى الا نشرت رسائل مسن

أوراق الورد ، تصف حالة من حالاته وتثبت تاريخاً في فترة من عمره .

ديوان الرافعى : ثلاثة أجزاء صدرت بين سنتى ١٩٠٣ و ١٩٠٦ -
وقدم لكل جزء منها بمقدمة فى معانى الشعر تدل على مذهبه ونهجه ، وهى
مذيلة بشرح ينسب الى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعى وهو من انشأه
المترجم نفسه . (١)

ديوان النظرات : أنشأه بين سنتى ١٩٠٦ و ١٩٠٨ (٢)
على السفوح : قصة الرافعى والمقاد نشرت فى مجلة العصور فى عهد
منشئها الاول الاستاذ اسماعيل مظهر ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت اليه بكلمة :
" امام من ائمة الأدب العربى " (٣)

هذا ولا يسعنا الا أن نقرر أنه كان فى آثاره العلمية والأدبية عصاميا
كون نفسه بنفسه حيث رحل رحلة طويلة واعية فى بطون الكتب والأسفار عاد منها
بهذه العقليه التى أثرت بهذه العثرات . .

(١) حياة الرافعى - سعيد العريان ص ٣٤٩

“ “ “ “ “ “ (٢)

“ “ “ “ “ “ (٣) ص ٣٥١

الفصل الثالث

أسلوبه وخصائصه الفنية مع التمهيد له بتطور الأساليب
وتحررها من الصنعة اللفظية التي غلبت على الأدب

في العصر العثماني

=====

النثر الأدبي بين عصريين

=====

لقد اتخذ العثمانيون القسطنطينية عاصمة الاسلام بدلا من القاهرة ،
واللغة الرسمية التركية بدلا من العربية ومن ثم أخذت هذه اللغة في الاضمحلال
وبدأ العلم ينحط حتى كان أن ينضب معينه (١) .

كذلك بلغ النثر في أخريات هذا العصر الفاية في الركافة والضمف
فصبارته مقيدة بقيود ثقيلة من الحلبي والزخارف وبقي هكذا حتى القرن التاسع
عشر وهذه بعض الأمثلة من الرسائل الأدبية في القرن التاسع عشر عن الأخوانيات
وهذه رساله الى الشيخ ناصف اليازحي كتبها سنة ١٨٤٨ أديب
بفدادى اسمه بكرزاده :

" جناب الشيخ الأجل الأمد الشيخ ناصف اليازحي دام بقاءه سلام لا تحصيه
السنة العارفين ، وثناء متعدد اتصال الأيام بالسنين ، ودعاء انشق له جوهر
الأجابة على طور سينين ، علا فارتفع ، وأضاء فلمع ، تحطه نياق الأشتياق وتقتاده
أزمه الوجد والأحتراق ، من محب انحله الجوى ، وانابه الهجر والثوى . دموعه
تتبدد ، وانفاسه تتصمد ، وأحزانه تتجدد ، ونيرانه تتوقد . الخ (٢) "

ومن أمثلة التائق السجعي أيضا ما ورد في المراسلات الاخوانيه لرسالة
بعث بها الشيخ ابراهيم الحوراني جوابا على دعوة وردت من صديق الأستان

(١) تاريخ الادب العربي - احمد حسن الزيات - الطبعة الخامسة والعشرون ص ٤٠٢

(٢) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي أنيس المقدس الطبعة السادسة

ص ٣٥٣ من مخطوطه لدى انيس المقدسى .

داود قربان لزيارة مدينة صيدا يقول فيها :

" كتابكم أم حديقة ربحان ، وكلامكم أم سلافة حان ، طوى على حب وودود ، ونشر

على نشر عود ، وأطرب الأذان بأطيب من الحان العود . . . الخ (١) "

ولقد نجد شيئا من هذا التأنق في المراسلات الأخوانية حتى أوائل

القرن العشرين وهذه رساله كتبها محمد بك المويلحي الى حفنى بك ناصف

في ٢ مارس ١٩٠٨ قال :

" صديق الغافل حفنى بك ناصف

لولا يقال اننا بتنا نتقارض الحمد والثناء ، ونتتاب بيننا المديح

والأطراء لجعلت لك صحف الأخبار ، تفرد تفريد الأطيار ، ولصفت فيسلك

ما يتألق كالنضار ، ويتأرجح كالأزهار ، وهذا لك على ما صنعت به لغة القرآن

بقوة الدليل والبرهان ، وما نطقت به من فصل الخطاب فى حسن الدفع عن معجزة

الكتاب " (٢)

(١) تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى أنيس المقدسى الطبعة السادسة

السادسة ص ٣٥٣ عن مجلة النشرة الاسبوعية ولم يشر الى عدد هسا

ومن يشرف عليها .

(٢) نفس المرجع ص ٣٥٦ عن الهلال ٤١ ص ٤٥٢

حركة تحرر وانطلاق :

ان هناك عوامل ساعدت على تطور الفكر العربي وتحرره من قيود الصنمسة والتكلف التي عمت في العصر العثماني وهي :

أولا : نشوء الرأي العام وظهور فكرة الوطنية ، وشعور المصريين بحقوقهم السياسية المسلحة ، وذهاب البعثات الى أوروبا وأوا حياة سياسية تخالف حياتهم ، فالناس في فرنسا لا يحكمون بحكم الفرد المستبد ، بل يشتركون في الحكم .

ثانيا : فتح قناة السويس والاتصال بالغرب مما زود الشعور بالقومية عند المصريين .

ثالثا : ظهور حركة الترجمة . . باتصال المصريين بالغرب أخذوا يتذوقون الآداب الأوربية وترجمونها ، وساعد على هذه الترجمة منصر عربى من السوريين واللبنانيين الذى وفدوا فارين من اضطهاد العثمانيين وكان لهذه الترجمة فضل كبير فى ترك أسلوب السجع والبديع الذى يعوق الترجمة ويفسد الأساليب .

رابعا : ازدهار الصحافة التى تعتمد على الأسلوب السهل البسيط حتى تنتشر على مدى أوسع للجمهور . (١)

خامسا : فتح الجامعة المصرية التى أنشأت الحركة الأدبية بمصر والشرق حيث أخرجت جيلا مثقافا بالآداب المصرية يجيد البحث ويقدره ، وكذلك أنشأت الجامعة الاكثار من عدد القراء الذين يقدرون الأدب وهذا بلاشك يشجع المؤلفين وودور النشر . (٢)

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر ، د . شوقى ضيف ، ط ٥ ص

١٧٢ - ١٧٦ .

(٢) فى الأدب الحديث ، عمر الدسوقى ، ج ٢ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ط ٧

سادسا : نضج الرأي الأدبي الذي أخذ يرضى الجماعة وشعورها بما تظهر من رضى وسخط على الحياة الأدبية وتحت تأثير هذا الرأي تطور أسلوب النشر وتحرر من أغلال السجع والبديع . (١)

سابعا : بدأ المصريون يفكرون في دينهم وما أصابهم من ضعف واحتلال الهيب في نفوسهم الحمية الدينية التي كانت سببا في ارجاعهم الى مصادر الاسلام الأولى ، حتى ينقى الدين مما طلق به من أوهام وخرافات وصاحب هذا الاطلاع في الدين اطلع آخر على المصادر الأولى في الأدب ، فان المطبعة أخذت في نشر الكتب القديمة مثل كليلسة ود منه لابن المقفع ، فرأى المثقفون أدبا جديدا في التعبير يختلف عما كانوا يصرفون . أدبا يبعد عن تكلف السجع والبديع وظهر فيه الأسلوب المرسل الذي يوضح المعنى في وضوح تام مع قوة العبارة ، فدخل في نفوسهم الشك فيما يألفون سواه من الناحية الدينية أو الأدبية ومدأوا جادين في البحث عن الطرق القديمة في فن التعبير والأداء . (٢)

كل هذه العوامل ساعدت على نمو الأدب وازدهاره المتزايد وبدأ العصر الحديث بفجر نهضة أدبية استطاعت أن تخلص النشر الأدبي من قيود المحسنات اللفظية والتكلف والصنعة وكان رائد النهضة الشعرية البارودي ، أما النشر الأدبي فقد تنوع الى أنواع مختلفة ، ونزع الأسلوب المرسل ، ونزع الأسلوب المسجوع ، وزعيم الطائفة الأولى محمد عبده^٣ ومن تلاميذه المنفلوطي والرافعي والبشرى ، على اختلاف في أقدارهم وطاقاتهم ، وزعيم الطائفة

(١) الأدب العربي المعاصر ، في مصر ، د . شوقي ضيف ، ص ١٧٨ .

(٢) لا يفصل بين السجع والسايب في

(٣) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ج ١ ص ٣٠٧ .

الثانية عبد الله فكرى ومن تلاميذه حفنى ناصف ومحمد المويلحى والبكرى
على اختلاف فى طاقات أقدارهم أيضا وقد تمت الغلبة لمدرسة محمد عبده ،
لأن ضروريات الحياة الادبية ، وانفساح ميادين الكتابة وظهور الصحف
اليومية حافظه بالجديد من المقالات لمعالجة شئون كل ما يجد فى الحياة ،
كل أولئك لم يتسع الوقت لأساليب ذوالاسجاع بل فرض الترسل على الكاتبين ،
وما اجمله اذا افصح وابان . (١)

ومن أشهر الكتاب البارزين وقادة الرأى والبيان مصطفى صادق الرافعى
وكان فى هذه الفترة متأثرا بمدرستين احدهما مدرسة الأثب العربى التى
كانت تحاول جاهدة انهاض اللغة من كبوتها ، والاخرى مدرسة الأثب بالدخيل
التى تتأثر بالآداب الأوربية وتأخذ عنها وان ضعفت أسلوبها ولانت لغتها
ولكن الرافعى كان يسير بعيدا عن المدرسة الثانية متصلا بالمدرسة الأولى
آخذا من الأثب العربى القديم محافظا على اتباع أساليب اللغة الفصحى
لغة القرآن ، مدافعا لها من كل من دعى الى ترك الفصحى بحجة التجديد .
(٢)
وقد تتلمذ الرافعى على يد الامام محمد عبده متأثرا بأفكاره الحماسية
الملتزمة تأثرا عميقا ، ووطد صلته بكل أعلام مدرسته والكاظمى وحافظ وهما
من أشهر شعراء العصر .

كما تطلع الى الكواكب ، والى البارودى وقد هاد من مفاهمه ، بعدد
تسعة عشر عاما قضاها بعيدا عن وطنه .

(١) نشأة النشر الحديث وتطوره - عمر الياقوتى ١٩٤٤ ، (١٢١) ، ١٤٠٤

(٢) دراسات فى الأثب العربى الحديث ومدارسه ، محمد عبد المنعم

خفاجى ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

ومن هذه المدرسة الثورية الأولى أخذ الرافعي أفكاره وفلسفته في الحياة ، وكان يقول الشعر يمدح به البارودي أو يتفجع فيه على الشرق ، الذي عصفت به الأحداث ، أو يتحدث عن أعلام الإسلام الخالدين مثل عمر والمأمون ، أو يدافع عن وطنه وعن اللغة العربية التي كان المحتل يكيدها لها واشتهر الرافعي كشاعر وطني مخلص لفكرته . (١) .

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، محمد عبدالمنعم

أسلوب الرافعي

إن كتابة الرافعي تتمثل في موضوعات شتى اسلامية ، واجتماعية وأخلاقية ووصفية ووجدانية ولكن أهم ما يميز هذه الكتابات هي الموضوعات الاسلامية والاجتماعية بيد أن الكتابة عند الرافعي لم تكن فكرة وعاطفة فحسب ، بل كانت الى ذلك فنا وأسلوبا وصناعة والأدب العربي في نظر الرافعي فكر وبيان ، فإذا أراد الكتابة رتب موضوعه ترتيب الفصول في الرواية ، فان آن أوان الأداء يرجع الى كتاب من كتب العربية ، فيعيش وقتا ما قبل الكتابة في بيئة عربية فصيحة اللسان وخير ما يقرأ كتب الجاحظ وابن المقفع وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ويملل ذلك بقوله :

" نحن يا بني نعيش في جو عامي لا يعرف العربية ، يتحدث الناس وما ينشئ كتاب الصحف في ذلك سوا ، واللسان العربي هنا في هذه الكتب انها هي البادية لمن يطلب اللغة في هذا الزمان ، بعدما فسد لسان الحضرة والبادية . (١) "

وكانت هذه القراءة تهيئ للرافعي الجواب البياني ، لما قبل الكتابة أما حروف اللغة وأساليب البيان فلم تكن تعنيه في شيء ، وكانت له عناية واحتفال بموسيقية القول ، حتى ليقف أحيانا عند بعض الجمل من انشائه برهة طويلة يحرك بها لسانه كي يبلغ سمعه الباطن ، فإذا لم يجد لها موقعا من نفسه ردها وما بها عيب ليستبدل بها جملة تكون أكثر رنينًا وموسيقى ، وكان له ذوق فني خاص في اختيار كلماته ، يحسه القاري في جملة ما يقرأ من منشآت هذا الذوق

(١) حياة الرافعي ، سعيد العربيان ، ص ٢٢٣ .

الفنى الذى اختصره ، هو الذى هياه الى أن يفهم القرآن ويصرف سراء جازه
فى كل آية وكل كلمة من آية وكل حرف من كلمة . (١)

وخلاصة القول ان الرافعى يؤمن بأن الأدب فن ، وأن هذا الفن
يجب أن يؤدى بأداء صحيح سامى التعبير مع الدقة والابداع فى الصورة
زائده معه الجمال ليلبس أبهى حلة ، وليبعث العشوة فى النفس ويسمو بالذوق
الانسانى مصورا له الجمال فى جلال وجمال وصور وألوان .
يقول فى مقدمة وحى القلم يوضح هذا القول :

(وفى الكتاب الفضلاء باحثون مفكرون تأتى ألفاظهم ومعانيهم فنا عقليا
غايته صحة الأداء وسلامة النسق ، فيكون البيان فى كلامهم على ندرة كوخند
الخضرة فى الشجرة اليابسة هنا وهناك . ولكن الفن البيانى يرتفع على ذلك بأن
غايته قوة الأداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة ، وابداع الصورة زائدا
جمال الصورة . أولئك فى الكتابة كالطير له جناح يجدى به ويدف ولا يطير
وهؤلاء كالطير الآخر له جناح يطير به ويجدى . ولو كتبت الفريقان فى معنى
واحد لرأيت المنطق فى أحد الأسلوبين وكأنه يقول : أنا هنا فى معان والفاظ ،
وترى الالهام فى الأسلوب الآخر يطالعك أنه هنا فى جلال وجمال وفى صور
وألوان . (٢)

وهذه أقوال من الرافعى تشهد له بمنزلته الأدبية الرفيعة وما حققه
للاسلام والمسلمين من تراث خالد على مر الأيام ولكل زمان ومكان ، واشراقسة
للفكر العربى الاسلامى يقول الاستاذ " حارث طه الراوى " بعنوان " مصطفى
صادق الرافعى " جا حظ القرن العشرين .

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ٢٢٣-٢٢٦ .

(٢) وحى القلم ج ١ مصطفى صادق الرافعى ، ص ١٦ .

" بينه وبين الجاحظ شبه في الأسلوب من حيث البلاغة العربية المعالمة وشبه في المزاج من حيث التفنن في السخرية والمرح وشبه في اللطام الواسع بعلوم العربية وشبه في الفيرة المشبوهة على كل ما هو عربي وإسلامي من تراث خالد ، لقد تأثر الرافعي بأسلوب القرآن .

ما زال الأدباء يعجبون بالجاحظ ، ويخلطون على الرافعي بأعجابهم بحجة أنه محافظ أو مقلد أو معقد ومن يدلني على كتاب بلغة العرب يضاهي كتاب الحب والجمال في " أوراق الورد " و " رسائل الأُخزان " و " السحاب الأحمر " (١) وقال الأستاذ أنيس منصور الصحفي المعروف بعنوان " طريقة الأدباء بين الحريين " وما قال

- أما صادق الرافعي فطريقته هي البيان المقطر تماما لتقطير العطور من

الزهور والورود والرياحين ، والنتيجة هي جمال ليس بسيطاً . (٢)

ويقول الدكتور كمال نشأت في كتابه " مصطفى صادق الرافعي " بعنوان " والرافعي كاتباً " :

" حقق الرافعي ذاته ككاتب في لون معين من الأدب شعرا ونثرا ، وهو أديب أميل إلى روح التراث في وسائل صياغته وطريقة تمبيره بل في معجمه اللفظي وزخارفه البيانية . (٣)

(١) كتاب الهلال مصطفى صادق الرافعي ، حياته وأدبه مأدبة حسنين

مخلوف ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) نفس المرجع ص ١١٠ .

(٣) نفس المرجع ص ١١١ .

ويقول الأستاذ عمر الدسوقي عن الرافعي :

" وعلى الرغم من أن الرافعي كان يحمل لواء الدفاع عن الاسلام واللغة والأخلاق القويمة حتى اتهم من أنصار الجديد الذين يتجهون بفكرهم وعاطفتهم وثقافتهم صوب أوروبا بأنه حامل لواء القديم - على الرغم من كل هذا فالرافعي كان مجددا في معظم ما كتب ، مجددا في موضوعاته لأنه عرضها عرضا جديدا وفهم أسرا القرآن وآيات القرآن وفسرها تفسيراً يدل على بصيرة نيرة كأنها من نفحات الوحي ، وذلك لعمق إيمانه ، وتفقهه في اللغة وأسرار العربية ، تكشف عن اعجاز القرآن وتزيد المؤمن إيمانا ، وتفهم المكابرين .

وكان مجددا في صورة ، فهو وان استوعب الثقافة القديمة ، وعرف العربية معرفة لم تتح لكاتب في عصره بشهادة خصومه فقال عنه المازني : " وكان الرافعي أعلم أهل العربية بالعربية . (١) "

وقال عنه العقاد قبل أن تحدث بينهما الخصومة :

" انه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها " (٢)

ويقول الأستاذ صدر الدين شرف الدين : " أما خصائصه الفنية . .

خصائص اسلوبه الشعري القصصي فلم تتغير كما يقول الأستاذ الصريان ، وكم أصاب الصريان حين جعل من " وحي القلم " مساعدا على فهم ما سبقه من طلاس ، الفن الرافعي " فالواقع أن وحي القلم " بموضوع موضوعاته ، وارتعاش الحياة فيها ، يعلم طريقة الرافعي في التفكير ، وأسلوبه في التعبير ، فيفسين في غيره على شم هذا التعبير والانس بهذه الموسيقى على أن مرحلة غموضه عاملا من عوامل بنائه وشموخه بما دلت عليه من اهتمام عصره ، وأبيه له ، اهتماما وأبها يعبر عنها نقدا خصومه قبل دفاع انصاره " . (٣)

(١) مع الرافعي الكاتب للأستاذ عمر الدسوقي ص ٤٨ ، مستخرج من حوليات

كلية دار العلوم ، العام الجامعي ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ .

(٢) حياة الرافعي سعيد الصريان ص ١٨٣ .

(٣) المختار من أدب الرافعي - صدر الدين شرف الدين ، دار الكاتب العربي ص ١١٠ .

الرافعي القصص:

لقد كتب الرافعي قصصا كثيرة مختلفة ومنها ما هو مستخرج من التاريخ العربي ، ونوع من نسج الخيال ، وما لقصص عند الرافعي الا مقال أو حديث يدور حول شخص أو حادثه ، والغرض منه المعظة والحكمة والاعتبار. (١)

وتظهر أحاديثه التاريخية في " قصة زواج " ، " رؤيا السماء " ، " زوجة امام " ، " بنته الصغيرة " ، اليمامتان " ، قبح جميل " ، " الاسد "

ويكتب الرافعي في القصص الاجتماعية التي يراها في المجتمع بقلم السوء من المدافع عن الاسلام بواقع الحرص والغيرة لما يراه في مصلحة الأفراد والمجتمع ومن القصص الاجتماعية " أحلام في الشارع " ، " أحلام في القصر " ، " حديث فطين " ، " عربة اللقطاء " و " سمو الفقير "

ويكتب في مقالات كثيرة عن قضية المرأة . . التي يخشى عليها الانزلاق

في تهمنا الحضارة الجارف والجرى وراء الوهم الذي يؤدي بها الى ضياع اسلامها وفقدانها لمقوماتها الأصلية التي تزينها وترفع قدرها الى مستوى المرأة المسلمة المترفعة فكتب الى المرأة محذرا مقالين بعنوان :

" لحم البحر " ، " احذري " .

وان اجتماعيات الرافعي تكاد تحتل المكانة الأولى من آثاره لأنشطته كان يرى نفسه كاتب اجتماعيا ، رسالته الاصلاح كما كان يرى نفسه كاتباً أدبياً وهذا طبيعي في الرافعي وفي نشأته الدينية المحافظة ومعه عن مخالطة عصره لذلك ظل محافظاً للروح الشرقية ، وهارب كل دعوة تزيد الهدم والنيل منها . (٢)

(١) الفنون الادبية واعلامها في النهضة العربية الحديثة ، تأليف أنيس المقدس ص ٣١٩-٣٢٠ .

(٢) المقتبس من وحي القلم - خليل الهنداوي ، عمر الدقاق ، مصطفى صادق الرافعي ، دراسة مختارة - دار القلم - دار الشرق - الكويت بيروت ص ١٢

الرافعى المترسل :

ان أسلوب الرافعى يغلب عليه الغموض والفلسفة العميقة فان قلمه ينسج العبارات نسجا قويا باللغة الفصحى والألفاظ الجزلة ، والذي يقرأ بعض مؤلفاته يجد الصعوبة فى فهم الأسلوب ، وذلك لثقافة الرافعى الواسعة المتعمقة ، ولأن الكلام بيد وواضحا فى عقله وفى نفسه ولكن عند ما يكتبه لا يستطيع كل من يقرأه أن يفهمه فأحيانا يحتاج فى قراءته الى تأمل وتفكير وتحليل لفهم المقصود وذلك يرجع الى أن هذه الصعوبة راجعة بالأكثر الى تعطله لاستجلاب المعنى الغريب وحرصه على غير المعتاد من اللفظ والتركيب .

وهناك شواهد تدل على الغموض الفلسفى تتضح فى الأقوال الآتية :

ومن أمثلة الغموض عند الرافعى : وصفه لأهل القفلة : " وقد كان يقال أنه لأحمق من القفلة فى اثنين :

الضارب فى الصحراء تلفحه شمسها ويتنفس النار من هجيرها ، فيفتسل بما يحمل من الماء ، فيترد ويستروح ويدفع عنه القيظ وقد أنسته اللذة العاجلة ما أمانه ، وعسى عن الصحراء ومعاطشها ، وظن أنه قد غلبها فى راحة نفسة والترفيه من أمره . فلن يكون منها بعد أن شربت ماءه فى موضع الا أن تشرب روحه فى موضع آخر ، وغفلة الماكر الفاش يطمئن الى دحسه وغشه ، وهو يعامل فيهما أمة كاملة فيوشك أن يلقي ما لقي الرجل ذو الاقلال حين زم باققاله على فضحتين . فكانت اقفاله الفضيحة الثالثة" (١)

وهذا مثال آخر أيضا :

وقوله فى المناق : " لو مددت عينيك فى عينيه لرأيت يتخارص لك باحداهما ، كأنك أبيض من ثلعاك الشمس وان كنت قد خرجت من مصنع التجليد الالهى فى جلد أسود" . (٢)

(١) تحت راية القرآن مصطفى الرافعى ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) السحاب الأحمر ، مصطفى الرافعى ، ص ٨٧ .

وهذا مثال آخر أيضا في وصفه الشيخ طي :

" وكذلك أعرف الشيخ طي " فهو رجل سدت في وجهه منافذ الجهات كلها الا جهة السماء ، فكأنه في الأرض بطل خيالي يربنا من نفسه احدى خرافات الحياة ، ولكنه مع ذلك يكاد يخرج للدنيا تلك الحقيقة الالهية التي لا تغذوها مادة الأرض ولا مادة الجسم ، فهي تزدرى كل ما على الأرض من متاع وزينه وزخرف ، وكل ما ردت عليك الغبطة من بسطة في الجسم ، أو سعة في المال ، أو فضل في المنزلة ، وكل ما أنت من اقباله على طمع ومن فوتته على خوف " (١)

وكذلك نراه يصوغ آراءه في أسلوب فلسفي عميق تشعربه بسيطرة الفكرة
ويعد غورها ، والاستدلال المنطقي الحاد فيقول وقد رأى أن المجتمع
يستول عن فقر الفقراء :

" ومن هنا يا بني لا تجد الفقير في أي عصر من العصور الا جهة من الخلل في نظام النفس الانسانية والفراغ الذي يجده الفقير في بيته انما هو موضع النعمة الضرورية التي بخل بها الغني ، وهو في الحقيقة موضع التفكك أو الكسر في الآلة التي تديرها شريعة الاجتماع " (٢)

الرافعي هنا أراد أن يوضح أن الفقير لن يكون فقيرا لولا الخلل في نظام النفس الانسانية لان هذا الفقير طعامه من بيت الغني البخيل ، ولكن ما أحدث التفكك والكسر في هذا التوازن هو عدم ادارة الآلة كما ينبغي من تعاطف الأغنياء مع الفقراء بالتصدق عليهم ومن هنا حدث التفكك والكسر .

(١) كتاب المساكين ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ٤٣-٤٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٣-٧٤ .

وهذا مثال آخر على سوق الآراء في أسلوب فلسفي عميق يقول فيه :
" تر فعنا الهموم والآلام ، لأن عواطف الحزن والشقاء لا تكون إلا من سمو ،
وهي لا بد أن تكون لأنها وحدها الحارسة فينا لأنسانيتنا ، إن تخلق مع حياة
الجسم المادية حياة معنوية للقلب ، ونحسها من فقد ما فقدناه ، لأنه لا بد
للضمير الانساني من صوت أليم يقول له أحيانا : أنت سماوي فاترك هذا ، وكأن
كل لوعة ألم يحسها المرء هي صرخة عاطفة جديدة ولدتها في النفس " (١)

يفلسف الراجعي معنى الهموم والآلام ، وأن معناها في النفس لا يكون إلا من سمو ،
وهذا السمو من هذه الآلام جعل لها معنى الحراسة ، لتكون محافظة على
الانسانية ، والانسانية تنمو بهذه المعاني ، وصوت الألم هو الذي يقول للانسان
اترك هذا ، إن الآلام في نظر الراجعي نعمة طالما أنها تأتي بالفوائد من
امتناع الانسان عن كل ما يؤذي غيره ويؤلمه ، ومن تولد العواطف الجديدة في
النفس .

وهذا مثال آخر على سوق الآراء في أسلوب فلسفي عميق . يقول فيه :
" فلا بد للناس من الحدود التي تبني بين كل ضدين من أحوال الانسانية
جدارا يعطف نفسا على نفس بالرحمة ، ويرد قوة عن قوة بالصبر ويكف عادية
عن عادية بالتقوى ويحقق عواطف التوازن بين أسباب الاضطراب في الجماعات
المتصادمة ، ليقر كل مضطرب في حيز ان لم يمسه فيثبت فيه لم يفلت فيمعد و على
سواه " (٢)

(١) أوراق الورد ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ٦٦ .

(٢) المسائل بين معطى الراجعي ص ١٩

فلسف الراقصى الحدود وجعل هذا الحد هو العطف بالرحمة فالمعروف ان
الجدار فاصل ولكن الراقصى جعل هذا الحد عطفًا فان كان هناك حدود
فلتكن رحمة .

ورد القوة ليس بالقوة والحرب ولكن بالصبر ، وكف العارضية بالتقوى
كل هذه العوامل التى يستطيع الانسان أن يرد بها على كل ما يعترضه
وان لم يستطع أن يثبت على ذلك ويحقق توازنه فلا بد له من أن يثبت وبمسك .
زمام نفسه حتى لا تكون ضررا على الآخرين ان ألفت الزمام من يده .

وهذا مثال يدل على التعليل والتسلسل المنطقى فاسمعه يقول فى

وصف القلب :

" هذا القلب هو سر الجمال الانسانى لأن فيه بركة النفس وزينتها وسكنها
فالبركة تنبت من الخلق الطيب والزينة تخرج من الفكر الجميل والسكن يثبت
بالإيمان واليقين ، وما جمال النفس الانسانية الا خلق وفكرة وفضيلة" . (1)

يتضح من هذا الوصف للقلب حسن التعليل وكيف أن المعانى مرتبة متسلسلة
بعضها على بعض وكيف يكمن سر الجمال فى البركة والزينة والسكن وكيف يعطى
كل معنى من هذه المعانى شيئا جميلا يترتب عليه نتائج لا تكون الا مجتمعة
لتعطى الفضيلة المؤمنه .

(1) رسائل الراقصى ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(2) رسائل الأحران ، مصطفى الراقصى ، ص ٩٠ .

وهذا مثال على براعة التعليل عند الرافعي فاسمعه يقول :
أض

" النوم والقدر والموت كالشيء الواحد أو ثلاثتها أجزاء لشيء واحد ، فالنوم غفلة تخرجه من الحياة كلها الى حالة أخرى ، والقدر بين المنزلتين يقع هينا على أهل السعادة بأسلوب النوم ، ويحى لأهل الشقاء عنيفا في أسلوب الموت ، ولن يجلب شيئا أو يدفع عن نفسه شيئا من هذه الثلاثة الا الذي لم يخلق على الأرض ذلك الذي يستطيع أن يفتح عينيه على الليل والنهار فلا ينام ، أو يخفظ نفسه على الصغر والكبر فلا يموت ، أو يضرب بيديه على مدار الفلك فيمسكه ما شاء أو يرسله " (١)

لقد وصف الرافعي النوم والقدر والموت شيئا واحدا ، وطل لذلك بأبرع تعليل كيف أن النوم غفلة ، والموت غفلة والقدر بين المنزلتين وكيف يقع هذا القدر على أهل السعادة وأهل الشقاء . . . وهذه الثلاثة حتمية تقع على كل انسان ولا فرار لانسان منها الا الذي لا ينام أولا يكبر وهذا مستحيل ، ونسى هذا يتضح عمق الفلسفة الرافعية وسوق الأمثلة ومد غورها ومراعتها .

(١) رسائل الأحزان ، مصطفى الرافعي ، ص ٩٠

نقول والشئ بالشئ * يذكر ان الرافعى كثير ما كان يصوغ آرائه الدينيية وافكاره الفلسفية فى مثل هذا الأسلوب الدقيق استمع اليه يقول فى مقاله

"الانتحار" يصف الايمان :

=====

"والايمان الصحيح هو بشاشة الروح ، واعطاء الله الرضى من القلب ثقة بوعده ورجاة لما عنده ، ومن مدين يكون الاطمئنان ، وبالْبشاشة والرضى والثقة والرجاء ، يصبح الايمان عقلا ثانيا مع العقل ، فاذا ابتلى المؤمن بما يذهب معه الصبر ويطيئش له العقل ، وصار من أمره فى مثل الجنون - برز فى هذه الحالة عقله الروحانى وتولى سياسة جسمه حتى يفيق العقل الأول ، ويجىء الخوف من عذاب الله ونقمته فى الآخرة ، فيغمر به خوف النفس من الفقر أو المرض أو غيرهما فيقتل أقواهما الاضعف ويخرج الاعز منها الأذل .

فالاطمئنان بالايمان هو قتل الخوف الدنيوى بالتسليم والرضى ، او تحويله عن معناه يجعل البلاء ثوابا وحسنات ، أو تجريده من أوعاه باعتبار الحياة سائرة " بكل ما فيها الى الموت ، وهو بهذا عقل روحانى له شأن عظيم فى تصريف الدنيا ، يترك النفس راضية مرضية ، تقول لمصائبها وعى مطمئنة : نعم وتقول لشهواتها وعى مطمئنة : لا .

وما الانسان فى هذا الكون ؟ وما خيره وما شره ؟

وما سخطه ورضاه ، ان كل ذلك ، الا كما ترى قبضة من التراب تكبر وقد نسيت أنه سيأتى من يكسها ! " (١)

ان الرافعى بلا شك وضع أسس الطمأنينة التى تغمر قلب المؤمن ، عند ما ينعم الله عليه بنعمة ثانية هى بمثابة عقلا ثانيا تصغر عنده الكوارث وعند ما يتم التسليم بالقضاء والقدر خيره وشره ويعلم المسلم علم القين ان هذه المصائب التى أصابته يثاب عليها حسنات هذا الشعور يجعل الامن ينبعث من داخله فيسير فى حياته مطمئنا راضيا .

والله اعلم بالصواب

- ١ - استجنحى
 - ٢ - ذئاب الاغاصير ، ونمور السحاب
 - ٣ - اما قبل
- فاسمعه يقول فى مقاله (أجنحة المدافع المصرىه)
- ١ - " استجنحى يا مدافع مصر وظيرى ، ان المجد يطلب منا انسانه البرقى لقد مدت لفة القوة فى هذا العصر مدعا حتى أصبح الطيران بعض معانى المشى ، ولم يعد العالم يدرى كيف تكون الصورة الاخيرة التى يستقر فيها معنى الانسانية ((١))
- استعمل الرافعي كلمة " استجنحى " وكما يقول لم تأت الكلمة فى اللفظة بهذا المعنى ولكنه استعملها قياسا على كلامهم ، فالكلمة جاءت موسيقية اللفظة قوية فى استعمال الاجنحة ليخلق بها المدافع المصرى ويطير.
- ٢ - ومن العبارات النادرة أيضا قوله فى مقالة (فاتح الجو المصرى) يصف طائرة يقول :-
- " وان انت بين صفق الرياح الهوج ، تجت السماء المدججة فى كبة الشتاء ، كأنك مناظرة تجرى بين العزيمة فى الإنسان والعزيمة فى الطبيعة وان أنت بين ذئاب الاغاصير ، ونمور السحاب ، وسباع الغيم ذوات اللبدة الكثيفة المتشعثة ، كأنك بصوتك ، وأزيزك تطلقين على وحوش الجو مدفا رشاشا يتركها صرعى " (٢)
- ثم يوضح عبارة (ذئاب الاغاصير) وعبارة (نمور السحاب) كيف تأتى فى اللفه وكيف استعملها هو فيقول :-
- " يقال : ربح متذئبة ، اذا كانت تجى من هنا مرة ومن هنا مرة كما يساور الذئب ، فوضعنا من هنا كلمة ذئاب الرياح ، والنمر من السحاب ، قطع متدان بعضها من بعض تشبيها بجلد النمر ، فوضعنا منها نمور السحاب " (٣)

(١) وحى القلم مصطفى الرافعى ج ٢ ص ٢٥٨

(٢) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٢ ص ٢٥٥

(٣) نفس المرجع

٣- ومع العبارات النادرة أيضا التي لم يسبقه احد اليها (أما قبل) :

استحدث الرافعي هذا التعبير في اللغة الذي يقول انه لم يقوله احد في اللغة قط ولم تخط لحد قط ، ان هذه العبارة او حتها اليه مشاعره وأحاسيسه وكانت لها صدى في نفسه يقول في ذلك : -
 " قالوا (أما بعد) وسموما فصل الخطاب وأنا أقول (أما قبل) وأسميها وصل الماضي ، وبها نجعل لما فاتنا مما نحبه أو نؤثره لسانا ، ونعيد اليه الصوت ، ونفتح له باب الساعة التي نكون فيها ، ونخترع للمحبين لفظا سحريا لم تستطع حواججنا خلد أن توحيه لآدم ، وأوحيه أنت لسي مجلس حياك في لحظة .

انها كلمة حنانة ، فيها الحب والذكرى ، وفيها من نفس ومن اللغة ومنك ومي غريبة باللغة الغرابة لأنني صنعتها صنعة قلب لا صنعة لسان ، وفيها الفن أي سر الحسن ، أي حروف التصوير ، أي المجلس الذي كان لنا أمس (١) .

ثم يوضح الرافعي معنى هذه العبارة فيقول :

" للعلماء كلام كثير في معنى (أما بعد) واعرابها وتوجيهها يبلغ من التحذلق أحيانا أن يكون مضحكا . و (أما) عند بعضهم اسم ، وعند بعضهم حرف ، وإذا قيل (وبعد) قالوا و ، عند بعضهم نائبة عن (أما) وهو المشهور = وعند بعضهم للاستئناف ، وعند آخرين للعطف و (أما) في (أما بعد) حرف تفصيل ولكنها في (أما قبل) بحرف توصيل ولا يجوز عندنا أن تستعمل (أما قبل) الا في الحب أو البغض ، فهي خاصة بالفتات النفس للذة أو ألم كمالا يجوز عندنا أن يقال منها (وقبل) كما قالوا (وبعد) لأنها حينئذ لا تكون كلمة مختصرة ، ولا تدل على أكثر من الظرفية ، وانما الأختراع وتام الإشارة وتام الظرف ، في التركيب الذي وضعناه ، فليذكر كذلك في اللغة ، وليكن ضمنا جديدا من أوضاعها لخصوص ما يحب ويكره دون غيرهما ويجوز أن تقول (أما قبلا) بالنصب والتنوين ، و (أما قبل) بالرفع والتنوين ، قياسا على ما أجازه القراء في : أما بعد ، ولكن ذلك في كلمتنا يكون ظريفا الى غاية الظرف بين الحبيبين .

وقال سيبويه في (أما بعد) : ان معناها (مهما يكن من شيء) ونقول نحن في (أما قبل) ان معناها (لقد كان ما كان) وأختلفوا في أول من قال : أما بعد ، فقيل انه كعب بن لؤي وقيل بل قيس بن ساعدة الخطيب وهو الأقرب .

ولا أختلاف في أول من قال : أما قيل (٢)
نرى الرافعي كعادته في ثقته بنفسه وفي مستواه العلمي يقول : ولا اختلاف
في أول من قال : (أما قيل) هذه الثقة هي التي أمدته بقوة التعبير والابداع
والتصوير بما توحى إليه بنضات قلبه وخفقات جوارحه ، وكأنني ألمح في هذا
القول فخرا ، وحقاله أن يفخر لانه أهلا لذلك .

الإساليب المجازية في أدب الرافعي :

ومن الأساليب المجازية التي تجلت فيها بلاغة الرافعي في وصف معركة

في مقاله (اجنحة المدافع المصرية) قوله :-

((واستجاب القدر لصوت المجد ، فالتجّ الظلام في وضح الصبح ، وانطفأ سراج
النهار في قبة الفلك ، واطبقت نواحي الجواطباق ليلة تساقطت أركانها وأقبل -
الضباب يعمتر ، اعتراخ جبل عائم يتذبذب في بحر ، وأستأثر السحاب فتخلسى
عن طبيعته السماوية الرقيقة ، وتدامرت العناصر على القتال يحترق بعضها بعضا
وتغشت السماء بوجه الموت : كبح فاريد وانتفخ ، وتكسرت فيه الفضون
كل عضن كسفة ظلام ، وعاد أوسع شسى أنميق شسى ، فكان الفضاء كصدر
المحتضر : ليس معه الا عمر ساعة وأنفاسها (٣)))

تظهر المجازات الرافعية في المعاني الجديدة بهذه الصورة الجميلة
التي تأتي على أسلوب الإثارة والمفاجأة ثم يظهر ترتيب الكلمات وجزالتها وموسيقيتها
في عباراته (واستجاب القدر لصوت المجد) فانظر كيف جعل للمجد صوتا ، وكيف
اظلمت الدنيا في وضح الصبح (فالتجّ الظلام في وضح الصبح) ولم يقف الأمر
عند ظلمة الصبح بل جاوزه الى وسط النهار (وانطفأ سراج النهار في قبة الفلك)
انه ظلام كثيف في هول معركة حامية الوطيس ، ثم يعقبه نمباها في قوله :
(واقبل الضباب يعمتر ، اعتراخ جبل عائم يتذبذب في بحر) صورة مجازية جديدة
لان المعروف أن الجبل ثابت لا يتحرك ، وكأنني به يريد أن يقول أن هذه المعركة
زالزل حرك حتى الجبل من مكانه وجعله يعوم ، ولم يعرف عن الجبل العوم ، وهكذا
مضى بخياله الخصب في وصف المعركة لان ساعة المعركة هي الاحتضار .

(١) ، (٢) أوراق الورد - مصطفى الرافعي ص ١١٣ - ١١٤

(٣) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٢ ص ٢٥٩

وكذلك في مقاله (عرش الورد) تتضح فيه هذه الظاهرة بأجلى معانيها فاسمعه يقول في وصف عرس ابنته :-

((خرج الحلم السعيد من تحت النوم الى اليقظة ، وبرز من الخيال الى العيين وتمثل قصيدة بارعة جعلت كل ما في المكان يحيا حياة الشعر ، فالأنوار نساء ، والنساء أنوار ، والأزمار أنوار ونساء ، والموسيقى بين ذلك تتم من كل شىء معناه والمكان وما فيه ، وزن في وزن ، ونغم في نغم وسحر في سحر .

ورأيت كأنما سحرت قطعة من سما الليل ، فيها دارة القمر ، وفيها نشرة من النجوم الزهر ، فنزلت فحلت في الدار ، يتوهمحن ويأتلحن من الجمال والشعاع وفي حسن كل منهن مادة فجر طالع ، فكأن نساء الجلوة وعرسها (١) ((

يصور الرافعى أفراده في يوم عرس ابنته بأنها كانت أحلاما في نفسه ، وإذا بالأحلام تتحقق وتصبح يقظة ماثلة أمام عينيه وتراى له الفرح مجسما أماما فسي الأنوار التي تزين الحفل ، وكل شىء ينبعث منه النور ، فالنساء أنوار ، والأزهار أنوار والموسيقى تتم كل معنى ناقص وهكذا جو من السحر والفتنة مصدره انبعاث السرور من نفسه الفرحة المبتهجة بحلاوة ذلك العرس الذي شعر أن كل شىء في الكون شاركه فيه حتى النجوم والقمر نزلا من عليائهما فكانا فجرا ثانيا من الجمال والشعاع نزلا على نفسه عاطفة جديدة بالفرح والابتهاج .
لقد استعمل الرافعى التشبيهات المبتكرة التي تزيد المعنى وضوحا كما في مقاله

" عروس تزف الى قبرعا " وفيه يقول :

" لقد وثقت أنه الموت ، فكان فكرما الالهى هو الذى يتكلم ، وكان وجهها كوجه العابد ، عليه طيف الصلاة ونورعا ، والروح الانسانية متى عبرت لا تعبر الا بالوجه " (٢) .

يشبه الرافعى وجه الفتاة وهمى تموت بوجه العابد الذى يظهر عليه طيف الصلاة من النور وفي هذا التشبيه اكتملت الصورة حيث أنه ذكر الفتاة وأداة التشبيه " الكاف " والمشبه به العابد " ووجه الشبه نور الصلاة .
ويقول أيضا :

ولها ابتسامة غريبة الجمال ، ان من ابتسامة آلام أيقنت أنها موشكة أن تنتهى ابتسامة روح لها مثل فرح السجين قد رأى سجانا واقفا في يده الساعة يرقب الدقيقة والثانية ليقول له : انطلق (٣) شبه الرافعى ابتسامة الروح وهمى تفادى الحياة فرحة ، بفرح السجين الذى يطلق من السجن ، وكأن

(١) وحى القلم مصطفى الرافعى ج ١ ص ٣٩

(٢) ، (٣) وحى القلم مصطفى الرافعى ج ٢ ص ١٤٩ .

الدنيا هي السجن لهذه الفتاة والموت هو الانطلاق من هذا السجن .
وما أخالني الا آراه تشبيها جديدا لاستقبال الانسان بالموت فلم نعتسرف
أن الذي يموت يستقبل الموت بابتسامة ، ثم يغادر بفرح من سجن هذه الدنيا
الى آخرة هي أوسع وأرحب .

ثم يقول أيضا :

" ثم استقبلت خالق الرحمة في الآباء والامهات ونفى مثل اشارة وداع من مسافر
به القطار ، القت اليهم تحية من ابتسامتها وأسلمت الروح " . (١)

يشبه استقبال الفتاة للموت ، بالمسافر الذي سافر به القطار وهو يودع
بالوداع . .

وقد استعمل الرافعي بعض الاستعارات التي تؤدي المعنى في أبهى

صوره وأجمل معانيه وتأتي عفوية الخاطرة .

يقول الرافعي في موضوع " عرش الورد "

(ولاح مزارا أن التاج يضحك ويستحي ~~و~~ ، كأنما عرف أنه وحده بين هذه

الوجوه الحسان يمثل وجه الورد) (٢)

ويقول في مقاله ((أيها المسلمون)) :
يصف قوة الاسلام :

" قوة تجعل الصوت نفسه حين يزمجر ، كأنه يعلن الأشدية العزيزة الى الجهات
الاربع " (٣)

استعارة عن قوة الاسلام .

وقد استعمل الرافعي الجناس والطباق في والاستعارة في بعض مقالاته :

(١) وحى القلم ، ج ٢ ، مصطفى الرافعي ص ١٥٠ .

(٢) نفوس العجبين المرجع ج ١ ص ٤٠ .

(٣) نفوس العجبين المرجع ج ١ ص ٢٤٢ .

فاسمعه يقول في مقاله " في الربيع الأزرق " :
" ما أصدق ما قالوه : ان المرثى في الرأى مرضت مدة في المصيف
فانقلبت الطبيعة العروس التي كانت تتزين كل يوم الى طبيعة عجوز تذهب كل
يوم الى الطبيب . . " (١)

فجده استعمل الجنس في قوله " المرثى - الرأى " والاستعارة في
قوله " الطبيعة العروس ، الطبيعة العجوز ، والطباق في قوله " العروس ،
العجوز " .

وقد استعمل الرافعى في بعض مقالاته الكناية التي تزيد المعنى وضوحا

وتلبسه بها ، وحلة جديدة وتجريه في معنى محسوس . يقول في مقالة أحلام

في قصر " :

" وكان أبوه من الأمرء الذين ولدوا وفي دمهم شعاع السيف ، ورييق
التاج ، ونخوة الظفر ، وعز القهر والغلبة ، ولكن زمنه الحصار ضرب عليه ،
وأفضت الدولة الى غيره ، فتراجعت فيه ملكات الحرب من فتح الأرض الى شرا
الأرض " (٢)

فقوله :

" وفي دمهم شعاع السيف ، كناية عن الشجاعة
" ورييق التاج " كناية عن العظمة والملك .
" وعز القهر والغلبة " كناية عن الأنفة والشجاعة .

(١) وحى القلم ج ١ مصطفى الرافعى ص ٥٠

(٢) نفس المرجع ص ٨٥

وهذا مثال آخر على الكناية في مقالة " أيها المسلمون " :
أراد الانجليز أن يطمئنونوا في فلسطين الى شعب لم يتعود قط أن يقول
أنا . ولكن لماذا كنستم كل أمة من أرضها بمكنسة أيها اليهود " (١)
كناية عن الطرد .

ويقول أيضا :

" ولئن كانت الحوافر تهى * مخلوقاتها ليركبها الراكب ، ان المخالب
والأنياب تهى * مخلوقاتها لمعنى آخر * كناية عن القوة .
ومن أمثلة الكناية أيضا في مقالة " السمكة " يقول على لسان الفقيه في
الموعظة :

" من دخل في مذهبنا هذا " يعنى الطريق " فليجعل على نفسه
أربع خصال من الموت : موت أبيض ، وموت أسود ، وموت أحمر ، وموت أخضر ،
فالموت الأبيض الجوع ، والموت الأسود احتمال الأذى ، والموت الأحمر مخالفة
النفس ، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض (يعنى لبس المرقعة
والخلق من الثياب) " (٢)

ومن أمثلة الكناية أيضا قوله : في مقالة فاتح الجو المصرى :

" لقد آن للشباب المصرى ، فهو مخامس في ما الصواعق . كناية عن

السحاب "

متطوح في اللجة الأزلية التي تغوص فيها الكواكب يطير بروح الشرارة
ويهبط بروح الغيث " كناية عن أجواز الفضاء "

(١) وحى القلم ج ٢ مصطفى الراقى ص ٢٤٢ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٢ .

ويقول أيضا :

" وضربت باجناح مصر في الهواء ، وأعنان السماء مطوأة بالزعزع والهوجاء
والعاصف والسماء في فصلها المكفهر الذي تخلع فيه كل ساعة وتلبس وتمزق وتطوى"
كناية عن طبيعة الشتاء من الغيم والصحو وما بينهما" (١)

وتتضح أمثلة المقابلة عند الرافعي في مقالة " الانتحار "

" ولو كنت بدل ايمانك بنفسك قد آمنت بالله حق الايمان ، لسلطك الله على
نفسك ولم يسلطها عليك ، فاذا رمتك المطامع بالحاجة التي لا تقدر عليها ، رصبتها
من نفسك بالاستغناء الذي تقدر عليه ، واذا جاءتك الشهوات من ناحية الرغبة
المقابلة ، جئتها من ناحية الزهد المتصرف ، واذا ساورتك كبرياء الدنيا أنزلتها
بكبرياء الآخرة "

وقد يستعمل الرافعي الطباق أحيانا ولكنه يأتي عفواً لظرف غير متكلف

مناسب للمعنى الذي وضع من أجله .

يقول :

" ما أشقى نفس الشاعر ، فانها لسموها تجهل ما هي من هذا العالم
فلا تزال تمتزج في أرضنا بكل ما يحزنها ويسرها لتعرف ما هي ، ولن يكون الشعر
العالي أبداً الا التقاء بين نفس سامية وحقيقة سامية .

ومن ثم كان الشاعر العظيم يحب ويبغض ويضحك ويبكى ويرضى ويغضب

ولا يحس من كل ذلك وما اليه الا السماء تحكم من داخله على الأرض" (٢)

(١) وهي القلم ج ٢ ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ٢٥٤-٢٥٤.

(٢) رسائل الأحران ، مصطفى الرافعي ، ص ٧٦-٧٧.

وهذا مثال يسدل على أن الجمل متساويه الفواصل وطي الطباق

في قوله في مقاله " وهي الروح " :

" واين كل ما صبت الشمس والكواكب من نيرانها ، وما أخرجت فصول الأرض من وشيها وألوانها ، وما هتفت به الطير من أغاريدها وألحانها وما تلاطمت به الدنيا من أمواج انسانها ؟ واين ما صح وما فسد وما صدق أو كذب ، وما ضر أو نفع ، وما علا أو نزل ؟ وفي كل لحظة تمتلئ هذه الدنيا لتفرغ . ثم تفرغ لتمتلئ ، وماضيها ومستقبلها مطرقتان يمد بينهما كل موجود لتعطيمه " (١)

فالطباق يظهر في قوله : فأصح - وما فسد ، وما صدق أو كذب ، وما ضر أو نفع ، وما علا أو نزل ، تمتلئ ، تفرغ ، ماضيها ومستقبلها .

ويتضح في أسلوب الرافعي الازدواج المتوازن . فيقول في ذلك :
" والحياة خداع وغرور ، زيف وخطأ ، عمل وعيث ، لهو ولعب ، ومهزلة وسخرية والناس كالارقام تخط على هذا التراب ثم يقال للعاصفة : اجمعي واطرحي وحلي المسألة . . " (٢)

ويقول أيضا :

في مقاله " أحلام في الشارع "

يصف الطفلة البائسة الفقيرة وهي نائمة في الشارع فيقول :

" نائمة في صورة ميتة ، أو كمية في صورة نائمة " (٣)

(١) المساكين ، مصطفى الرافعي ، ص ٥٤ .

(٢) نفس الترجيح .

(٣) وهي القلم : ج ، مصطفى الرافعي ، ص ٧٨ .

وهذا مثال على ضرب الأمثال البارة في مقدمة المساكين . يقول

الرافعي في ذلك :

" ان من الشجرة شجرة تنبت في القفر تمتص ماها من بين رمل وحجر ، وتمتص غذاها من لوم الجذب ، فاذا حان ان يزهر عودها شوك فلا يكون في قده ونبرة ، الا شوك شوك ، فاذا ازدهورها في الخصب وخصلها الماء وساغت لها الطبيعة ، ثم حان ان يزهر عودها طسه كرم الارض فاذا في موضع كل شوكة زهرة كأنها كلمة الحد ، وكذلك مثل الفقير بين الطحد والمومن ! (١)"

وهذا مثال آخر في ضرب الرافعي للأمثال المحكمة ، يقول في مقالة

" الطفولتان " عن عصمت بن الباشا الفنى المترف :

" وفي رأى " عصمت " أن أباه من علو المنزلة كأنه على جناح النسر الطائر في سبحة الى النجم ، أما آباء الأطفال من الناس فهم عنده من سقوط المنزلة على أجنحة الذباب والبصوض ! (٢)"

وقد امتاز الرافعي بالوصف الدقيق المحكم في مقاله " مسكينة مسكينة

ومن ذلك قوله يصف فتاة بائسة قد تكالبت عليها محن الحياة من ألم الفقر والجوع والبؤس وأصبحت تمشي في هذه الحياة ولا تدري الى أين المصير وما الذى تخبئه الايام .

(١) المساكين ، مصطفى الرافعي ، ص ٢٠ .

(٢) وحى القلم ، مصطفى الرافعي ، ص ٧٠ .

يقول في ذلك :

" ومشت تتساقط كأن الجوع والمرض يهدمان في كل عشرة ركنا ، أو كأنه كتب على كل بائس أن يموت في طريقه الى الموت ، وهي تنتفض من كل عشرة الى أشد منها كما تتخطى العنكبوت في نسجها من خيط واهن يكاد ينقطع الى خيط أو هن منه ، وقد اجتمعت روحها في عينيها فهي تسيل على نظراتها الشاردة ، وكلما امتد بها المسير قصرت مسافة النظر حتى توهمت ان الموت بادي من عينيها ، (١)"

ويقول في الوصف أيضا :

" وكذلك أخذت سمتها الى طريق النهر ، وأضت نيتها على الموت غرقا ، لتموت نظيفة ، وتكون لنفسها غاسلة وترسل روحها المتألمة في دموع السماء (٢)"
ولا يعتمد الرافعي السجع في أسلوبه الا نادرا ولكنه موافق للمعنى غير

متكلف .

يقول مخاطبا شباب مصر المتعلم في أوروبا والمتعلق بالمدينة :

" الا ليتكم جئتم للبلاد من أوروبا بمحارث بدلا من هذه الموارث ، وجئتم بالسما بدلا من هذا الوساد . وبالبيائم للسواق ، لا بالحلائل والخوانق ، وباليتم اذا كنتم رجالنا لم تغلبكم نساؤهم ، وان كنتم سيوفنا ، لم تأسركم دماؤهم . وباليتم لم تنعموا وتتأنثوا ، فكانت البلاد بخد منكم أهل البأس ولم تتعلموا وتتخنثوا ، فكانت الأرض على الأقل تعرف منكم أهل الفأس (٣)"

(١) الساكين - مصطفى الرافعي ص ٨٧

(٢) نفس المرجع ص ٨٦

(٣) السحاب الاحمر - مصطفى الرافعي ص ٦٧

ومن أمثله على السجع أيضا قوله يصف فتاة يائسة :

في مقاله " مسكينة مسكينة " :

" وخرجت يوما على الناس ، وكأنها لقدارتها قطعة من الحياة البالية
مدرجة في بعض الأطمار ، وأروح من الهواء تمشى ساكنة في أردية من الغبار ،
وما تحصى الممين تلك البقع المنتشرة في ثيابها ، كأنها أرقام للفقر يعد بها
ليالي عذابها وهي - علم الله - بقع أشأم منها أنها رقع ، وقد أغبر شعرها
الفاحم وتلبد ، فكأنه بعض ما وقع على رأسها من حظها الأسود ، ولاح من تحته
وجه كالدينار الزائف في صفرته ورده ، وكالقمر المحروق في استطالته تحسنت
الظلام ومدته . وهي فتاة طيلة قد أخذ السقام من حجمها ، كما أطفأت الأقدار
من نجمها ، وخفي من المرض في صدرها أكثر مما خفي بين الناس من قدرها
وما تعرف من أسماء الأموات والأحيا غير أسماء أهلها ، ولا تطك من الأرض كلها
أكثر من غبار نعلها ، وقد خرجت تتحامل فكما خافتت في مشيها قليلا خافت
المثار ، فاستندت الى جدار فاذا رأيت ثم رأيت صورة البؤس ولكن غي غير
إطار (١) "

ومن أمثلة اقتباس الرافعي من القرآن قوله :

" انه ليجوع ويظلم ويحمرى ، ولكن كما يجوع الابر وتظلم الأرض ويحمرى

الشجر" (٢)

" قال تعالى :

" ان لك الا تجوع فيها ولا تحمرى ، وانك لا تظموها فيها ولا تضحى" (٣)

(١) المساكين مصطفى الرافعي ، ص ٨٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٨ .

(٣) سورة طه الآية ١١٨-١١٩ .

ومن أمثلة الاقتباس أيضا قوله :

في مقالة فاتح الجو المصرى :

" سلاما يفتح الجو المصرى • لقد أجالت الأيام قداحها فخرجت

القرعة طيك ، وأوحى اليك آية x : بسم الله مصعدا ومجراها •" (١)

من قوله تعالى :

" وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم" (٢)

ومن أمثلة الاقتباس أيضا قوله :

" ثم كانت عداوة بنى آدم ان قريبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل

من الآخر" (٣)

في قوله تعالى : " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ان قريبا قربانا

فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من

المتقين" (٤)

وكذلك قوله :

" أولسنا نرى الذين يكون كثيرا من الحكما والجهال على السواء

يوطون أن يدركوا من أسرار الروح كثيرا ان يرون تلك الخنادق قد أخذت تمج

فيها بالما قد فمض وكانهم بالامر قد قضى" (٥)

(١) وحى القلم ، ج ٢ ، مصطفى الرافعى ص ٢٥٦ •

(٢) سورة هود آية رقم ٤١ •

(٣) المساكين ، مصطفى الرافعى ص ٢٥ •

(٤) سورة المائدة آية ٢٧ •

(٥) حديث القمر ، مصطفى الرافعى ، ص ١٣ •

نفى قوله تعالى :

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيضي الماء وقضى الأمر

واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين * (١)

ومن أمثلة الاقتباس من الحديث قول الرافعي :

" وماذا في السعادة أهنأ من أن توفى شر هذه السعادة فلا تتطلع

نفسك اليها ولا ينالك الا ما تحب أن ينالك ، فأنت بعد وادع فأد آمن نفسي

سريك معافى في بدنك ، خارج من سلطان ما بينك وبين الناس ، من خلق

مستبد أو رغبة ظالمة ، أو صلة عاتبة * (٢)

عن سلمة بن عبد الله بن محصن الخطمي عن أبيه وكانت له صحبة قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : من أصبح آمنا في سربه معافى في

جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا * (٣)

ويظهر الاقتباس من خطبة للرسول في مقاله " لو لم المال ووهم التعاسة "

في قوله :

وأشقى الناس من يتوقع الشقاء وهو لا يعلم من حاضره فالله صانع به

ولا من مستقبله فالله قاض فيه * (٤)

خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

" أيها الناس : ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا

الى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين ، بين عاجل قد مضى لا يدري والله

صانع به وبين آجل قد بقى لا يدري ماله قاض فيه * (٥)

(١) سورة هود آية ٤٤ ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ٤٢ .

(٢) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره

المجلد الرابع - الباب (٣٤) ، ص ٥٧٤ تحقيق ابراهيم عطاوة عوض .

(٤) المساكين ، مصطفى صادق الرافعي ، ص ١١٣ .

(٥) البيان والتبيين الملاحظ تحقيق حسن الصندوقي عهد السلام هارون ج ٣ ص ٢٤٣

الرمزية في أدب الرافعي

لقد كانت ثقافة الرافعي ثقافة عربية واسعة ، وقد استطاع الرافعي بقلمه الفذ أن يجدد في الأساليب العربية بما أوتي من قوة الحسـن وارهـاق التعبير وقوة الخيال الشعري .

على أنه كان يأتي بتمبيرات على غراء الرمزية الأوروبية ومثل ذلك قوله في مقالة " الشيخ على في كتابه " السحاب الأحمر " (وما زالت روح هذا الرجل منى منذ عرفته كأنها نضاحة عطر تجم رشاشها على حياتي روحا وعبيرا أو ندى " (١) .

وقوله في أوراق الورد :

" وفي أعماق نفسي يتصاعد الشكر بخور " (٢)

وان تصوير الرافعي ليلعب بالرمزية أقصى مداها - حتى ليشرف أحيانا بما أصابها من افراط على آفاق الرمزية الأوروبية التي تنطلق فيها طاقات الكلمات في التعبير ، لتخلق جوا من الرمز والايحاء يقيم فيه المعنى ويصير ضبابا ، وبعض تمبيراته يمثل الرمزية الغربية ، لكن سيطرة عقل الرافعي على أدبه جعلته يتحكم في التصوير . (٣)

وللرافعي لون من القصص طريف جرى فيه على نمط كليل ود منه وقد ورد ذلك له ضمن مقالات تسع كتبها الرافعي في الخصومة التي وقعت بينه وبين طه حسين وهي مثبته في كتاب الرافعي " تحت راية القرآن " وعناوينها

-
- (١) السحاب الأحمر ، مصطفى الرافعي ، ص ١١٤ .
 - (٢) أوراق الورد ، مصطفى الرافعي ص ١٢٢ .
 - (٣) الرمزية في الأدب العربي ، درويش الجندى ، ص ٤٨٠ .

- فلما أدركة الغرق ص ١٧٤ - واضرب لهم مثلا (ص ٢٣٣) -
- وأعمالهم كرماد اشدت به الريح (ص ٢٧٦) - وقال د منه (ص ٢٩١)
- وحرية التفكير (ص ٣١٦) - وذو الأفتال (ص ٣٣٠) - وسلم لفظا
- لا معنى (ص ٣٤٨) - والمجدد الجرى* (ص ٣٦٩) .

ان هذه الامثال يضربها الرافعى على سبيل التهكم بخصوصه ولو جردت هذه القصص بما يتصل بها من الكلام الصريح فانها تأخذ الشكل الرمزي الموضوعى الكامل .

على أن ذلك القصص قد تكلمت رمزيتة فى موضوع واحد أنشأه الرافعى بعنوان " كهر الذبابة" ^(١) فى وهى القلم ص ٢٢١ التى يعنى بها مصطفى كمال وحركته الدينية .

ومن أمثلة سخرية الرافعى بخصوصه على لسان كليلة ود منه فى مقالته " ذو الأفتال " تظهر سخرية من طه حسين بأسلوب الرمزية وكيف أن الحوادث تنقل طه حسين من منزلة الى منزلة وهو يخف فى يدها ولا يثقل به رأى ولا يرجح له عقل ثم يقول على لسان دمنة :

" غير أن نسختى " من كليلة ودمنة " ليست بليدة ، فقد رجعت اليها الساعة فاذا الماكر دمنة يقول : ولا يفرنك أنك على ثقة من غفلة من حولك . فانك ان لم تكن على مسافة بعيدة من عاقبة عفتهم فأنت على مسافة دانية من عاقبة مكرك . وان القدر ان خلاك فلا يفلتك من يمينه الا لياخذك بيساره ، فلا تستتم الى مسافة ما بين القبضتين اذا كان ما من الوقوع فى أحدهما بد " ^(٢)

(١) الرمزية فى الأدب العربى ، درويش الجندى ص ٥٠٠ .

(٢) تحت راية القرآن ، مصطفى الرافعى ص ٣٢٢ .

وأسلوب الرافعي لا يفهمه من يقرأه للمرة الأولى فيزداد القارىء شغفا
وحبا ومعرفة لقراءة النص مرات ومرات وفي كل مرة يشعر القارىء بالاستمتاع ،
فالرافعي طريقته متميزة في كتاباته ويقول الأستاذ أنيس المقدس عنه :
" ولقد حاولت أن أقابله ببعض الكتاب الأقدمين وعثا حاولت ذلك فليست
طريقته طريقة صدر الاسلام وطريقة البساطة المحكمة الايجاز ، ولا هو كاسن
المقنع في أسلوبه السهل الممتنع ، أو الجاحظ في بيانه المتوازن ، ولا هو
يجرى مجرى أهل الصنعة من المترسلين أمثال القاضى الفاضل ، بل يجمع
أطرافا من كل ذلك ويسلك بها طريقة خاصة كل ما يمكن أن يقال فيها أنها
رافعية .

ولو سئلت أن أصف الطريقة الرافعية ، لقلت أنها أشبه برجل مصعد في
جبل صعب المرتقى لا يكاد يبلغ غايته حتى يكون قد نضح عرقا وشغلته وعورة
المسالك عن التمتع بجمال المناظر" (١)

ولكنى أرى ان وعورة المسالك قد تشغله حيناً عن التمتع بجمال المناظر
وعند ما يستريح تدعوه الأفكار الرافعية متحدة منادية لقراءتها مرة وممرات
الى أن يعرف ما لم يفهمه في المرة الأولى .

(١) الفنون الادبية واعلامها في النهضة الادبية واعلامها . تأليف أنيس

والرافعى يمثل بقلمه الفذ ، وأفكاره الجيدة تراثا خالدا تظهر فيه روح الأديب المسلم ، بالأسلوب المتميز بالثقافة الواسعة وجزالة الأسلوب والتفرد بين أديبا عصره بالفلسفة العميقة ، وان كان البعض يرى هذا عيبا ، ولكن قد يتون ذلك من المحاسن لأن أسلوبه يرتفع عن أسلوب المثقف العادى .
فمن أراء أن يقرأ له عليه أن يتأبر ويصعد اليه ، عندها لن يضع اللوم على أسلوبه الذى شرع فيه لونا من البيان بين جزالة الاسلوب وفحوله الملفظ .
الوقوع على المعانى الغريبة التى تثير فى النفس عجباً ، وتشيع فيها طريبا فكان فى حياته نسيج وحدة ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضه الادبيه فى العصر الحديث . .

الإبائة الثالثة

أرب الرافع

الفصل الأول: آثاره العامية
الفصل الثاني: آثاره الأدبية
الفصل الثالث: أسلوبه وفصائله
الفنية، مع التمهيد له بتطور الأدب
وتحررها من الصناعة اللفظية
التي غلبت على الأدب في العصر
العثماني

الفصل الأول

مقالاته في الإصلاح الديني

الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام

تناول الرافعي هذا الجانب بمبقرته الفلسفية ، وقد أسدى خدمة عظيمة للدين الحنيف ، بمقالاته الإسلامية التي تفيض إيماناً عميقاً ، وعقيدة صادقة ، وذلك بما أوضحه من إشراق الإسلام المضيئة ، ونبعه الصافي ، وإن سمو أدب الرافعي بلا ريب يمثل أدب الفكر الإسلامي فيلسف الإشراق الإلهي والإسلامي بقوله :

((كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار ، يولد النبي فيوجد في الإنسانية ينبوع النور المسمى بالدين وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها))

والشمس خلقها الله حاملة طابعه الإلهي ، في عملها للمادة تحول به وتفسير ، والنبي يرسله الله حاملاً مثل ذلك الطابع في عمله تترقى فيه وتسمو .

ورعشات الضوء من الشمس هي قصة الهداية للكون في كلام من النور ، وأشعة الوحي في النبي هي قصة الهداية لإنسان الكون في نور من الكلام والعامل الإلهي يعمل في نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين :

أجرام النور من الشمس والكواكب ، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء (((١) .

((وحين أنطفت شمس التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها ، وأوشك الظلام الكثيف أن يطبق على العقل ، ولم يمد هناك غير قلة قليلة من الغرباء

للموحدين ، شاءت رحمة الله تعالى أن تبعثه بآخر رسالات السماء السابعة
الأرضى ووسط كآبة الحياة وليلمها الموحش - جاء شمس الانبياء محمد
صلى الله عليه وسلم (((١) ،

جاء ليوقظ أبصار قوم عن المجد نوم ، بعد ليل مطبق بالجهل جاءت
هذه الرسالة تحمل معها النور والهداية والأستقرار للأمة ، وهذه الرسالة
ما هي الا رحمة للعالمين كما قال تعالى :-

((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)) (٢) .

رحمة من السماء تطرخير ا على أمة مجدبة أهلكتها الجهل وضيعها التشرد
أمة بلا وجدان تميش بلا دليل ولا هدى ولا غاية ، ولكن ما أن جاء هذا النبى
للأنسانية الا ليحقق فضائلها ، وقد سما بالبشرية نحو الأفضل ، بدين الاسلام .

هذا هو الرافعى المسلم الذى يكتب عن الاسلام ويجعل كل مبهم
على المسلمين نهارا للأنسانية ، يملأها نورا وعدلا ويقظة وحياة تحقق أهداف
الانسانية وفضائلها عن طريق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمين بعثه
الله فى الأمة الإسلامية لهدايتها وارشادها عندما كادت الدنيا تموت عطشا
الى الحب والرحمة والعدالة فما أعذب هذا المنهل العذب الصافى الذى تركه
صادق الرافعى على مر الاجيال هداية وارشادا لمن أراد أن يضع غطاء الاشراق
الالهى الذى عم الكون ودخل النفوس فأنارها وبدد ظلماتها بشموس ممتدة من
السماء لتستمد ضوءها من نور السموات من الله جل جلاله ومن الانبياء والرسل .
وبعد ذلك يتحدث الرافعى عن بلاغة النبى - صلى الله عليه وسلم -

(١) أنبياء الله أحمد بهجت ط ٣ ص ٣٧٠

(٢) سورة الأنبياء الاية (١٠٧) .

وفنه البياني ، وكيف أن هذا الرسول هو الشخص المفسر اذا تصسف الناس الحياة ولا يدرون الى أين يتجهون ولا كيف يهتدون فيحدث الاضطراب في البشرية والتهاكك على أطماع الدنيا .

فتظهر الآداب العالمية في هذا النبي أبلغ وأعلق لتسيير هذا الكون المضطرب بنظام دقيق ، وفق قوانين الطبيعة وأحوالها المتجددة أن هذه حقيقة الاسلام في أخص معانيه لا يفنى عنه دين آخر فهو دين المساواة والحرية والفضيلة للنهوض بمجتمع قوى كريم يقوم على التعاطف والتراحم والتواد — ضرورة وجود القوة بهذا الأسلوب القوى الجزل الرصين يقول الرافعي :-

" وهو دين يعلو بالقوة ويدعو اليها ، ويريد اخضاع الدنيا وحكم العالم ويستفرغ همه في ذلك ، لا لأعزاز الأقوى وانزال الاضعف ولكن للارتفاع بالأضعف الى الأقوى ، وفرق ما بين شريعته وشريعة القوة ، ان هذه انما هي قوة سيادة الطبيعة وتحكمها أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها ، وتلك تعمل للتفريق وهو يعمل للمساواة ، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما اساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية " (١)

ان الرافعي يصف هذا الدين بالعلو والقوة التي يدعو اليها ولا يخضع هذه الدنيا وتخليصها من الفوضى والاضطرابات التي يعيشها وانصافا لكل مظلوم والأخذ بيده لجعله قويا وجعل الناس سواسية أمام أحكام الله وهذا هو الفرق بين شريعة الطبيعة السائدة قبله وتحكمها للعبودية والاضطراب والاضلال بين شريعة الاسلام وسيادته للمساواة والفضيلة التي تأتي عن طريق الترغيب للمؤمن وجعل الضمير الانساني في بقطة مستمرة وأن المسلم يعلم علم اليقين أنه بيمين قبضتي الله عز وجل وأنه سبحانه أقرب اليه من الوريد ولقد دار الرافعي في هذا الفلك من هذه المعاني .

وفي ذلك يقول :

• ومن هنا كان طبيعيا في الاسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة الا وهو يطبع عليها صورة للجنة ونعيمها الخالد ، ولا رذيلة الا وهو يضع عليها صورة النار الابدية وقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة الى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع ، يحرص على ما يكون له وما يشره الي ما ليس له وبمكر الحيلة ، ويبسود وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك في تمقيد الدنيا بل نظرة القلب السالم يخلع الدنيا ويسخو بكل مضمون فيها فيعف عن كثير ويعرف الإنسانية ويطمع في غاياتها العليا فيعفو عن كثير ويدرك أن الحلال وان حل وراى حسابـــــــــــــــــه وأن الحرام وان غير ليس الا تعلق ساعة زاهية ثم من وراءه عقاب الابد (١). فمن طريق الترغيب في الحلال والاسراع اليه ، والابتعاد عن الحرام وتجنبه ، يتحدث الرافعي عن الملكين اللذين يكتبان أعمال الإنسان بخيرها وشرها ، فالإنسان ان لم يحس حرا يفعل كما يشاء لان الله وضع له قيودا وملائكة تحص عليه أعماله ، وتسجلها عليه حتى يكون كل ما في الإنسان يريد أن يحارب الضلال بكل ما فيه حتى يتجنب النفس المشرية كل طريق يؤدي الى الشهوات التي تؤدي بالبشرـــــــــــــــــه في طريق الهاوية .

ويقوم الرافعي بقلبه دور المصلح الاجتماعي الذي يقرر حقيقة اجتماعية وهي أنه لن يعم السلام في روح الاسلام بصفائها وقوتها على العالم الذي يعاني من المصائب التي تجعل البشريه في خطر دائم وهم ثقيل ، وحزن متواصل وفي ذلك يقول :

• فليس يعم السلام الا اذا عم هذا الدين بأخلاقه فشم الأرض أو أكثرها فان قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم فاما انتسخ به قانون التنازع الطبيعي ، واما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الاخلاق

الأنسانية ، والاسلام يحرض أشد الحرص وأبلغه على تقرير ذلك المعنى الالهي العظيم بالمنطق ، ولكن بالعمل ، ثم في النفس وعواطفها لافي العقل وآرائه ثم على وجه التعميم ، دون الاستثناء والخصوص ، وذلك هو سر مشقته على النفس بما يفرضه عليها ، فان فلسفته أن هذه النفس هي أساس العالم وأن العمل هو أساس النظام ، وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة ولا يبلغ العسر والحرج كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والاهمال (١)

ثم يكتب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومكانته التي حباها الله بها بين سائر البشر فيظهر حب الرافعي المسلم العميق للرسول - صلى الله عليه وسلم - ويناجيه بأسلوب جميل ويبين هذه المكانة في ذكره في الصلوات خمس مرات في اليوم حتى لا ينقطع المسلمون عن نبيهم يردون ذكره ويترددون ذكره كأن الاسلام ما زال في أول اشراقه هذا الاشراق يضيء في نفس كل مؤمن حتى كأنه المسلم الأول في صدر اسلامه ، وشتان بينه وبين مسلم اليوم انه مسلم ضعيف تكالبت عليه قوى الشر ، واتباع الشيطان وقلق النفس وحيرتها لذلك وجدت قوى الشر مستنقما خصبا في نفسه لتضع أوزارها ، وتنمو هذ الأوزار ولا تجد من يببدها ، ويطهرها مما يعلق بها فلو أتبع الناس ما ينصح به الرافعي لاستطاعوا أن يقاوموا قوى الشر فهذا نداء الرافعي المسلم يقول :

" ايها المسلم !

لا تنقطع عن نبيك العظيم ، وعش فيه ابدا ، واجعله مثلك الأعلى وحين تذكره في كل وقت فكن بين يديه ، كن دائما المسلم الأول ، كن دائما ابن المعجزة (٢) هذه النصيحة التي أختتم الرافعي بها " فلسفة الاسلام " الدعاء يطهر النفس وذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعني نمو الاعمال الصالحة وتزايدها ، وذلك يقودها الى طريق الخير والحق التي تصبوا اليه كل نفس . .

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٢ ص ٨-٩

(٢) رُفَعْنِي مِنَ الْمَرْجَسِ ج ٢ ص ١١

البياتان

في فلسفة

المغازى والفتوحات الاسلاميه

=====

لقد تناول الرافعى الفتوحات الاسلاميه ولكنه جاء بحوار قصصى استقى مادته التاريخيه من تاريخ الواقدي ودار الحوار بين شخصيات القصة أرمانوسه بنت المقوقس التي اراد أن يزوجهها الي (قسطنطين بن هرقل) واستاذتها ماريه ، والراهب شطا والقائد عمرو بن العاص فاتح مصر ذى الشخصية العظيمه التي هي مثال لشخصية القائد الفاتح في شجاعته واخلاقه وبطولته يقول فى ذلك :

" وكان من عجائب الله أن الفتح الاسلامي جاء في عهده ، فجعل الله قلب هذا الرجل مفتاح القفل القبطي ، فلم تكن أبوابهم تدافع الا بمقدار ما تدفع تقاثل شيئا من قتال غير كبير ، أما الأبواب الروميه فبقيت مستغلقة حصينه لا تدعن للتحطيم ، وراها نحو مائة الف رومي يقاتلون المعجزة الاسلاميه التي جاءتهم من بلاد الصرب أول ما جاءت في أربعة الاف رجل ، ثم لم يزيدوا آخر ما زادوا على اثني عشر الفا ، كان الروم مائة الف مقاتل بأسلحتهم ولم تكن المدافع معروفه ولكن روح الاسلام جعلت الجيش العربى كأنه اثنا عشر الف مدفع يقنابلها لا يقاتلون بقوة الانسان بل بقوة الروح الدينيه التي جعلها الاسلام مادة متفجرة تشبهه الديناميت قبل أن يعرف الديناميت !

ولما نزل عمر بجيشه على بلبيس ، جزعت ماريه جزعا شديدا ، ان كان الروم قد أرجفوا أن هولاء العرب قوم جياع ينفضهم الجذب على البلاد نفخ الرمال على الاعين في الريح العاصف ، وأنهم جراد انساني لا يفزوا الا لبطنه وأنهم غلاظ الأكهار كالأبل التي يمتطونها ، وأن النساء عندهم كالذواب يرتبطن على

خسف ؟

وأنهم لا عهد لهم ولا وفاء ، ثقلت مطامعهم وخفت أمانتهم وأن قائدهم عمرو بن العاص كان جزارا في الجاهلية ، فما تدعه روح الجزار ولا طبيعته ، وقد جاء بأربعة الاف سالخ من أخلاط الناس وشذاذهم لا أربعة الاف مقاتل من جيشه له نظام الجيش ! (((١)

هذه الصورة المشوهة التي كانت تدور في رؤوس الروم حين الفاتحين المسلمين ان الروم لم يسمعوا الا بالحروب فقط ولكن حقيقة هذا الدين لم يعرفوها أجل انهم لم يعرفوها لو عرفوها لتأكدوا أن قواد المسلمين والجيش الاسلامي أنهم فوق مطامع الدنيا وشهواتها وأن اثني عشر رجلا يقفون أمام مائة مقاتل بقوة متفجرة ليهي المعجزة على قوة هذا الدين وعلى تأيد الله له ونصره الى أن تقوم الساعة .

عندما سمعت ماريه بأخلاق الفاتحين في الصورة التي صورها اعداؤهم حزنت حزنا شديدا فقالت لها ارمانوسه :

((اتت واهمه ياماريه ، أنسيت أن أبي قد أهدى الى نبيهم بنت (أنصنا) فكانت عنده في ملكة بعضها السماء وبعضها القلب ؟ لقد أخبرني أبي أنه بعث بها لتكشف له عن حقيقة هذا الدين وهذا النبي وأنها أنفذت اليه دسيسة يعلمه أن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل ، وأن نبيهم أظهر من السحابة في سمائها ، وأنهم جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله ، لا من حدود انفسهم وشهواتها وإذا سلو السيف سلوه بقانون وإذا اغمدوه اغمدوه بقانون وقالت عن النساء لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من اصحاب هذا النبي ، فانهم جميعا في واجبات القلب وواجبات العقل ويكاد الضمير الاسلامي في الرجل منهم ، يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه اذا هم بخالفته .

وقال أبى : انهم لا يميزون على الأمم ، ولا يحاربونها حرب الملك ، وانما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة ، تتقدم فى الدنيا حاملة السلاح والاخلاق قوية فى ظاهرها وباطنها ، وفى وراء أسلحتهم أخلاقهم ، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق !

وقال أبى : لها ان هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء ، طبيعة تعمل فى طبيعة ، فليس يمضى غير بصيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها ، وهو بذلك فوق السياسيات التى تشبه فى عملها الظاهر المطلق ما يمد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر . . شتان بين عمل وعمل ، وان كان لونه يشبه لونا (١) .

قد أبدع الرافعى فى الحوار بين ماريه وارمانوسه بأسلوب أدبى ومعانى جميلة صور بها هذا الدين بما يستحقه من تقدير واجلال ان صور المسلميين بأنهم العقل الجديد الذى يفرق بين الحق والباطل صورة رائعة فى ثوب جميل يبقى أهدالدهر من حيث انبعثت المسلمين على الفضائل واشهار سيوف الحق من غمدها فى وجوه أعداء الحق ولتدمير الباطل والظفيان وفوضى الحياة وهمجيتها بسلاح فى ظاهره سلاح ولكن فى باطنه أخلاق لتفسير عقول ونفوس تعيش فى وهم الباطل والفساد وما حملت الاسلحة الا لاجلال الحق مكان الباطل ولو استجابوا اعداء الدين للدين لما استعمل المسلمون السلاح ولكن عندما تقف قوة من الباطل أمام الحق تناخسه ليس هناك بسد من الحرب .

وما اجمل الرافعى الذى يصور لنا الدين كأنه عصاره فى شجرة جرداء هذه الشجرة كبيره ممتدة الفروع تظلل العالم الذى تنتشر فيه بنمارها وخيرها العميم .

ويسترسل فى حوار مصورا حقيقة التكبير فى نفوس القبط فيقول :

((ورجعت بنت المقوقس الى أبيها فى صحبة (قيس) فلما كانوا فى الطريق وجبت الظهر ، فنزل قيس يلقى بمن معه والفضاتان تنظران ، فلما صاحوا " الله أكبر ")

ارتعش قلب ماريه ، وسألت الراهب (شطا) ماذا يقولون ؟
 قال : ان هذه الكلمة يدخلون بها صلاتهم ، كأنما يخاطبون بها الزمن أنهم
 الساعة في وقت ليس منه ولا من دنياهم ، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدي من هو
 أكبر من الوجود ، فاذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت
 فذلك هو دخولهم في الصلاة ، كأنهم يحون الدنيا من النفس ساعة أو بمسح
 ساعة ، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها ، انظري ، الا ترين هذه
 الكلمة قد سحرتهم سحرا فهم لا يلتفتون في صلاتهم الى شيء ، وقد شطبتهم
 السكينة ، ورجعوا غير من كانوا ، وخشعوا خشوعاً يحظم الفلاسفة في تأملهم ؟ (١)
 ما أبدع تصوير الراهب لبدن المسلمين الصلاة ووقوفهم خاشعين بين يدي
 الله وترك الشهوات والمطامع ونسيان كل شيء في الدنيا والارتفاع بالنفس والسمو
 بها من الماديات الى الروحانيات في اتصال الانسان بخالقه وقد علمت هذه الكلمة
 التي هي ايدانا بدخولهم الى العالم الآخر عطشها في النفوس والقلوب من طمأنينة
 وخشوع ثم يوضح الراهب لأرمانوسة هذه الحقيقة لهذا الدين الى أن قال : ((ولكن
 هؤلاء المسلمين متى فتحت عليهم الدنيا وفتنوا بها وانغمسوا فيها - فستكون
 هذه الصلاة بعينها ليس فيها صلاة يومئذ (((٢)))

هذه حقيقة يقرها الرافعي على لسان الراهب شطا ان الدنيا فتحت بسواعد
 وقلوب وأرواح المجاهدين الفاتحين ولولا أنهم كانوا يملكون هذه الروح لـ
 استطاعوا أن يحققوا ما حققوا ولكن ما حدث هو بعد فتح الهندال وبعد الزمن
 الطويل الذي يفصل المسلمين الاوائل عن هذا الزمن الذي نحن فيه أن المسلم
 أصبح مسلما بالاسم فقط لكن قلبه روحه كيانه وجدانه في ملذات الحياة فـ
 الماديات في الشهوات في عدم اشباع النفس ان الماديات لا تشبع النفس الشـ
 الطامعه لانها كلما أفاء الله عليها من النعم زادت الى المطالب من جديد .

(١) وحي القلم - مصطفى الرافعي ج ١ ص ٢٤ - ٢٥

(٢) " " " " ج ١ ص ٢٥

وأصبحت الصلاة بمعيشتها ليس هي الصلاة كيومئذ المسلم اليوم ان صلى تدور فسي رأسه مئات وآلاف الافكار لا يدري ما يقول في صلاته . . هذا ان صلى وعرف واجبه تجاه خالقه ، وان لم يصل وهنا الكارثة أنشغل أكثر وأكثر .

وهذا لا ينطبق على المسلم الحقيقي كما أراد الله له فهناك الصالحون وهناك الخاشعون كما قال تعالى :-

((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)) (١)

الرافعي والأحداث الإسلامية الكبرى

فوق الآدمية

الاسراء والمعراج

=====

جعل الرافعي لمعجزة الاسراء والمعراج عنوانا فوق الآدمية نعم ان -
معجزة الاسراء والمعراج معجزة الهية هي فوق الآدمية لان الآدمية لها عقل
محدود وحواس محدودة وطاقات معينة تعمل في حدود امكانياتها ومن هنا تظهر
المعجزة لانها أكبر من تصور الآدمية وتفكير وطاقتها وهنا الاعجاز يستهمل
الرافعي مقاله في فلسفة الاسراء والمعراج بهذه البراعة الساحرة في الاستهلال
فيقول :

" وكيف يستوطى * المسلمون العجز ، وفي أول د بينهم تسخير الطبيعة ؟
كيف يستمدون الراحة ، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟ كيف
يركعون الى الجبل وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟ كيف لا يحملون النور للمالم
ونبيهم هو الكائن النوراني الأعظم ؟ (١) .

ثم ذكر أن قصة الاسراء والمعراج من خصائص نبينا محمد - صلى الله
عليه وسلم - الذي جاء لهداية العالم وانقاذه من براثن الشرك والضلال ويظهر
أسلوب الرافعي المفسر اللغوي للقرآن بالأسلوب الرفيع وبصوره جديدة للادب -
القيم وفي ذلك يقول :

" وقد حار المفسرون في حكمه ذكر " الليل " في آية " الاسراء " من قوله
تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا " .

فان السرى فى لغة العرب لا يكون الا ليلا .

والحكىة هى الاشارة الى ان القصة قصة (النجم) الانسانى العظيم الذى تحول من انسانيته الى نوره السماوى فى هذه المعجزة ، ويتم هذه المعجزة ان آيات " المطراج " لم تجى " الا فى سورة " والنجم " .

وطى ثاويل ان ذكر (الليل) اشارة الى قصة النجم . تكون الآيىة برهان نفسها ، وتكون نسقها قد جاءت معجزة من المعجزات البينانية ، فاذا قيل ان نجما دار فى السماء ، أو قطع ما تقطعه النجوم من المسافات التى تعجز الحساب ، فهل فى ذلك من عجيب ؟ وهل فيه شك أو نظر او تردد ؟ وهل هو الا من بعض ما يسبح الله بذكره ؟ وهل يكون الا آيىة اتصلت بالآيات التى نراها اتصال الوجود ببعضه ببعضى ؟

وان ما يكاد ينقضى عجبى له من قوله تعالى : " لنرى من آياتنا " — مع ان الالفاظ كما ترى مكشوفة واضحة ، يخيل اليك ان ليس وراءها السر الأكبر فانها بهذه العبارة نص على اشرف النبى (صلى الله عليه وسلم) فوق الزمان والمكان يرى بغير حجاب الحواس ما مرجعه الى قدرة الله لا قدرة نفسه ، بخلاف ما لو كانت العبارة (ليرى من آياتنا) فان هذا يجعله لنفسه فى حدود قوتها وحواسها وزمانها ومكانها ، فيضطرب الكلام ، ويتطرق اليه الاعتراض ولا تكون ثم معجزة . وتحويل فعل (الروية) من صيغة الى صيغة كما رأيت وهو بعينه اشارة الى تحويل الراى من شكل الى شكل كما ستعرف ، وهذه معجزة أخرى يسجد لها العقل ، فتبارك الله منزل هذا الكلام (١) .

ثم يتطرق الى الروح وكيف أنها تسو بصاحبها وترفعه الى أعلى الدرجات ويوضح ان الأنبياء لديهم روح أقسرب الى الروح الملائكية وذلك لأنهم حطة رسالة ودعاة اصلاح أتوا الى العالم ليغيروا ما به من فساد فلا بد أن تكون لديهم

قوة باطنة ولولاها ما أستطاع الانبياء أن يحتملوا هموم كاملة دون تعب أو ملل أو ضيق أو تهرم بما أوكل اليهم ثم ذكر الرافعي الاختلاف في الأحاديث وأنها وقع فيها تخليط كثير ، فجاءت فنونا وأنواعا من طرق شتى ، وهو لا يرى في ذلك بأسا ، طالما أن الأصل معنى واحدا وهو يمد من يمينه ويساره ، ويعتبره اجتهادا من العلماء يشدون به الرأي ويضاعفون منه اليقين ، ويزيدون المعنى نورا واشراقا ووضوحا . ما دام أن الأصل مثبت فلا حرج في تأييد الأقوال بعضها بعضا .
ثم يذكر وش القصة وطرازها فيقول :

" ومن هذه الرموز الهدية قوله : فجاءني جبريل باناء من خمز واناء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أخذت الفطرة وأنه مر على قوم يزرعون ويحصدون في كل يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فسأل ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف ثم أتى على قوم ترضح رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك في شيء ، فقال ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة - ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نخبج في قدر ، ولحم آخر نبي في قدر خبيث ، فجعلوا يأكلون من النبي الخبيث ويدعون النخبج ، فقال ما هؤلاء ؟ قال جبريل : هذا الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها . ثم رأى نساء معلقات بثديهن ، فسأل ، فقال جبريل : هؤلاء اللاتي ادخلن على الرجال من ليس من أولادهن " (١)

ثم يتفق الرافعى مع جمهور العلماء من أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا ، ويحلل آية من سورة النجم تحليل دقيق يثبت بها أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا ويدل التحليل على ثقافته الدنيوية ومعرفته الدقيقة لتفسير آيات القرآن يقول فى ذلك :

" ونحن على الرأى الذى عليه جمهور العلماء : من أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا على التأويل الذى سنبينه ، ويثبت ذلك قوله تعالى فى سورة (والنجم) : " ان يفض السدوة ما يفضى ، ما زاغ البصر وما طفى " ، فلا يكون البصر يزيغ ويطفى الا فى الجسم ، ولا ينتفى عنه ذلك الا وهو فى الجسم ولم يتنبه أحد من المفسرين الى المعنى المعجز العجيب فى قوله : (وما طفى) فذلك نص على أنه كان يرى بجسم قد تحول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه منها شىء ، ان لا يكون طفيان البصر الا من تسلط الخيال عليه بأهـواـ الجسم التى لا يستقيم بها حكم على حقيقته ، فما زاغ البصر بكونه مقيد الحاسة ولا طفى بكونه مطلق الخيال ، بل كان كما يراه الله من آياته ، أى كان حقيقة كونية فى غير حالتها الأرضية الناقصة (١) .

ثم أوضح أقوال العلماء الذين قالوا بأن الاسراء والمعراج كانا رؤيا رآها النبي (صلى الله عليه وسلم) وفى ذلك يقول :

" والذين قالوا ان الاسراء والمعراج كانا رؤيا رآها النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟ احتجوا لذلك بقوله تعالى : " وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك الا فتنة للناس " وقد خلط المفسرون فى هذا أيضا ، وانما كان التعبير بلفظ " الرؤيا " وهى التى تكون مناما - لئلى تأثير الحواس على الرأى ، واثبات أن الطبيعة الآدمية بجملتها كانت فيه كالنائمة عن حياتها الأرضية بحقائقها وأخيلتها معا ، فليس

نائما كالنائم ، ولا مستيقظا كالسليقظ وفي أساس القصة جبريل والبراق ، وهما القوة الملائكية والقوة الطبيعية ، أو الروح الملائكي والروح الطبيعي ، ولم يوصف البراق بأنه دابة الا رمزا ، ان لا يأتي للعرب أن يفهموا ما يراد منه ، وعندنا أنه سمي البراق من البرق وما البرق الا الكهربي ، وهذا هو المراد منه ، فتلك قوة كهربية متى نبضت جمعت أول العالم بآخره ، وهذه هي الحكمة في أن آية الاسراء لم تذكر أنه كان محمولا على شيء ، ان لم يكن محمولا الا على روح الاثير (١) في كتابة الرافعي لقصة الاسراء والمعراج تتضح ثقافته الدينية المستنيرة على ضوء الروح المتعمقة فيها الاصاله الدينية وتظهر شخصيته الادبية العملاقة في موضوع اختلف فيه العلماء فوضح آرائهم واحتجاجاتهم وعلل وفسر بالبراهين والأدلة من آيات الكتاب الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .

وحى الهجرة

=====

تحدث الرافعي في هذا المقال عن نشأة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مكة وأنه أنزل عليه الوحي وهو أربعون سنة ، وكانت بداية الاسلام بثلاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وزوجته خديجة ، وابن عمه علي بن أبي طالب ثم بدأ النعم في الاسلام بمحمد النحر ابو بكر الصديق والعباد بنسبتلال ثم بدأ الاسلام ينتشر ببطنى ، وكان التاريخ واقف في مكانه .

وعندما هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت الخطوة الأولى في سبيل نشر الدعوة ، وقد أرخ عمر بن الخطاب بأول خروج في سبيل الله ومنها بدأ التاريخ الهجرى وبها بدأت الدنيا تتحرك وكانت خطوة ايجابية في الاسلام خطاها على الأرض ولكن معانيها أعمق ان خطت في التاريخ على مر السنين والاعوام وكانت سجلا خالدا في الاسلام ولم تكن المسافة بين مكة والمدينة فقط ولكنها كانت بعد لك الى المشرق والمغرب .

ثم يصور الرافعي موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعا العرب الى الاسلام فيقول :

((لقد كان في مكة يعرض الاسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين ، يرونه بريقا وشعاعا ثم لا قيمة له ، وما بهم حاجة اليه ! وهو حاجة بنى آدم الا المتوحشين ، وكانوا في المحادة والمخالفة الحمقاء والبلوغ بدعوت مبلغ الاوهسام والأساطير - كما يكون العريض بذات صدره مع الذى يدعوه في ليلة قارة الى مداومة جسمة بأشعة الكوكب - ، وكانت مكة هذه صحرا جغرافيا يتحطم ولا يلين ، وكان الشيطان نفسه وضع هذا الصخر في مجرى الزمن ليصد به التاريخ الاسلامى عن الدنيا وأهلها) (١)

ثم تحدث عن أذى قريش للرسول (صلى الله عليه وسلم) وكيف أنه كذب

وتعذب ، واهتعد الناس عنه الافقة قليلة من آمنت به ، فأصيب باليتم مرتين —
مرة صغيرا في فقد أبويه ومرة كبيرا من قومه .

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — عندما يسمع بقادم من أشكرا
العرب يذهب اليه ويدعوه للاسلام ، ورغم ذلك ، فان الدعوة أحيانا تظهر وأحيانا
تختفى .

ومكث النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو في قومه ثلاث عشرة سنة وقومه
يضمرون له الشر والحقد ولكنه مع ذلك هو سائر في طريقه يعمل ولا يجد ويمر
ثم لا يقبل منه ، ويخفق ثم لا يعتربه اليأس ، ويجهد ثم لا يتخونه المثل ويستمر
مأضيا ثم لا ينحرف ، ومعتزلا لا يتحول .
كل هذا الصدود من قومه لم يغير فيه شئ * ولم يتطرق اليأس الى نفسه
انها أسى معانى الأنسانية وضعها الله في نبيه وكانت الثلاثة عشر في هذا العمر
كانها عمر طفل ولد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث .

ان هذا ، يجب أن يتعلل بالمسلم وينشأ عليه ، الفنى في القلب والقوة
في الايمان ، ودوره في الحياة دور النافع قبل المنتفع والمصلح ، ونفسه
مليئة بالقوة والحياة .

ثم يتحدث عن العوامل الاخلاقية فيقول :

((ثم ليست تلك العوامل الأخلاقية هي التي القيت في منبج التاريخ
الاسلامى ليصب منها تياره ، فتدفعه في مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص
الخصائص الاسلاميه في هذه الدنيا — الثبات على الخطوة المتقدمة ، وان لم يتقدم
على الحق وان لم يتحقق ؟ والتبرؤ من الاثرة وأن شجت عليها النفس واحتقار
الضعف وان حكم وتسلط ، ومقاومة الباطل وان ساد وغلب وحمل الناس على محض
الخير وان رداوا بالشر ، والعمل للعمل وان ولم يأت بشئ * والواجب للواجب ان لم
يكن فيه كبير فائدة ، وبقا* الرجل رجلا وان حطه كل ما حوله . (٢))) .

ثم كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعنه أبي طالب عندما طلبت منه قريش أن يقول لابن أخيه بترك هذا الدين فقال صلى الله عليه وسلم : (يا عماء لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر (صلى الله عليه وسلم) فبكى (٤) .

ان دموع النبوة أثبتت أن هذا النبي عظيم وأنه لا شيء يجعله يترك هذه الدعوة مهما كان ثمنه عظيماً - نعم لا شيء من مغريات الدنيا الفانية .

وبدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتسرع من حدوده الضيقة وكان - شمس النبوة قبل أن ينبأ بها ممتلئة بها نفسه . ومعه أيضا برهان رسالة الله الى أن نزل قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (٤) بهجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة بدأ التاريخ الاسلامي المجيد الذي انطلق انطلاقاً السهم الى البلاد الاسلامية التي فتحت وانتشر الاسلام ، وانتصر الحق وزهق الباطل وارتفع لواء الاسلام خفاقاً في البلاد الاسلامية .

(٤) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٢ ص ٢١

(٢) سورة الانفال آية ٣٨

حقيقة المسلم

=====

بدأ الرافعي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف جاء السى
الدنيا بهذا الدين الجديد الذى وجد الدنيا فى عطش شديد اليه وكان هذا
العطش شديدا مفتقرا الى الحب والعدل والرحمة والمساواة فتحولت الانسانية
ونمت به صلى الله عليه وسلم ان كانت قد تعبت وضعت ما ألم بها وأظلمت
وتحولت الحياة الى كآبة وفضلال وأشدت المظالم وأصبح القوى يغلب الضعيف،
وزرع الشر فى النفوس حتى أصبح هو الاقوى ، وأصبح العقل بظلامه يعبد الحجارة
وتحدث ايضا عن بدأ هذا العالم بآدم حيث أن آدم فتح لها طريق الجحيم من
الجنة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فتح طريق العودة اليها - اذن كان فى
آدم عليه السلام سر وجود الأنسانيه ، وفى محمد سر كمالها .

ثم تحدث عن الاسلام وكيف أن المسلم يسلم نفسه الى واجبها وأن المسلم
ينكر ذاته فيسلمها الى الانسانيه .

ثم بدأ بشرح حقيقة الاسلام وقال :

" وما الاسلام فى جملة الا هذا المبدأ انكار الذات "اسلامها" طائفة
على المنشط والمكروه لغروضها وواجباتها ، كما نكصت الى منزعها المجهيوانى ،
أسلمها صاحبها الى وازعها الالهى ، وهو ابدا يروضها على هذه الحركة
ما دام حيا ، فينتزعها كل يوم من أوهام دنياها ليضعها ما بين يدي حقيقتها
الالهية يروضها على ذلك كل يوم وليلة خمس مرات مساة فى اللغة خمس صلوات
لا يكون الاسلام اسلاما بغيرها فلا غرو كانت الصلاة بهذا المعنى كما وصفها
النبي صلى الله عليه وسلم (عاد الدين (١) .

ثم وصف الصلاة وأثرها في تهذيب النفس مفتتحاً بصلاة الصبح التي تبدأ في أول اليوم وكيف تكون الجماعة المسلمة متراصة في صفوفها واحدة متحدة لاداء الفرض الالهي ، مبشدة عن الدنيا بكل مظاهرها وشهواتها تاركة كل شيء مادي فانسى يقود الى الشر ويحطم الروح التي هي أساس المسلم ، وأساس اعتقاده .

ولكن يتغلب روح المسلم على شهواته . يجعله بعيداً عن منزع الشر وبهذا يثبت المسلم وجود روحه وسعوها وظواهرها عن كل شيء من الأثام والمنكرات التي تضمنف هذه الروح وتضلها وتزق شمل الامة الاسلاميه وتلفسها الاخ اخاه ف فينكره ولا يعترفه لانه بلا روح بلا وازع يردعه ويرده الى صوابه ثم يكون انساناً بها في هذه الكلمة من معنى للانسانيه ثم يكون وجوده الاجتماعي ليس للأخذ فقط ولكن للعطاء ، لان قانون الاخذ هو جمع المادة ، وجمع المادة يعني حرص - الانسان على الدنيا وانتزاع الرحمة والحب للخير من نفسه ، أما قانون العطاء فهو الخير نعم الخير ذاته لانه يعني الهدل والعطاء بلا حدود لكل بائس ومحروم ومحتاج .

ثم أخذ يشرح الصلاة من بدايتها بالنية الى نهايتها بالتسليم

يقول :

((بلا انصراف الى الصلاة وجمع النيه عليها ، يستشعر المسلم أنه قد حطم الحدود الأرضية المحيطه بنفسه من الزمان والمكان ، وخرج منها الى روحانية لا يحد فيها الا بالله وحده . وبالقيام في الصلاة ، يحقق المسلم لذاته معنى افراغ الفكر السامى على الجسم كله ، ليمتج بجلال الكون ووقاره ، كأنه كائن منتصب مع الكائنات يسبح بحمده .

وبالتسولي شطر القبلة في سمتها الذي لا يتغير على اختلاف أوضاع الأرض يعرف المسلم حقيقه الرمز للمركز الثابت في روحانية الحياة ، فيحمل قلبه معنى الأطمئنان والاستقرار على جاذبية الدنيا وقلقها .

وبالركوع والسجود بين يدي الله ، يشعر المسلم نفسه معنى السمو

والرفعة على كل ما عدا الخالق من وجود الكون وبالجلسة في الصلاة وقراءة التحيات الطيبات ، يكون المسلم جالسا فوق الدنيا يحمد الله ويسلم على نبيه وملائكته ويشهد ويدعو وبالشكليم الذي يخرج به من الصلاة ، يقبل المسلم على الدنيا وأهلها أقبالا جديدا : من جهتي السلام والرحمة (٢) .

اذن الحكمة من الصلاة هي اللقاء مع الخالق خمس مرات في اليوم مقيدة النفس بسلاسل معبته عن الشهوات والمطامع مزقة ظلام النفس زائلة عنها كل ما يشوبها عندها تصبح النفس صافية واذا صفت النفس رأيت حقيقة الخلود فتشعر بنموها واتساعها فقد قال (صلى الله عليه وسلم) " جعلت قرة عيني في الصلاة " ثم تحدث عن الاسلام في حقيقته وأنه منظم الأنسانية وآدابه هي حارسة على القلب المؤمن ومن هنا أنتقل الى الاسلام الى عمل اصلاحيا مطورا للفريزة البشرية ناقلها الى مستوى الخلق الرفيع ثم ارتقى بالخلق الى الحق ثم ارتفع هذا السمو الى الخير العام .

وبدأ الاسلام ينتشر ويفزو الامم بالمغرب ويفتح البلدان بالاخلاق لهذا الدين .

ثم يصور الرافي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في رمال الجزيرة كأنه روح البحر ان أنه هو نقطة المد التي يتدفق منها البحر والمسلمون هم الامواج الذين غسلت بهم الدنيا . لهذا كان أثر المسلمين في نشر الاسلام متلقين أوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا كما يسمعون القول ولكن يتقبلون الحكم الناقد وكان أروع من ذلك اتصالهم بالنبى - صلى الله عليه وسلم - ليس كاتصال انسان بانسان بل اتصال الامواج بقوة المد ويكون هذا الاتصال في قوة واحدة وكأنها يد واحدة .

وتعلموا من سببهم الوجود فكانوا في غنى عن زخارف الدنيا وأباطيلها
وبذلك استطاعوا أن يسودوا العالم ويصبح علماء الاخلاق لكل زمان مهما تباعدت
الصحافة ومهما غطا الزمن الى الامام فهم الاصل لا من كتب وفلسفه ولكن من قلب
النبي وحده .

لقد عرفوا في محمد صلى الله عليه وسلم تمام الرجولة والاخلاق التي تقوده
الى الجنة دون انحراف أو ميل عن الطريق فلا شر ولا رذيلة بل هناك قلب فهمم
بالسرور نفس مليئة بالغنى والكمال روح قوية تتصرف بحكمة وتدفع كل شيء مادي
مهما كانت مغرياتة ثم يصور تأثير ضربات السيف على المسلم ودهننايشمر بالدم
الدماء تنزف منه وهو سائر في طريقه الى الجهاد وكأنه يرى الجنة ماثلة أمام
عينه .

يقول وفي ذلك يقول :

((ولقد كان المسلم يضرب بالسيف في سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف
على جسمة فتزقه ، فما يحسها الا كأنها قبل أصدقاؤه من الملائكة يلقونه ويمانقونه (٤))

والحقيقة التي عرفها بها النبي - طي الله عليه وسلم - وجعلها مثلهم
الأعلى وثبتها في أنفسهم بجميع أخلاقه وأعماله - يجب على المسلم أن يتمسك
بالفضائل لنفسه ، وكذلك هي واجبة لكل مسلم على غيره فالامة الاسلاميه أهداها
واحدة متعاونه كما قال تعالى :

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (٤) ولا يصدق تعاون
الامة المسلمه الا اذا تعاون الفرد مع المجتمع وجعل المنافع عامة للناس وليست
خاصة به في صدق تعامله الاجتماعي مع الناس .

(٤) وحى القلم - مصطفى صادق الرافعي ج ٢ ص ١٦

(٤) سورة المائدة الآية (٣)

ثم يتحدث عن الاسلام ولن يكون المسلم مسلما الا اذا كانت اخلاق نبيه
هى هداة فى طريقه الى جميع أعماله . ثم يتحدث عن أثر الدين فى نفسية المسلم
فيقول :

((لا يضطرب من شىء ، وكيف يضطرب ومعه الاستقرار ؟ لا يخاف من شىء ،
وكيف يخاف ومعه المطأينة ؟ لا يخشى مخلوقا ، وكيف يخشى ومعه الله ؟ أيها
الاسد ، هل أنت فى جملتك الاخي طبيعة مخالبك وانياك ؟ (١) .

ما اعظم الامه الاسلامية وأجنحة الاستقرار والطمأنينة تظللها ، فلان
ولا خوف وكل مؤمن متأكد أن الله معه وهذا سر عظمته فى قوته المستمدة من ايمانه
بخالقه الذى هداة لهذا الدين .

سـمـوـالـفـقـر

فـي المـصـلـح الاجـتـمـاعـي الـاعـظـم

الرافعي الأديب المسلم قد أحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حبا جما وكتب عن فقره - صلى الله عليه وسلم - وفلسف معاني الفقر في المصلح الاجتماعي الأكبر وعرف أن الفقر الحقيقي هو فقر الضائمر من الخير وأن الاستغناء الحقيقي في الروح بما تملكه من قوة للعطاء الخبير المتدفق النبيل ، ها هو محمد - صلى الله عليه وسلم - يفتقر من الطعام واللباس ومتاع الحياة ولكنه غني بروحه وأخلاقه طامع في ربه زاهدا عن الدنيا يقول في ذلك :

" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - على ما يصف التاريخ من الفقر والقلّة ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء " (١)

ما أعظم فقر محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يلقي على الدنيا دروسا في الاخلاق التي تبحث عن حقيقة النفس المسلمة المؤمنة ان الاصلاح لا يقتصر على الكتب والفكر ، ولكن على الاخلاق والعمل والسيره التي تحيا في انسان العظيم ، الذي تحيا فيه الفكر العظيم ، وكأنها تبحث عنه حتى اذا وجدت استقرت فيه ، لأنه مستقرها الذي سينفذها الى العالم لتكون تاريخا عظيما وما محمد (صلى الله عليه وسلم) الا كذلك انه المعاني الالهيه يقول الرافعي :

" وما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) الا عمرا ذهنيا محضا ، تعرفه المغانى الالهية لتظهر للناس الهية مفسرة وكل حياته (صلى الله عليه وسلم) دروس مفسرة مختلفة المعاني ، ولكنها في جملتها تخاطب الانسان على الدهر بهذه الجملة أيها الحي ، اذا كانت الحياة هنا فلا تكن هناك ؛ أي اذا كانت الحياة في الحقيقة فلا تكن أنت في الكذب واذا كانت في الرجولة البصيرة فلا تكن أنت

في الطفولة النزقة ، وإيثاره كل عاجل وان قل ، وعمله أن تكون حياته النفسية الضئيلة في مثل توثب أعماء جسمه ، حتى كأنه أبدا يلعب بظاهره وباطنه معا (١) ان الفقر ساميا وعظيم في نفس محمد - صلى الله عليه وسلم لم لا يكون كذلك ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ينظر الى الماديات على أنها تنتهي في لحظة نظرتهم اليها. أنها لا قيمة لها ، جعلت صغيرة في عينيه ، لان نظرتهم للعالم الآخر لما ينتظره من نصيم خالد أبدى ، جعلته ساميا في روحه كبيرا في تفكيره فوق - الشهوات والنظام والمتاع الزائل * قالت عائشة = رض الله عنها - : لم يمتلئ جوف النبي (صلى الله عليه وسلم) شيئا قط ، وانه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يشتها ، ان اطعموه قبل ، وما سقوه شرب * (٢) . محمد (صلى الله عليه وسلم) صورة صادقة حية يضرب بها المثل الاعلى في الزهد ليمرى الناس الذين يتسابقون لجمع المال أن الفنى الحقيقى فى النفس العظيمة ، وما تحمله من المعانى الساميه فى الفنى والاستغناء عن كل متاع زائل والعمل لما وراء الدنيا لأنه الاصلح والابقى . .

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعى ص ٤٨ - ٤٩

(٢) نفس المرجع ص ٢ ص ٥٢

الأنسانية العليا

بدأ الرافعي مقاله هذا عن صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي صفات الأنسانية التي أجمعت فيه ، والتي هيأه الله واعدته ليكون نبي الأمة الذي يكون قدوة في سمو الأنسانية العليا وعظمتها ، ومثالا يحتذى به ، وقوة أخلاقه تنتشر سيرتها على الدنيا لتكون هي الأنسانية العليا .

وقد أوضح صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنها صفات الكمال الأنساني بحيث لا يجد النقص البشري اليها طويقا ، لان فيها المعنى التام - للأنسانية والحق ، وكذلك المعنى التام للإيمان ، وهي بذلك برهان على نبوته ورسالته وقد أجمعت هذه الصفات ، لان الله سبحانه وتعالى خص نبيه بها ، وأعد له لرسالته ، وهذا معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - "أدبني ربي فأحسن تأديبي" .

يقول : في مجموع صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم : "وهل ينبئك مجموع صفات (صلى الله عليه وسلم) الا أنه يعمش مبهمة القلب اذا اختلف ما حوله وفجأت بفتات الوجود فتجاوز أن يكون منبعاً للحياة الا أن يكون حافظاً للحياة في منبها ؟ وتلك الحالة - كما مر بك - تجعل وجود الانسان هو وجود ارادته وعقله ، لا وجود شهواته وغرائزه ، وكذلك عاشر نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، فهو مدة حياته في وجود ارادته لاغيرها ، حتى ليس عليه سبيل لتمييزة أو لائمة ، كأنه خلق تشده نيسه مستيقظة قد نبهها ما ينبه النفس من الغرر والخطر ، ولعل هذا الشعور في نفسه (صلى الله عليه وسلم) هو التفسير لقوله : "نية المؤمن خير من عمله (١)"

ويوضح ابن نية المسلم تنطوي على الخير ، وأن العمل أحيانا يخالف النية لذلك ، فان النيات الحسنة تخالف الأعمال الشريرة التي يقوم بها الانسان .

ويستطرد في بيان أثر النية على الإنسان ، وكيف أنها تحرس العمل ، ويكون الإنسان في صراع بين قوتين قوة النية الخيرة ، وقوة العمل الشرير ، وكل إنسان ينتقل بحسب قوة إرادته ، فإن غلبت النية كانت أعماله خيره وإن لم تغلب كانت أعماله شريره .

لقد ركز الرافعي حديثه على النية وجعلها أم الصفات البشرية التي عليها المعمول فإصلاح أعمال الإنسان وفسادها وهي القائد لهذا الإنسان وسببها كان الإنسان يقوم بأعمال شريره قيمة دائما حسنة ولكنه يخالفها ولذا ينتج منه الشر وتقدر على ذلك حسناته وسيئاته وفي ذلك يقول :

((فأول النفس النية العاملة لاخرتها ، وآخر النفس ما تؤدي اليه أعمال هذه النية ، فليس في إنسان الدنيا إلا إنسان العالم الآخر ، وبهذا يقدر صمصمه وكلامه ، وحركته وسكونه ، وما يأتي وما يدع ، وما يجب وما يكره ، إذ كل شئ منه على ذلك الاعتبار إنما هو صورة الحقيقة العاملة فيه ((١))

ثم يتحدث عن صفات الحزن في الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقول : إنه متواصل الحزان ولكن ما هذه الحزان إلا هي أحزان النبوة التي تكسو الحياة بفرح النفس الكبيرة وهو فرح كله حزن وتأمل ، ما أعظم الفرح وهو في هذه الصورة يقترن بالحزن والتأمل ، في نفس محمد العظيمة ، وما هذا الحزن إلا التأمل ، وما التأمل إلا سبيلا للفكره ، وما الفكرة إلا الخشوع والظهور والفضيلة وكان هذا الفكر والتأمل لتنقيح الإنسان الجديد وفي ذلك يقول " وكان دائم الفكره ليست له راحة . إذ هو مكلف أن يصنع الإنسان الجديد ، وينقح الآدميه فيه . وفكرة النبي هي معيشته بنفسه مع الحقائق العليا ، إذ لا يرى لذكرها تميش في الناس ، وهي الفردية واستقلالها وسموها ، لأنها طاقة النفس الكبيرة لوحدتها ، بخلاف النفس الضعيفة التي لا تطيقها فدأبها أبدا أن تبحث عما تستعبد له ، أو تنسى ذاتها فيه ، أو تستريح اليه من ذاتها . ومتى كانت

النفس فارغة كان تفكيرها مضاعفة لفراغها ، فهي تفر منه الى ما يليها عنه ، ولكن العظيم يمشي في امتلاء نفسه ، وعالمه الداخلي تسميه اللغة أحيانا : الفكرة ، وتسميه أحيانا : الصمت)) (١)

ثم وصف صمت الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال :

((طويل السكت لا يتكلم في غير حاجه)) ثم أخذ يتفلسف في أسلوب جميل رائع لخص معنى الصمت وقال انه أحيانا يكون طريق من طرائق الفهم ، وأحيانا يكون علاقة على رهبة السر الذي في نفسه العظيمة وأحيانا يكون طريقة من طرق الحكم على صمت الناس وكلامهم ، وأحيانا يكون فصل بين أعمال الجسد وبين الروح في ساعة أعمالها ونوع آخر يكون صمتا على دوى تحية يشبه نوما ساكنا على أحلام جميلة تتحرك (٢) .

فما أروع الصمت في نفس محمد وما أروع في تعبير الرافعي صمت جميل يدل على حكمه بالغة تقتضى الالتزام به ان كان يمثل هذه الروعة البالغة في النفوس ليقودها الى الكمال الانساني اقتداءً بعظمة محمد (صلى الله عليه وسلم) . وعلى ذلك يجب أن تفسر كل أوصافه صلى الله عليه وسلم على أنها هي - بمجموعها طابع الهى على حياته الشريف ، يثبت للدنيا بكل برهانات العلم والفلسفة أنه الانسان الافضل ، وأنه الاقدر ، وأنه الاقوى هذه هي صفات الكمال الانساني لمحمد - صلى الله عليه وسلم - محمد الأسمى الذي استطاع بما أعطاه الله من صفات أن يكون قائد الأمة الاسلامية ، ويكون انسانها الافضل والاقدر والاقوى .

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٢ ص ٤٥

(٢) " " " " " " ج ٢ ص ٤٥

الله أكبر

الله أكبر نشيد انطلق منذ عهد النبوة بكلمات تنساب حرارة وخشوع لكل قلب طمهم بذكر الله فلا يسمعه مؤمن الا ويخشع قلبه ويستجيب لهذا النداء تاركا كل ما يشغله عن دينه ملجأ لهذا النداء خمس مرات في اليوم .

((الله أكبر)) ما أعظم هذا النداء وما أجمل المعاني التي جاء بها مصطفى صادق الرافعي بدأ موضوعه بحوار قصصى لفتاة كادت أن تتردى فى الهاوية وتقع فيها بسبب غواية فتى لها فعند ما أوشكت الفتاة أن تقع فى المحذور وإذا بها تسمع (الله أكبر) صوت رهيب دخل قلبها ونفسها وإذا بها تستجيب لنداء الله وتحلق فى السماء تاركة الأرض واسفافها وغوايتها ومنقذة نفسها مما كادت أن تقع فيه كل هذا لأنها استشعرت معنى النداء فى نفسها فكان لها استجابة مع السماء وترفعا عن سفاسف الامور وعطوا الى مدارج الكمال والرقى .

(وللمسجد معان سامية فى نفس الرافعي ان فعل بقدسيتهما فترجم هذا الايمان مصورا بريشة الفن مجلوا بظلال الأدب والبيان مخاطرا النفس المؤمنه بصددق الشعور والتجربة التي عاشها بين قدسية المسجد) (١)

وبصور كيف أنه عرف المسجد عندما أنكشف له فى نوره الروحي ، فالمسجد ليس كغيره من الأبنية ، لأنه هو المكان الذي يستقر فيه العالم المضطرب ، من مشاكل الحياة المختلفة ، التي تجلب العداوة والكيد للناس فى هذه الحياة ، ولكن مهمة المسجد عظيمة ان يحى العداوة من القلوب ، لانه يجمع الناس على سلامة الصدر وبرائة القلب ، وروحانية النفس . نعم ان المسجد كذلك ، لانه لا يدخله الا طاهر بعد ان يغتسل الإنسان من آثار الدنيا قبل دخوله .

وتظهر فيه أيضا معنى المساواة بوقوف المصلين صفا واحدا لافرق بين غنى وفقير ولا بين صغير وكبير وكذلك باتحادهم فى السجود يحى كل سلطان

(١) الجانب الاسلامي فى أدب مصطفى صادق الرافعي . عبدالستار السطوحى

لا سلطان الا لله سبحانه وتعالى ، هذا ما يحقق الانسانية ووحدتها في
الناس ولن يجد العالم صوابه الا في المسجد ويسترسل الرافي في أسلوب
عذب أخاذ بيمان جديدة للنداء فيقول :-

((بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الاسلام بهذا الرنين : الله اكبر الله اكبر
كما تدق الساعة في موضع ليتكلم الوقت بزئيرها (١)))

هذه الساعات التي تدق ايذانا بنداء الاسلام لتوقظ النفوس الى أن هناك
مصير ينتظرها وحساب عليها ، ودين يجب سداؤه لتعرف صحة النيات بأعمالها
الصالحة وتنقلها الى أجواء قدسية من حب الخير والفضيلة والاستزادة من الاعمال
الصالحة رغبة في الثواب واعداداً لدار أخرى هي دار العقاب وانتصاراً على الشر
الذي يحم البشرية بظلماته الكثيفة فلا يرى المرأ طريقه ولا الى أين يسير اذا استمر
الشر مسيطراً عليه ، ولكن الله لم يخلق الخلق ويضيعهم ، فهناك سبب لتبديد
هذه الظلمات بنور قوي يمجو هذا الشر ان استجاب المسلم لنداء الروح (الله
اكبر) خمس مرات في اليوم ، وبها يبعد عنه الشر والرزيلة ، ويسمو الى الكمال
والانسانية مع ساعات وساعات يقضيها المرء في رحاب الله بين يدي ربه .

ثم يصور الرافي معنى النداء في النفوس ان هي استشعرته وكيف
أنها تقاد الى الخير بسهولة ، وكيف يحققون معنى الاجتماع في البيت الواحد
نعم الاجتماع الذي يريده الله لعباده لتقوى شوكتهم ، وليحققوا معنى الاسلام
باتخاذهم وقوتهم ، وتسمو نفوسهم ، وترتفع عن المادة الدنيئة وفي ذلك يقول :
« النفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرب ولا دين لمن لا يشتمس
نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام . لا تحرفوا ، هذا هو النهج ، لا تتراجعوا
هذا هو النداء . لن يكبر عليكم شيء مادامت كلمتكم : الله اكبر (٢)

(١) - وهي القلم - مصطفى الرافي ج ١ ص ٣١٩

(٢) - نفس المرجع : ص ٣١٩ - ٣٢٠

لقد اختتم الرافعي مقاله بأنه على المسلمين أن لا يظربوا ولا ينحرفوا
لان هذا هو نظام البشرية والنهج الذي أرتضاه الله لعباده .
بهذا النداء الذي يجمعهم ويجعلهم صفا واحدا وقوة واحدة ويحققون
في الانسانية معنى أهل البيت الواحد ، ولا يستطيع نائل أن ينال من أمة
الاسلام ما دامت كلمتهم " الله اكبر الله أكبر" . .

قرآن الفجر

وصف الرافعى جو المسجد فى وقت السحر وشعور هذا المصلى فى هدأة الليل وسكونه وصعته الرهيب ، يذهب المصلون الى المسجد لانتظار صلاة الفجر فى ذلك يقول :-

" فكان الجالس فى المسجد وقت السحر يشعر الحياة كأنها مخبوءة ، ويحس فى المكان بقايا أحلام ، ويسرى حول ذل المجهول الذى سيخرج منه الفؤاد ، وفى هذا الظلام النورانى تتكشف له أعماقه منسكبا فيها روح المسجد ، فتعتمريه حالة مستكين فيها للقدر هادئا وادعا راجعا الى نفسه ، مجتمعا فى حواسه ، منفردا بصفاته ، منعكسا عليه نور قلبه ، كأنه خرج من سلطان ما يقضى عليه النهار ، او كأن تلك الظلمة قد طمست فيه ألوان الأرض (١) ((

بكلمات ساطعة فى اظهار المعانى الروحيه العميقة التى تبعث فى النفس الوضوح والجلال ، وقد فلسف الرافعى سكون الفجر ، وقلوب المؤمنين كأن الملائكة قد بلتها من ييسها ورققتها من غلظتها ، والمسلمون جالسون تاركين نومهم فى لحظات ظاهرة من عمر الزمان بروحانية مسلم ترك مضجعه ، ودعى ربه خوفا وطمعا فسارع الى بيت ربه والكون يعمه ظلام عميق ، ولا يقضى ذلك الظلام سوى الايمان العميق الذى يسير به كل مسلم الى المسجد فى جو من الصفاء والطأنينة والسكينة فى هذا الجو الدينى الروحى ينساب صوت القارىء الرخيم فى مثل رنين الجرس الذى يختلف عن الاجراس فى نعومة انسيابه وفى دخوله الى النفس دونما استئذان وكأنه يخترق الحجب ويدخل فى النفوس بآيات مرتلة من الذكر الحكيم بقوله تعالى :

((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين . وان عاقبتهم فمآقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خيرا للمصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم ————— محسنون)) (١) .

كان لهذا القارىء صوت مطرب ، يشعر المؤمن برودة الايمان فى اعماقه مع نسيمات الرضوان تهب وهو يقرأ كليل يترتم بأسلوب فى هلال القمر وكأن جوابه خشوع ودمع واشماع ونور ونميا ، فى نفس المؤمن ما أجمل صدى هذا البليل المترنم فى نفس المؤمن وما هذه القراءة فى هذا الوقت الا تذكره وموعظة وهدى وانقاذاً — لقلوب جفت من لذائذ الحياه واخراجا لها من الظلمات الى النور ، وفى اتصال العبد الضعيف بالخالق العظيم طالبا الرحمة والغفران والهداية لأحسن الطريق قال تعالى : ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)) (٢) .

آيات القرآن كان لها صدى فى نفس الرافعى عندما كان طفلا وما زالت راسخة فى نفس رجل اليوم الذى أصبح مدافعا وحاميا للدين ، الذى مازال صدى الصوت فى نفسه فى كل حين ، وهو يسمع النداء فى أعماقه " أدع الى سبيل ربك " وصارت الآيات مخرجا له من كل ضيق وحكمة يتمثل بها فى الحياة : واصبر وما صبرك الا بالله !

(١) سورة النحل ١٢٤ - ١٢٨

(٢) سورة الاسراء آية ٨

شهر للثورة

فلسفة الصيام

—————

بدأ الرافعي مقاله عن شهر رمضان من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والروحية والاخلاقية هذا من حيث فلسفة الصوم وحكمته ، اما من حيث منفعتهم للجسم وأنه نوع من الطب الجسماني فهو يرى أن الاطباء قد أوفوا هذه الناحية ، ولكنه بدأ يتحدث بأسلوب الأديب الذي يتغلغل في النفوس والمعقول ويمرر علاجها وتوجيهها قال : عن شهر الصوم كأنه ثلاثون حبة في كل سنة لتقوية المعدة وتصفية الدم وحياطة أنسجة الجسم ، وبدأ يتحدث عن الصوم كحقيقة اسلامية كبرى لسياسة صغرى على الأرض حامية للنفس من التبدل على تغير الحوادث وتبدلها وحتى لا تجهل الدنيا معاني الترقيع اذا أتت على هذه الدنيا معانى التمزيق .

وبدأ الرافعي يحرر لمعجزات القرآن الكريم وكيف يدخر في اللفاظ في كل زمن وهو هنا يظهر معجزة القرآن الكريم في كل زمان ويظهر الحقيقة العلمية عندما يختار أهل الزمان ويقعون في حيرة ومتاهات فيظهر القرآن متحديا لكل الأديان موضحا نظام الحياه بأسرار العلم وبوجهها التوجيه الصحيح ويثبت الأشياء المجهولة التي تتوهمها المذاهب الاجتماعية ولم يهتد اليها مذهب منها ولا قاربها ، فهم في حيرة دائمة ومذاهبهم كعقارب الساعة في دورتها ، تبدأ وتنتهي وكأنها لم تبدأ .

وايضا كرر الرافعي جملة الفقر الاجباري الذي يراد به اشعار النفس بمعنى الحياه الصحيحه وما الحياه الصحيحه الا هي ما وراء الحياه فما أعظم ما وراء الحياه وما أعظم شعور المسلم عندما يعمل لما وراء الحياه فهو عندها يترك القشور ويتمسك بالجوهر ويفكر بصق في العالم الآخر الذي ما خلق الناس الا للعمل لسه وما رحلتهم في هذا العالم الصغير الا أيام ستكون في تمام نظامها اذا تساوى الناس في مشاعرهم لا حين يختلفون وحين يشعرون باحساس واحد للألم لا عندما

يشازعون ولكن لا تنازع الا باسباب الالهواء المتعدده والفقر الشعبي باحساس
الأم الاخرين ومتاعهم .

ويرى الرافعى بأن الناس لا يختلفون بالقول ولا بالانساب ولا بالمراتب
ولا بالمال ولكن الاختلاف بشهوات البطون وهى التى تؤثر على التفكير والتصرف
ومن ثم كان الصوم نهديا ومدريا يجعل الناس يشعرون بشعور موحد فيكون المنع
حكما مقضيا على جميع الناس دون استثناء (١) .

ويخلص رأى الرافعى فى الصوم على أنه تطبيق اشتراكى بأسلوب على
لا بأساليب فارغه من المعانى وكيف أن الاشتراكيين قد عجزوا فى محاولة تغيير
الانسان بزيادة أو نقص فى أعصابه ولان هناك حكمة الهية فى الصوم ونظاما اجباريا
من أروع الأنظمة وأهمنه يرى فى الصوم فلسفة عدل اجتماعى رائعة بعيدة
عن المادة وما يستتبعها من انحراف فى الفكر وهذا الصوم ما هو الا فقر
اجبارى تفرضه الشريعة على الناس تتساوى فيه بواطن الناس انه فقر مؤقت يختاره
الغنى من المؤمنين عن طوع ورضى ، لتعم به أسباب الرحمة والمودة والترابط
والتراحم انه اشتراكية لكنها بدون اضطراب وتراحم ولكن برباط المساواة الوثيق
بين أفراد المجتمع ، ورباط المساواة فى السيطرة على شهوات الجسم وفى
المساواة بين من يملك الدنانير وبين الفقير الذى يملك القرش ، وفى ازالة كبرياء
النفوس وانقيادها لأوامر خالقها عن رضى واستسلام كما يتساوى الناس فى
زهاب الكبرياء للصلاة التى فرضها الاسلام وفى الحج لمن استطاع اليه سبيلا
ويسترسل الرافعى فى حكمة الصوم الزائفة الذى تنبثق منه الرحمة ومصدر
هذه الرحمة الأتم . . . ألم الحرمان وهذا هو السر الاجتماعى العظيم فى الصوم
وهناك أيضا باعث للرحمة فى النفس الانسانى غير الصوم هى النكبات والكوارث .
وفيهما يقول :

(١) مصطفى صادق الرافعى كاتبها عربيا ومفكرا اسلاميا . مصطفى الشكعة

(فهما طريقتان مبصرة وعمياء ، وخاصة وعامة وعلى نظام وعلى فجأة) ما أعظم هذه الرحمة التي يصورها الرافعي في ضمير الفنى وهو يسمع الفقير يقول له (أعطنى) وتكون أعطنى هنا بمعنى الأمر لا بمعنى الرجاء . فالأمر إذا كان من الضعيف لا مفر من تلبية نداءه لأنه هنا يأتي بمعنى المواساة من المبتلى لمن كان يحالته في البلاء . ثم يذكر عن هلال رمضان ووجوب الصوم معنى دقيق آخر هو اثبات الإرادة وإعلانها وإعلان الثورة شهرا كاملا في السنة المتتالية النفس ما يشوبها من رذائل وفساد ويختتم مقاله هذا في فلسفة الصوم بقوله :

انما استخرجته من هذه الآية الكريمة :

((كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقد فهمها العلماء جميعا على أنها معنى التقوى ، أما أنا فأولتها من " الاتقاء " فبالصوم يتقى المرء على نفسه أن يكون كالحيوان الذى شريعته معدته ، والا يعامل الدنيا الا بمواد هذه الشريعة ، ويتقى المجتمع على انسانيته وطبيعته مثل ذلك ، فلا يكون انسان مع انسان كعمار مع انسان : يبيعه القوة كلها بقليل من العلف . وبالصوم يتقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفه ، فان ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه ، وما خلفه هو الجيل الذى سيرث من هذه الطباع والاخلاق فيحمل بنفسه فى الحاضر ويحمل الحاضر فى الآتى ، وكل ما شرحناه فهو اتقاء ضرر لجلب منفعة ، واتقاء رذيلة لجلب فضيلة ، وبهذا التأويل تتوجه الآية الكريمة جهة فلسفية عالية لا يأتي البيان ولا العلم ولا الفلسفة بأوجز ولا أكمل من لفظها ويتوجه الصيام على أنه شريعة انسانية عامة ، يتقى بها الاجتماع شرور نفسه ، ولن يتهدب العالم الا اذا كان له من القوانين النافذة هذا القانون العام الذى اسماه الصوم ومعناه " قانون البطن " . . . الا ما أعظمك يا شهر رمضان ! لو عرفك العالم حق معرفتك لسماك : (مدرسة الثلاثين يوما (٢))

أراد الراجزي في مقاله هذا أن يبين " ثورة النفس على الشهوات"
والإرادة القوية عن طواعية واختيار يختارها كل مسلم لرضا ربه وأنها حقاً
كما وصفها الراجزي " مدرسة الثلاثين يوماً" مدرسة التهذيب للنفس وكبح جماحها
عن كل ما تريد آمله في ثواب الله وغفرانه ..

تجديد الاسلام

رسالة الأزهر في القرن العشرين

بدأ الرافعي هذا الموضوع ببيان مركز الأزهر الديني ويعتبره المؤسسه العلميه التاريخيه الكبرى التي تقوم عليها مهمة جسيمه في أن تكون منار اشعاع وموضع هدايه لابناء الأمة الضالين عن الطريق خاصة وأن الاسلام أصبح في خطر تهدده التيارات الغربيه والمدنيه الزائغه التي غزت أفكار أبناء الأمة الاسلاميه بسلاح خفي فتاك فلا بد من القيام باصلاح ما افسده أعداء الاسلام.

فالرافعي يرى أن علماء الأزهر يجب أن يكونوا قوة مدرة للاعداء نافذه لانقاذ أمة الاسلام ويجب أن تكون القوه الروحيه فيهم هي الآسره الناهيه هي السلاح الذي يدخل في النفوس بقوه الاقتناع والحجة والبراهين لاصلاح ما فسده وتقويم ما أعوج ولا يكون هذا الاصلاح الا باصلاح ضمير العالم وفي ذلك يقول :

(فما يحتاج الناس في هذا الزمن الى العالم - وان الكتب والمعلوم

لتملأ الدنيا - وانما يحتاجون الى ضمير العالم)) (١)

انه يركز على ضمير العالم الذي يستطيع أن يقود الأمم الى الاصلاح

عن طواعيه واقتناع فاننا نصلح ضمير العالم اصلح عمله كصلح اجتماعي مكمل لرسالة النبوه ، في ابطال البدع والخرافات واصلاح نفوس أفسدتها المدنيه التي استطاعت أن تتطور كل شيء ، ولكن الضمير الانساني عجزت عن ايجاده ولكنها سعت الى افساده ومالاسلام الا ذلك الضمير الحي الذي ينبعث في الأفراد وفي ذلك ، يقول :

((وقد عجزت المدنيه أن توجد هذا الضمير ، مع أن الاسلام في حقيقته ليس

شيئا الا قانون هذا الضمير ان هو دين قائم على أن الله لا ينظر من الانسان الى صورته ولكن الى عمله ، فأول ما ينبغي أن يحمله الأزهر من رسالته ، ضمائر

أهله ((٢))

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٣ ص ٣٨-٣٩

(٢) نفس المرجع ج ٣ ص ٣٩

ثم يتناول قضية اصلاح الازهر فى هذا القرن لتثبت معنى الاسلام فى النفوس بعد أن ضعف الدين فى نفوس المسلمين وليس لهم من الاسلام فى نفوس المسلمين الا اسمه فقط ، أكثرما هو عمل به فالاسلام ليس اسما كما يتوهمه البعض ، الاسلام معنى وحقيقه وجوهرا وعملا يعنى الانسانية والضمير المتيقظ والنسور المنبعث من الاعماق والامن والاستقرار والحياه بمعناها كما أرادها الله لها ويضع المسؤولية فى تدهور المسلمين ووصولهم الى الحالة التى هم عليها من الضعف والتخاذل وعدم توحيد صفوفهم الى الحكومات الاسلاميه فيقول :-

((والحكومات الاسلاميه عاجزه فى هذا ، بل هى من أسباب الشر ، لان لها وجودا سياسيا ووجودا مدنيا ، أما الأزهر فهو وحده الذى يصلح لاتمام نقص الحكومه فى هذا الباب وهو وحده الذى يسعه ما تعجز عنه ، وأسباب نجاحه مهيأه ثابتة اذا كان له بقوة التاريخ حكم الزعامه الاسلاميه وكانت فيه عند المسلمين بقيه الوحي على الارض (٤) .

ولن يكون الوحي على الارض الا بالدعوه والموعظه الحسنه للاسلام واعادة مجده وبناءه كما كان فى عهد الدعوه الاولى لتحقق الزعامه الاسلاميه ويكسبون قوة واحده تقف فى وجه الاسلام .

ثم يذكر كيفيه الدعوه الى الاسلام بالموعظه الحسنه وكيف أن العلماء ورثة الأنبياء بما يتحملون من مشاق وصبر على الاندى فى سبيل الدعوه ثم يفسر الآيه بقوله :-

واذا نحن استخرجنا التفسير العلمى لهذه الآيه الكريمة :

((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه) دللتنا الآيه بنفسها على كل تلك الوسائل ، فما الحكمة هنا الا السياسة الاجتماعيه فى العمل ، وليست الموعظة الحسنه الا الطريقه النفسيه فى الدعوه (٤)))

(٣) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٣ ص ٤٠

(٤) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٣ ص ٤١

العلماء وريثة الانبياء ، وليس النبي من الانبياء الا تاريخ شدايد ومحن ومجاهدة في هداية الناس، ومراغمة للوجود الفاسد ومكابدة التصحيح للحالة - النفسية للأمة ، فهذا كله هو الذي يورث عن الانبياء لا العلم وتعلية فقط .

وينتقل بنا الرافعي من دور رسالة الأزهر في الأمة الاسلاميه الى العالم وكأنه يريد أن يبعث في الأمة الاسلاميه روح الجهاد الاولي التي نشرت الاسلام الى جميع أنحاء العالم ولكن الجهاد في هذه المرة يختلف عن الجهاد السابق الجهاد في نشر الاسلام بلغات مختلفه في السنة ازهرية مصقولة بالعلم والثقافة ثقافة الدعوة الى هذا الدين التي تحمل في طياتها الالهام والشعر وسحر البيان في الاقناع فعلى الداعي أن يكون على مقدار كبير من حسن التصرف، والحلم والصبر ومواجهة الشدايد والمحن وأن يعلم الامم الاسلام في أبسط تعاليمه وأفضلها وأكملها وهكذا يكون التدرج من اليسير الى الايسر الى أن يتمكن الاسلام من نفوس الناس ويتقبلونه ويعتقدون به .

ولان الناس اليوم ليس كما كانوا في عهد النبوة العصر تطور وتقدم وانتشر العلم فوسيلة الدعوة ليس السلاح والقوة ولكن العلم وليس العلم الجامد ولكن العلم العيسر وهذا أمر ليس مستحيلا فقد نشر الاسلام من قبل بقوة البشر وتصميمهم وفي ذلك يقول :

((ان الوسيلة التي نشرت الاسلام من قبل لم تكن اجنحة الملائكة ، ولا كانت قوة من جهنم ، ولا تزال هي التي تنشره ، فليس مستحيلا ولا متعذرا أن يفوزوا هذا الدين أوروبا وأمريكا واليابان كما غزا العالم القديم ، ولم يكن السلاح من قبل الا طريقة لايجاد اسلام في الامم الغريبة عنه ، حتى اذا وجد تولى هو الدعوة لنفسه بقوة الناموس الطبيعي القائم على أن الاصلح هو الباقي (١)))

إن الراقصي يطلب من الأزهر نشر الإسلام في أنحاء العالم ونشر الإسلام

معناه الثبات في تلك الأم يقول :

((ليس على الأزهر إلا أن يوجد من الإسلام في تلك الأم ما يستمر ثم الاستقرار هو

يوجد ما يثبت ، والثبات يوجد ما يدوم ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم)

قد أشار إلى هذا في قوله :

نظر الله امرأ سمع مني شيئاً فبلغه كما سمعه قرب مبلغ أوعى له من

سامع (())

إن الراقصي يطمح الواعي المستنير يرى المسلمون أهمية مركز الأزهر والارتفاع

به لصلحة الإسلام والمسلمين ليكونوا صفاً واحداً تنطلق منهم الدعوة التي

التوحيد والتضامن والاستقرار للمسلمين أنفسهم ثم الاتجاه إلى أنحاء العالم

وبها يكون الإسلام عزيزاً قوياً ، وتحقق النعمة الحقيقية للناس كافة .

((فى محنة فلسطين))

• أيها المسلمون •

تحدث الرافعى عن محنة فلسطين ذلك الشعب العربى الذى ذهب ضحية الاحتلال والمكر والخديعة من اليهود وصور لنا هذه المحنة التى لا تقتصر على الشعب الفلسطينى فقط ولكن على الأمة الاسلاميه لذلك يقاله بأىها المسلمون^{يدا} ان نكبة فلسطين هى نكبة الاسلام الذى أصبح فى خطر باحتلال الصهاينه لهذه الأرض العربيه وفى ذلك يقول :-

((نهضت فلسطين تحمل المقده التى عقدت لها بين السيف والمكر والذهب .
عقدة سياسية خبيثة ، فيها لذلك الشعب الحر قتل وتخریب ، وفقر ، عقدة
الحكم الذى يحكم بثلاثة أساليب : الوعد الكذب والفناء البطى ، ومطامع اليهود
المتوحشة .

أيها المسلمون ! ليست هذه محنة فلسطين ، ولكنها محنة الاسلام
يريدون الا يثبت شخصيته المميزه الحرة كل قرش يدفع لفلسطين ، يذهب السى
هناك ليجاهد هو أيضا ((١))

ثم يهيب الرافعى بالمسلمين فى أسلوب رائع مؤثر يجعل كل مسلم
يندفع الى الجهاد والتبرع بكل ما يستطيعه ويقول أن هذه النكبة ما هى الامتحان
لضائر المسلمين جميعا ويوضح حاله الشعب الفلسطينى وأن هذا الذل لا تقره
النفوس المسلمة ثم يصف أخلاق اليهود الرذيلة التى يتصفون بها - والحقد
الذين فى أنفسهم وسبب ذلك الذل الذى كانوا يعيشون فيه فى الماضى والتشريد
الذى يعيشون فيه فى الحاضر .

وكيف ان اليهود حملون الافكار الخبيثة في اد مغتيم في تشتيت شمل العرب وجمل العرب اقلية وبعد ذلك يكونوا خداما لليهود ويقول في ذلك :

((في انفسهم الخقد ، وفي خيالهم الجنون ، وفي عقولهم المكر وفي ايديهم الذهب الذي أصبح لثيما لأنه في ايديهم .

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين ، يذهب الى هناك ليتكلم كلمة ترد العقل الى هؤلاء .

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين ، يذهب هناك ليثبت الحقيقة التي يريدون طردها (١) .

تظهر فلسفة الرافعي في صفته لليهود وتظهر أيضا في وصف الذهب

الشمين باللوم وذلك لأنه في أيدي لثيمة اذن حتى الأشياء الثمينة لا تكون

ثمينه اذا امتلكتها أيدي لثيمة لان هذا الذهب الذي في أيدي اليهود

جعلهم يشردون شعباً أحراراً ويقضون على الاسلام من هنا جاء لوم الذهب .

وايضا يتضح فضل القرش الذي يدفعه كل مسلم لقرار حقيقة الاسلام -

ولدرء الخطر عن أمة الاسلام التي يريد طردها أعداء الاسلام فالقرش اليوم

عزيزا لانه سينصر الاسلام ويحقق لهم القوة والتمكين .

ثم يخاطب الرافعي المسلمين ؟ وكيف أنهم يجهلون الاسلام وهو

الذي بدأ عزيزا قويا بمخالب الاسود . والاسود لا تعرف الذل لان هذا

ليس من طبيعتها ، قوة الاسد تزجر لتعلن العزة في الجهات الاربع لو كانت هناك

مخالب وأنياب أسد لصا نلت فلسطين ولما أنهزمت وتشرد شعبها ولكن الواضح

أن الاسد أصبح بلا أنياب وبلا صوت يزجر - فمن هنا لم يعد أسدا لأنه فقد

صفات الشجاعة التي تميزه وبذلك ضاع الشعب الفلسطيني فلو كانت القلوب براكين

تحمل في حناياها لهيبا لجعلها تزحف زحفا نحو الجهاد وتحرير الارض المقدسه

ولتحولت كل قطرة دم الى شرارة دم .

ثم يتساءل عن عدد المسلمين وعن معنى الاسلام الاجتماعي فيقول :

((لو سئلت ما الاسلام في معناه الاجتماعي ؟ لسألت : كم عدد المسلمين ؟

فان قيل : ثلثاه مليون قلت : فالاسلام هو الفكرة التي يجب أن يكون لها
ثلثاه مليون قوة .

أيجوع اخوانكم أيها المسلمون وتشبهون ؟ ان هذا الشيع ذنب يعاقب

الله عليه .

والفنى اليوم في الاغنياء المسكين عن اخوانهم ، هو وصف الاغنياء

باللغو لا بالفنى .

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين ، يدل دلالات كثيرة أقلها سياسة المقاومة

كان اسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم أيديكم . . . كانوا يرمون
بأنفسهم في سبيل الله غير مكثرين ، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم^(١)

ثم يوضح الحكمة من اتجاه المسلمين للقبلة وارتفاع المآذن ماذلك الا للحكمة

الهيبة تقتضى رفع الصوت في الحق واتحاد كلمة المسلمين وتعاونهم في نصره الحق

وفي جعلهم يدا واحدة تضرب العدو وتحقق العزة .

ويطلب من المسلمين بذل التضحية بالمال في سبيل نصره فلسطين ويطلب

من العالم الاسلامي أن يصوم يوما واحدا يتهرع به لفلسطين ولو عمل المسلمون

ذلك، لغنيت فلسطين .

ويكرر طلبه والحاجة في جملة " لو صام المسلمون " ((ويقول : لو صام العالم

الاسلامي كله يوما واحدا وبذلت نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لاغناها

لو صام المسلمون كلهم يوما واحدا لاغاثة فلسطين ، لقال النبي مفاخر الانبياء

هذه أمي !

لو صام المسلمون جميعا يوما واحدا لفلسطين ، لقال اليهود اليوم ما قاله
آباؤهم من قبل : ان فيها قوما جبارين

أيها المسلمون ! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبدول فيكون شيئاً
ساوياً .

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين ، يتكلم يوم الحساب يقول : يا رب أنا ايمان
فلان ! (١)

جمال الألتماس يتضح في أسلوب الرافعي البليغ في طلبه من المسلمين
الصيام للتبرع لفلسطين . واليت هذا الألتماس يجد صدق في نفوس المسلمين .

ولو أراد المسلمون التضحية لما أحتاج ذلك لصيامهم لانهم ليس فقراء
فلا موال في أيديهم كثيرة لكن النفوس فقيرة من الدافع للانفاق . لو كان المسلمون
مع فلسطين بقلوبهم وضمائرهم ولو رأوا ما تبره قوافل الايام من المحن والمصائب
لمدوا أيديهم .

لو سمعوا فلسطين تناد بهم باكية تسمع الزمان صدق انتحابها لرتت قلوبهم
وبكت محاجرهم ، وأدميت أفئدتهم وسارعوا ببذل قضارى الجهود لدفع الظلم
عن هذا الشعب المسلم المنكوب .

المرأة والميراث

اعتزله كاتب مسيحي على قضية الميراث للمرأة في الاسلام ذلك الكاتب هو
سلامه موسى الذي دعا الى مساواة الرجل بالمرأة في الميراث وكتب ذلك في
"المقطم" ، لقد ثار الرافضي على هذا الكاتب الذي يجهل حكمة الاسلام في
تقرير الأشياء وقال ان ذلك يعود على ضعف وسوء تفكير الكاتب وتقليده لأوروبا
الذي يتضح في قوله :

((ان المصلح المشرع عندنا هو مقلد لأوروبا لا غير في تقليده ، ثم يرد الرافضي
عليه بقوله :

" فليس الا أوروبا وتقليدها وانما لم يكن في أوروبا قرآن ولا اسلام فالاصلاح المشرع
عند الكاتب الا يبقى من ذلك شيء " ((١))

ثم يواصل الرافضي في بيان آراء سلامه موسى الذي رد بها على رئيس
تحرير المقطم في خشيته ان يقتصر الاصلاح على القشور دون اللباب فيقول انه :
((معتقد ان الأمة التي تشرع في اتخاذ المدنية الحديثة يجب ان تبدأ بالقشور
لانها أسهل عليها من اللباب بل هي لا تستطيع غير ذلك " كذلك بدأت اليابان ؟
وهل كل الطباع كطبيعة بعض الناس ، تستطيع ان تمتلئ قشور المدنية
وتتصرف الى حداثتها وسفاسفها ؟ ((٢))

ثم يبين الرافضي ان سلامه موسى لا يفهم في الدين لذلك فهو متطفل
في اقتراحه الذي يقول فيه :

((ان الطبقة الغنية في الامم هي التي تقرر ديانة الأمة ((٣)) ثم بدأ الرافضي
بوضوح حكمة الشريعة الاسلامية في الميراث وأنه مرتب على أساس الزواج وعلى أساس
تعديل الاخلاق في المجتمع واستقامة الطباع فهي تريد من الرجل ان يكون قويا

(١) وحى القلم - مصطفى الرافضي ج ٣ ص ٣٩٣

(٢) " " " " " " ج ٣ ص ٣٩٣ - ٣٩٤

(٣) " " " " " " ج ٣ ص ٣٩٣ - ٣٩٤

وأن يكون قائدا لأسرته بما يقوم به من أعمال عظيمة والقيادة من شأنها العمل والتضحية وتحمل المسؤولية ، ومن ثم تحتّم على الرجل أن يمهر المرأة وأن ينفق عليها وعلى أولادها حتى لو كانت المرأة لديها أموال ، فالانفاق مفروض على الرجل ، ويرى الرافعي أن حكمة الدين الاسلامي في الأشياء لا يفهمها الا من كان قوي الخلق متمسكا بالشريعة الاسلاميه قولا وفعلًا ، متمكنا الدين من نفسه فاهما لتعاليمه نابعًا من ذاته فان لم يكن كذلك فهو بلا ريب لا يفهم الا فهم الجدال لا فهم الاقتناع .

ثم أوضح أحقية المرأة في مال الرجل بينما ليس للرجل حق في مال زوجته ، ثم بين بمعادله دقيقه كيف أن المرأة لو ساوت الرجل في الميراث لانعدت المساواة في الحقيقة لانها ستزيد وينقص ؟ اذ لها حق الميراث وحق النفقة وليس له الا مثل حقها في الميراث اذا تساويا .

ثم أخذ قول سلامي بالنقد اللاذع حين أقتره أن في الحق أن تنفق المرأة على الرجل وأن تدفع له المهر ثم تساويه في الميراث .

هذه بلاشك أفكار هدامة من شأنها زعزعة المجتمع المسلم وقد أدرك الرافعي الخطورة الاجتماعية في هذا الاقتراح وضياع النساء الفقيرات اللاتي لا يملكن المهر لدفعه للزوج ، هذا إضافة الى أن فيه أمتهان للمرأة في أن تكون هي الطالبة والدافعة مما قد يسبب فساد الزواج لأنه سيكون قائما على مصلحة أكثر ما يكون على مودة وترايط واستقرار وطمانينه وهذا ما يدعو اليه الدين .

ويستطرد في بيان الضرر الناتج لو تخلى الرجل عن مسؤوليته وتركه المسؤولية للأمة ، يقول الرافعي في ذلك :

((ومن هنا وجب أن ينعكس القياس ان أريد أن تستقيم النتيجة الاجتماعية التي هي في النفاية لا من حق الرجل ولا من حق المرأة بل من حق الأمة ، وما نساء الشوارع ونساء المعامل في أوروبا الا من نتائج ذلك النظام الذي جاء مقلوبا ، فهن غلطات البيوت المتخربه والمسئوليه المعتمده ، وهن الواجبات التي ألقاها الرجال

أنفسهم فوقعت حيث وقعت ! (١) ((

ويوضح الدور الاجتماعي في الحكمة الآتية السامية في الميراث عندما تدع المرأة نصف حقها في الميراث لأخيها يفضلها به - لتساعده بهذا العمل المشعر الذي من شأنه ترابط المجتمعات الإسلامية ، وذلك لأن الاخ عليه أن ينفق على امرأة أخرى هي زوجه وبذلك يتحتم عليه واجب تجاه أمته هذا الى ما فيه من تسهيل بزواج امرأة من النساء .

ويواصل ردوده المقننه على سلامه موسى المدعمة بالمنطق والحجة حجة الأديب الذي يعرف بأسلوبه الرائع وحكمته الناطقة كيف يتغلغل في النفوس، ويقنع العقول يدفاه عن الدين الحنيف ضد هذه الدعوة الخرقاء الباطلة التي تخرج عن حدود الدين ومخالفة الا قول الله تعالى في قوله :

((للذكر مثل حظ الانثيين)) (٢)

هذا اضافة الى أن أقوال سلامه موسى الافتراضية تحكم على فئة معينة من المجتمع وذلك عندما يفترض أن كل الوالدين أغنياً وهذا خطأ جسيم فسي نظريه أبتدعها تخالف حقيقة اجتماعية يقول الرافعي في ذلك :

((وما نعجب له أن سلامه موسى يتكلم في محاضرتة كأن كل الوالدين زوو مال وعقار ، فنصف الامه على هذا محروم نصف حقه وكأنه لا يعرف أن السواد الاعظم من الناس لا يترك ما يورث ، لا على الربح ولا على النصف وان كثيرا من يموتون - عن ميراث لا يحيا ميراثهم الا أيا ما من بعدهم ، ثم يذهب في الديون ان لا تركة مع دين ، وكثيرون لا يسمن ميراثهم ولا يقنى ، فلم تبق الا فئات معينة من كل أمة لا يجوز أن تتقلب من أجلها تلك الحكمة الاجتماعية التي هي من حظ الاممة كلها لقيام بعض الاخلاق عليها كما بسطناه (((٣)))

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٣ ص ٣٩٥

(٢) سورة النساء آية (١٠)

(٣) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٣ ص ٣٩٦

ثم ينبه الرافعى هنا الى حقيقة اجتماعيه من شأنها أن تحط من قدر المرأة وكرامتها في نظر الرجل الذي يجب أن ينظر اليها نظرة الاحترام لتدوم المشرة الزوجية وليكون بنيان الأسره قويا ، وهذا من شأنه بأن ينعكس على الاجيال التي تنشأ في هذه الاسره بما تحققة الاسره من استقرار وثبات وأمن نفسي يظلكه الحب وتشطبه السكينه يقول في ذلك :-

((وما تشمئزله النفوس الكريمة قول المترجم في محاورته فلو كانت يرثن مثل اخوتهن الذكور لكان (في ثروتهم) اغراء للشبان على الزواج ان الدين الاسلامي لا يعرف مثل هذا الاسفاف في الخلق ولا يقره ، بل هو يهدمه هدما ويوجب على كل رجل أن يحمل قسطه من المسئولية ما دام مطيقا ان كره أو رضى ، و لعمري ان تلك الكفة وحدها من كاتبها ليهي أدل من اسم المحل على بضاعة المحل (١)

في هذا المقال يتضح أسلوب الرافعى الذي يعلل حكمة الدين في أمور يفرضها الله على عباده ، ويرد على كاتب سيجي هدفه أن يشكك في أمور الدين التي فرضها الله لعباده وهو يعلم سبحانه وتعالى بما تصلح عليه أمور البشرية وتستقيم به الحياة من أمور شرعها وقدرها .

حجاب المرأة المسلمة

تحدث الرافعي في هذا المقال بعنوان " تربيته لؤلؤه " عن حجاب المرأة المسلمة الذي فرضته الشريعة الاسلاميه على المرأة لتجمل المرأة عزيزة كريمة ولكن هناك من رفع " علم الجهاد " لتحريير المرأة أمثال قاسم أمين ، الم يكن قاسم أمين يدرك الاضرار الناجمة عن آراءه التي تدعو للسفور ؟

ثم يوضح الرافعي فوائد الحجاب للمرأة المسلمة فيقول :

((وما هو الحجاب الا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، واعلاء سمرها في الاجتماع وصوتها من التبذل المسقوت ، لضبطها في حدود كحدود الريح من هـذا القانون الصارم ، قانون العرض والطلب ، والارتفاع بها أن تكون سلعة باثرة يتنادى بهافي مدارج الطرق والاسواق ((١))

ثم يوضح الرافعي الحكمة من ايجاد الحجاب الشرعي للمرأة لتمارس وظيفتها التي خلقها الله لها في أخفى طبائعها " الرحمة " .

يقول الرافعي :

((ما هو الحجاب الشرعي الا أن يكون تربية عطية على طريقة استحكام العاده - لاسي طباع المرأة وأخصها الرحمة ؟ هذه الصفة النادرة التي يقوم عليها الاجتماع الانساني على نزعها والعنازة فيها مادامت سنة الحياة نزاع البقاء ، فيكون البيت اجتماعا خالصا سالما للفرد تحفظ المرأة به منزلتها ، وتؤدي عطيا ، وتكون مفرسا للانسانية وفارسة لصفاتهما معا ((٢))

ثم يتحدث الرافعي عن الحجاب الاسلامي وأنه لم يوضع للمرأة نفسها ، بل على الاخلاق لتحسي المرأة من كل ما يخالفها بسوءه إذ ان الحجاب هو كالمـرز يقول الرافعي في ذلك :

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ١ ص ١٩٥

(٢) " " " " " " " " ج ١ ص ١٩٦

((فليس الحجاب الا كالرمز لما وراءه من أخلاقه ومعانيه وروحه الدينية المعبدية ، وهو كالصدفة لا تخجب اللؤلؤ ولكن تربيتها تربية لؤلؤية ، فورا الحجاب الشرعى الصحيح معانى التوازن والاستقرار والهدوء والاطراد ، وأخلاق هذه المعانى وروحها الدينى القوى ، الذى ينشى * عجيبة الاخلاق الانسانية كلها ، أى صبر المرأة وإيثارها ، وطى هذين تقوم قوة المدافعة ، وهذه القوة هى تمام الأخلاق - الانسانية كلها ، وهى سر المرأة الكاملة ، فمن تجد الأخلاق على أتمها وأحسنها وأقواها الا فى المرأة ذات الدين والصبر والمدافعة . انها فيها تشبه أخلاق

نبي من الانبياء (١) .

وما زال الرافعى يرد على كل من يدعو الى السفور وينقم عليه لان السفور

معناه التجرد من الاخلاق .

وقد كتب الرافعى الى أبى ربه عن رأيه فى الحجاب والسفور يقول فيه .

((أما جريدة السفور فقد رأيت منها عددان كانا مع صادق عنبر وما حمدتها

فهى ورق وطبع وكأنها بموضوعاتها عربية من الدرجة الثالثة فى قطار الاكسبريس .

وفوق ذلك فأنا نأتم أشد النقمة على مبدء هذه الصحيفة أى السفور) فأى

سفور يريدون أخزاه الله . وقد حجت نساء النبی - صلى الله عليه وسلم - وهو

أكمل من شى على الارض ومن يمش .

وهن أمهات المؤمنین من سلف ومن يأتى والكلام طويل يا أبا ربه ولكن

هؤلاء لا يفقهون دينهم ولا أسرار دينهم ولا ينظرون للمصلحة الصحيحة ككل هيئة

اجتماعية نفسية بل يريدون هيئة علمية عقلية (٢) .

هذه آراء الرافعى المناضل عن الدين لكل من أراد أن يتعرض لاجرامه

(٢) وحى الظم ج ١ - مصطفى الرافعى ج ١ ص ١٩٧

(٢) رسائل الرافعى جمع وترتيب محمود أبو ربه ص ٥٧-٥٨

يزودها بالامثلة المقتنعة التي تملل وجود الامور الدينية وحفاظا على مكانة
المرأة المسلمة عظيمة من الخير لها أن لا تجرى وراء الحضارة الزائفة التي تقلل
من شأنها وقيمتها التي وضمها فيها الاسلام وجعلها عزيزة ينظر اليها بالتقدير
والاجلال .

الأجنبية

تحدث الراقصي في هذه القصة عن زواج مصرى من احدى الأوربيات وقصد
أفتتن هذا الطالب السبعث بالأوربية وتزوجها ولكن قد دفع ثمن هذا الزواج -
جريمة من حياته وسعادته وندمه على اقترانه بتلك الأوربية التي لا دين لها ولا خلق
هذا إضافة الى الأختلاف واليهن الشاسع في العادات والتقاليد وقد أوضح
مضار الزواج بالأجنبي بصورة الأديب المسلم يقول في ذلك :-

((لا تتزوجوا بالخوانى المصريين بأجنبية ، ان أجنبية يتزوج بها مصرى

هى سدس جرائم فيه ست قذائف :

الأولى : بوار امرأة مصرية وضياعها بضياع حقها في هذا الزواج ، وتلك جريمة و
وطنية فهذه واحدة .

والثانية : اقام الاخلاق الأجنبية - عن طباعا وفضائلنا - في هذا الاجتماع
الشرقى ، وتوهينه بها وصدده ، وهى جريمة أخلاقية .

والثالثة : سدس الصروق الزائغة في دماننا ونسكنا ، وهى جريمة اجتماعية .

والرابعة : التمكين للأجنسى في بيت من بيوتنا ، يملكه ويحكمه ويصرفه على ما شاء ،
وهى جريمة سياسية .

والخامسة : للمسلم منا ايثاره غير أخته المسلمة ، ثم تحكيمه الهوى في الدين

ما يحبه وما لا يحبه ، ثم القاه السم الدني في نبع ذريته المقبلة ، ثم

صيرورته خزبا لأجدانه الفاتحين الذين كانوا يأخذونهم سبايا ، ويجعلونهم

في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة ، فأخذته هى رقيقا لها ، وصار

معها في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد . . وهذه جريمة دينية .

والسادسة : بعد ذلك كله ، أن هذا السكين يؤثر أسفه على أعلاه . . ولا يبالى

في ذلك خمس جرائم فظيعة وهذه السادسة جريمة انسانية ((١))

هذه النصائح التي قدمها الرافعي للشباب المسلم الذي يذهب للدراسة في أوروبا ويتزوج الأوربية دونما تفكير في المصير الذي سيؤول اليه والمتاعب التي سيجنيها نتيجة هذا الزواج الذي لا يسعده وإنما يقضى على مستقبله ومستقبل أبنائه ومجتمعه بدخول هذه الفرية ونشر أفكارها ومعتقداتها بين أبنائها وما يشكل هذا من ضرر على عقيدة الأبناء وتربيتهم وسلوكهم .

لحوم البحر

لقد كان الراقصى مسلما غيورا من واقع حرصه على دينه وعرويته ، وذلك بما شاهدته في المجتمع من الانحلال في الخلق والبعد عن الدين واتباع الهوى وغوايه الشيطان ، وتبريد جهنم في عقول الناس حتى نسوا عذاب الله وفي ذلك يقول :

((لكأنما والله تعدد على سيف البحر في الاسكندرية شيطان مارد من شياطين ما بين الرجل والمرأة ، يخدع الناس عن جهنم بتبريد معانيها ، وقد أمثلها الزمان والمكان ، فهو يورث ذلك الرمل بذلك الهواء رعدة أعصاب هية ، ويرسل في الجوف نغفات من جرة الخمر في شاربها نار هيريد ، ويطلع الشمس للاعيين في منظر حسناء عريانة القت ثيابها وحياءها معا ؟ ويرخي الليل ليفطى به المخازى التي خجل النهار أن تكون فيه ((١))

ثم يبين الراقصى أثر الشيطان في الناس ، وكيف أنه يوسوس لهم ، ويزين لهم طريق الفجوة والضلال ، بأسلوب لا يشعرون معه ، أنهم متقادون لخطأ جسيم يفسد دينهم وينزع الغيرة الاسلامية من نفوسهم ، ويصور لهم أن هذا علاج الضجر والملل فأسمه يقول :

((ولعمري ان لم يكن هو هذا المارد ، ما أحسبه الا الشيطان الخبيث الذي أبتدع فكره عرض الآثام مكشوفة في أجسامها تحت عين التقى والفاجر ، لتعمل عليها في الطباع والأخلاق ، فسول للنساء والرجال أن ذلك الشاطىء علاج الملل من الحر والتعب ، حتى اذا اجتمعوا ، فتقاربوا ، فتشابهوا سول لهم الاخرى أن الشاطىء هو كذلك علاج الملل من الغضيلة والدين !

وان لم يكن اللعينان فهو الرجيم الثالث ، ذلك الذي تألى أن يفسد الآداب الانسانية كلها بفساد خلق واحد ، هو حياء المرأة ، فبدأ يكشفها

للرجال من وجهها ، ولكنه استمر يكشف . . وكانت تظنه نزع حجابها فاذا هو
أول عريها ، وزادت المرأة ، ولكن بما زاد فجور الرجال ، ونقصت ، ولكن بما نقص
فضائلهم ، وتفسرت الدنيا وفسدت الطباع ، فاذا تلك المرأة من يقرونها على
تبدلها بين رجلين لا ثالث لهما : رجل فجر ورجل تخنت ((١))

وهذا جزء من قصيدة ففيه نظمها **وتقول في طي** لسان اليراعى يقول نيبا :

((بالحوم البحر اسلخك جزار من ثيابك

جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة

ولا يحز بالسكين ولكن بالماطفة

ولا يميت الحي الا موتا أدبيا

الى الهيجا ، يا أبطال معركة الرجال والنساء

فهنا تلتحم نواميس الطبيعة ونواميس الاخلاق

للطبيعة اسلحة العرى ، والمخالطة ،

والنظر ، والأنس ، والتضاحك ، ونزوع المعنى الى المعنى

وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدى ، وسلاح من الحياء مكسورا

بالحوم البحر اسلخك من ثيابك جزار ((٢))

هذا هو اليراعى المسلم الذى يذود عن الدين بقلعه ، والذى اتخذه

مادة فكره من المناظر المولمة التى رآها على شاطئ البحر محذرا من عاقبة هذه

الاعمال الوخيمة التى تفسد المجتمع ، وتنتشر فيه الرذائل باسم الحضارة الزائفة .

(١) وحى القلم - مصطفى اليراعى ج ١ ص ٢٥٦

(٢) " " " " " " ج ١ ص ٢٥٨

الفصل الثاني

مؤلفاته الدينية

اعجاز القرآن والبلاغة النبوية

كان الرافعي كاتباً اسلامياً مؤمناً صادق الأيمان ، مدافعاً عن الدين الاسلامي ، حامياً له من كيد الكائدين الذين يريدون أن يشككوا في أغراضه النبيله ، وقد أينعت هذه البذور في نفس الرافعي ، وآتت أكلها شهياً حين أصدر كتابه ((تاريخ آداب العرب)) الجزء الثاني الذي عرف باسم " اعجاز القرآن والبلاغة النبوية " والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الثامنة ، صدرت بفاتحة لسعيد العربيان ، ولكنه لسعد باشا زغلول ، ثم مقدمة الطبعة الثالثة للكاتب مصطفى صادق الرافعي وقد تحدث في هذا الكتاب عن القرآن ووصفه من حيث الألفاظ والمعاني ، وتوهم العرب أنه سحر واثامهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنون ، كما تحدث عن تاريخه وجمعه وتدوينه وابتداء الوحي سنة ٦١١ للميلاد ثم الهجرة الى المدينة في سنة ٦٢٢ ، ونزول القرآن مكياً ومدنياً ، وأن الصحابة ^{بعض} في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانوا يحفظون القرآن ولكن في غزوة " أهل اليمامة " مات كثير من الصحابه ، فأشار عمر على أبي بكر بتدوين القرآن فدون القرآن وأيضاً أبان الرافعي أن لغة القرآن هي لغة قريش ، وقد أثر القرآن في هذه اللغة ، إذ أنه تناول المعاني الدقيقة وأبرزها في جلال الاعجاز ، وعرض في هذا الأمر عرضاً مفصلاً أظهر فيه مدى تأثير القرآن في اللغة ، ثم تحدث عن آداب القرآن وأن آدابه هي الآداب الانسانية المحضة ، وتحدث عن القرآن والعلوم ، وتأثيره على العقل الانساني ، وأنه أصل النهضة الاسلامية ، ثم أفصح أسرارهِ وكيف أنه معجز ، وأن اعجازه الآيات الكونية والخلقية ، وأورد فصلاً في اعجاز القرآن والأقوال في الاعجاز كما تحدث عن أسلوبه الذي أعتقل العرب عن الكلام وأظهر

ضعفهم بنظمه وتركيبه ، ثم انتقل بعد هذا الى البلاغة النبوية ، ووصف
الفاظه - صلى الله عليه وسلم - وما هذه البلاغة الا اللسان الذي نزل بسنه
القرآن بحقائقه ، وتحدث عن فصاحته وصفته واحكام منطقه واجتصاع كلامه
وقلته ، ونفى الشعر عنه .

هذه بعض الموضوعات التي أحتواها كتاب " أعجاز القرآن والبلاغة
النبوية " وقد أوردت بعضها لتظهر مكانه هذا العمل الرافعى الجليل .

بدأ الرافعى مقدمته ببيان حالة أهل العصر وانقسامهم الى فريقين -
فريق الطاعة ، وفريق المعصية ، وان فريق الطاعة قد عرف طريق الهدى
وسلكه ، ولكن فريق : المعصية قد ضل سواء السبيل ومن هنا جاءت الشقوة
للشريعة الضالة ، البشرية التي لم تعرف الهدى ولم تعرف الراحة فهي
حائرة في طريقها ، لان زمام الأمور قد انفلتت من أيديها حينما فقدت ايمانها
ولا تبقى ، يهدى النفوس بسوى الايمان العميق الذي به تعرف الطريق المستقيم ،
وتشفى من غلها وأمراضها التي ألمت بها من متاع الحياة والسير في دربها
الشاق مع الايمان واليقين بسير المؤمن ثابت الخطا مطمئن الضمير في سكينه
من القلب وثقة في الحق والخير وأن هو غير هذا الطريق فقد حاد عن
الحق وصار من فريق المعصية ودعاة الشبهه الذين يقول الرافعى فيهم :

((يتخذون المظلم درية لافساد الناس وتحليل عقدهم الوثيقة وتوهين أخلاقهم
الصالحة القوية ويزعمون للعلم معنى ان يكن بعضه في العلم فأكثره في الجهل
وان يكن له صواب قلّه خطأ يفسر صوابه ، وان كان فيه ما يرجع الى عقول العلماء
ففيه كذلك ما يرجع الى عقولهم هم)) (١) .

ثم يرد على المحتجين بالعلم ، في حل الأمور ويخبرهم بأن العلم لا يستطيع أن يحل مشكلة فوق العقل لأن العقل محدود ، والعقل المحدود هذا بعلمه المحدود لا يستطيع أن يوجد شيئاً معدوماً ، وإنما يكشف عن الموجود ، وعندما يكشف عن الموجود لا يصل إلى يقين إذ اليقين إنما يكون بالدين لا بالعلم الذي يزعمون والعلم في نظره :-

• ان هو الا ترجمة جزء من الوجود الى الكلام والمعل ، فهو لا يوجد شيئاً غير موجود ، وإنما يكشف عن الموجود ويتسع في المبارزة عنه ويحاول جعله بنفسه ، وما هو الا ظاهرة من جزء من كل ما وراء الكل (١) .

ثم يوضح سبب عداوة فريق المعصية للقرآن ومحاولتهم التعرض للقرآن وذلك لجهلهم باللغة وأسرار البيان ، حتى أنهم جعلوا القرآن كتاباً كأي كتاب يجرون عليه الحكم ، وما ذلك الا للجهل الذي يعنى أبصارهم عن الحقيقة أما سبب نعتهم على القرآن فيرجع إلى ما يتميز به من استقرار وثبات بينما كل شيء قابل للتغيير والتبدل ، لكن هذا الكتاب جعله الله معجزة لكل زمان إلى أن تقوم الساعة .

• القرآن •

تحدث الرافعى فى هذا الفصل عن وصف القرآن ، وعن آياته المنزله من السماء ، وكيف أن الارض تصبح سماً بهذه الآيات التى هى منها كواكب أى أن هذه الآيات زينة الأرض فهى فى الأرض بمنزلة الكواكب فى السماء فى الاشعاع والنور والهداية والارشاد ، وأن العرب أظفوا قلوبهم عن سمع القرآن ، وذلك لاعتلال فى نفوسهم ما جعلهم يحيدون عن الطريق ولكنهم أقبح أفعال هذه القلوب ، فصالوا وجالوا ولكن من يستطيع أن يصد السبل اذا هدر ، ثم يبين اعتراض العرب على القرآن باللسنة ، وتخاطبهم ليهب فيها لهم ، ولكن أمر الله نافذ لا يستطيع أحد أن يرد القدر .

ثم شبه الرافعى الفاظ القرآن الجزلة بأموج البحار الزاخرة ، وعند ما تلحن فهى أنفاس الحياة الآخرة وفى ذلك يقول :

• الفاظ اذا اشتدت فأموج البحار الزاخرة واذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمارها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الشفور تضحك فى وجوه الفيض وان أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب (١)

ثم يصف معانى القرآن بصورة واضحة ناهضه بالحياة تنسكب فى القلب المؤمن وتزيد ايمانا وبقينا وتجعله اكثر حبا وشغفا بمعرفة المزيد من معانى آيات الذكر الحكيم وأمام أسلوب الرافعى العتق الذى يلامس أوتار القلوب يشعر المرء أنه أمام فن جميل فى التعبير ووصف دقيق يخرج اللؤلؤ من صدقاته ليرى الناس البريق الذى لم يكن واضحا أمامهم ، فتهب النفوس نشطة

مرحبة لترتوي بمذوبة هذه المعانى ، وبالنور المشرق الذى يبعث فى النفس
الأمان ، بما يخلقه فيها من معانى المبرة والمظة الذى يسكن الآلام ، ويريح
النفوس ، ويبعث فيها الخشوع ويوضح معالم الطريق للمسلم ليرى حقيقته
وتتمثل أمامه خطاياها ليهتمد عنها ويسمو بأنسانيته .

بهذا الوصف الدقيق الذى أتى به الرافعى لمعانى القرآن الكريم
ولأثره فى النفس المؤمنة ما يجعلها تشرق بهذه المعانى السامية ، وترى
أن تطير بجناح الحب والشوق تمهدا وتمسكا بالقرآن الكريم ، فلا يملك المسلم
الا أن يمارع الى القرآن الكريم خاشعا . . .

تاريخ القرآن

جمعة وتدوينه

تحدث الراغب في هذا الفصل عن نزول القرآن منجماً في بضع وعشرين سنة ، ورغم نزوله كذلك عجزوا عن الاتيان بأقصر سورة منه ، ثم تحدث عن ابتداء نزول الوحي سنة ٦١١ للميلاد بمكة ، وهجرته - صلى الله عليه وسلم - في سنة ٦٢٢ الى المدينة ، وقد نزل القرآن مكياً ومدنيهما ، ثم تحدث عن جمع الصحابة للقرآن فقال :-

* وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداءً من أنفسهم أو بأمر من النبي - صلى الله عليه وسلم - فيخطونه على ما اتفق لهم يومئذ من المسبب والكرانيف واللخاف من الشاة والأبل ، وكل ما أصابوا من مثلها ما يصلح لغرضهم ، يكتب كل منهم ما تيسر له ، ولكن ما لاشك فيه أن منهم قوما جمعوا القرآن كله لذلك العهد ، وقد اختلفوا في تعيينهم بيد أنهم أجمعوا على نفر منهم على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود وهؤلاء كانوا مادة هذا الأمر من بعد ، فان المصاحف حتى اختلفت بالثقة كانت ثلاثة : مصحف ابن مسعود ، ومصحف أبي ومصحف زيد ، وكلهم قرأ القرآن وعرضه على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأما ابن مسعود فقرأ بمكة وعرض هناك وأما أبي فأنه قرأ بعد الهجرة وعرض في ذلك الوقت ، وأما زيد فقرأه بعدهما وكان عرضه متأخراً عن الجميع ، وهو آخر المعرض ان كان في سنة وفاته صلى الله عليه وسلم - وبقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام ، وكان يصل الى أن لحق بربه .

أما على بن أبي طالب فقد ذكروا أن له مصحفاً جمعه لما رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي الفهرست لابن النديم

أنسه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسيني مصحفا بخط علي يتوارثه بنو حسن ،
ونحن نحسب ذلك خيرا شيعيا لأنسه غير شائع (١)

ان الله سبحانه وتعالى أراد للقرآن الكريم أن يبقى خالد امدى الدهر
وقد سخر الله عباده الصالحين لجمعه في حياة الرسول وعرضه عليه . .

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبويه مصطفى صادق الرافعي ص ٢٢-٢٥

القراءة وطرق الاداء

تحدث الرافعي في هذا الفصل عن اختلاف القراءات في القرآن الكريم
وآدابها - اختلافاً صريحاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وصحت قراءته ، وهو كان أعظم العرب بوجوه لغتها .

ولو أن القرآن الكريم نزل على لفظ واحد ما كان بصائرته شيئاً وهو على
ما هو احكاماً وابتداعاً فهذه واحدة .

والحكمة الاخرى من هذه القراءات هي :

تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لم يكن حفظ الشرائع ما عرفوه
فضلاً عن أن يكون ما ألفوه .

وثالثة : تلحق بمعاني الاعجاز ، وهي أن تكون الألفاظ في اختلاف بعضها
صورها ما ينهياً معه استنباط حكم او تحقيق معنى من معاني الشريعة ، ولذا
كانت القراءات من حجة الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد ، وهذا المسمى
ما انفرد به القرآن الكريم ثم هو ما لا يستطيعه لغوى أو بيانى في تصوير
خيال فضلاً عن تقرير شريعة .

ثم ذكر الرافعي وجود الاختلاف الطبيعي - كاختلاف القراءات فى
العرب ما تفهم له تلك الطبائع المختلفة به وجهاً ، لان كل عربى ثبت على
لغته فى النطق او القراءة .

ثم استشهد بحديث عن عمر بن الخطاب فى اختلاف القراءات يقول فى ذلك :
((روى عن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى
حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأها
على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، فكسدت
أساوره فى الصلاة فصبرت حتى سلم ، فلما سلم لبيته بردائه فقلت : من

مفردات القرآن

تحدث الرافعي عن مفردات القرآن التي سميت بالفرائب فقال :

((وفي القرآن الفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالفرائب ، وليس المراد بفرائبها أنها منكورة أو نافية أو شاذة ، فان القرآن منزله عن هذا جميعه ، وانما اللفظة الفريبه ههنا هي التي تكون حسنة مستفيدة التأويل ، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس ، وخطبها عدوه من ذلك في القرآن كونه سبعا لفظية ، أو تزيد قليلا ، جميعها روى تفسيره بالسند الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو ذلك المعجم اللغوي الحى الذى كانوا يرجعون اليه كان رحمه الله يقول : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلسان العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك))

الجنسية العربية في القرآن

تحدث الرافعي في هذا الفصل عن الجنسية العربية ودورها في حفظ القرآن الكريم ، وأن الله سبحانه وتعالى ما أصلح هذه الجنسية الا حفظا لكتابه واظهار الوجه من وجوه اعجازه الخالدة ، وذلك أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هاديا ومرشدا للبشرية ، وبالعرب المؤمنين ازدهر الاسلام فهم كالبنيان المرصوص ، وانا تفرقوا سطعوا في تيجان السالك كالفضوض هذه سياسة القرآن يقول في ذلك :

((تلك سياسة هذا القرآن : جمع العرب لمذهب الأقدار وتصريف التاريخ رأي السنتهم تقود أرواحهم ، فقادهم من السنتهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبد بالتكوين العقلي ، في كل أمة فتجعل الأمة كأنما تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلج منه الى مستقبلها من هذا العقل بعينه ، فلما استقاموا له أقامهم على طريق التاريخ التي مرت فيها الأمم وطرحت عليها نقائصها فكانت فيارها ، وأقامت فضائلها فكانت آثارها ؟ فجعلوا يبنون عند كل مرحلة على أنقاض دولة دولة ، ويرفعون على أطلال كل مذلة صولة ، ويخييطون جوانب العالم الممزق بامر السنة ، وراها خيوط من الأعنسة حتى أصبح تاريخ الارض عربيا ، وصار بمد الذلة والمسكنة أبا)) (١)

ان هذه الجنسية العربية جعلت العرب بعد الاسلام يخرجون من تاريخهم وكأنهم نزعوا جلدتهم نزعا كل هذا بتأثير هذه الجنسية التي هدمت الماضي في نفوسهم ، ولكنه هدم الى بناء جديد وفي ذلك يقول الرافعي :-

((فالقرآن الكريم بتمكته من فطرة العرب على وجهه المعجز ، قد نزل منهم منزلة الزمان في عظه وآثاره ، لان الذي أنزله بعلمه وقدره بحكمته انما هو خالسق

الزمن نفسه ، فهدم في نفوس العرب وكان هدمه بناءً جديدًا جعل الأمة نفسها قائمة على أطلال نفسها ، وبذلك أحكم عمل الوراثة التي تعمله الفرائز والطباع ، إذ تبنى بالهدم ، وتقيم التاريخ من أنقاض التاريخ ، وهذا هو الفرق بين العمل الأنساني ، والعمل الالهي ، وبين شيء يسمى حكا وشيء يسمى معجزة (((٢) .

ثم يواصل حديثه عن الجنسيه ويصف حال العرب قبل الاسلام بأنهم جفاة ، ولم يستصلحوا أنفسهم الا بما يفسد جماعتهم ، ولم يقيموا عزا لأنفسهم الا ليزلوا غيرهم ، كأنهم يعيشون في عالم الفابتا حمر وحرب ، كيف يجتمع الضدان العداوة والمحبة ، كيف تتألف هذه القلوب ، بقدرة الله كان ذلك اجتمعت هذه القلوب وزالت عصبية الاجناس والألوان من النفوس ، ولا عصبية الا للأرواح ، وما اعظم عصبية الارواح لأنها تساوى بين النفوس ، وتسير الأمور في سيرها الصحيح ، وتجعل الامم بوجهها كيف أقبلت لأنه لا توجه الا لله ، وبذلك كان بينهما وبين الله كل ما تحت السماء ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية الى النهايه ان الجنسية العربية في القرآن جعلت من المسلمين أمة واحدة حيث أن كل الأم يجب أن تقرأ القرآن بلسانه العربي المبين ، وبذلك تزول مذاهب الجنسيه ، وتبقى الجنسية الطبيعيه التي هي في الحقيقة لنون القلب لا سحنة الوجه .

((لقد جمعت الجنسية العربية في القرآن أمة الاسلام والفت بين قلوبهم على اختلاف أشكالهم والوانهم وأجناسهم ولفاتهم ، فالقرآن الكريم جعل من الجنسية العربية منطلقا أوليا بالاسلام في تاريخ الأرض كلها ، حتى لقد أوشك تاريخ الأرض أن يكون عربيا في أقل من مائة عام ، ولا عجب في ذلك فقد صفى

الاسلام الطباع وصقل الروح العربيه هذا بعضا منا قاله الرافعى فى الجنسيه العربيه ، وهذا يدل على قدرته وتعمقه ، وعلى ادراكه الواعى لأنواع اعجاز القرآن ويتضح منها عمق ايمانه وعربيته الأصيله على اعتزازه بدينه ولفته (١)

فى هذا العصر الذى غزا الفكر الأوروبى العقول وأصبح تفاخر الناس بتعلم اللغات الأجنبية وما يؤسف ما وصف اليه حال العالم العربى الذى أصبحت اللغات الأجنبية فى تعلمها هى مفاخرهم وحضارتهم التى يتباهون بها ، وحتى الذين لا يجيدون تعلمها يتحدثون ببعض الالفاظ ليعلموا الآخريين أنهم متحضرون ليت هؤلاء تعلموا لغتهم وفهموا اسرارها وتمسكوا بها اذا كانت مصدر عزتهم وتكريمهم بها فيها من أسرار عميقه وميزات خالده ، ولكن هذا لا يمنع من تعلم اللغات الاجنبيه ، لنواكب الامم الاخرى فى حركة التطور الدائم ، ولتسير فى ركاب الحضارة ، لان الغرب اليوم أصبح فى يده كل المخترعات الحديثه ، ولكن ليس على حساب لغتنا العربيه ودنيا الحنيف الذى اليه المآل والمصير .

(١) نحو أدب - اسلامى معاصر - مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات

الاسلاميه فى أدبه د . طى عبد الحليم محمود ص ٢٤١ - ٢٤٤

آداب القرآن

ان آداب القرآن الكريم هي آداب الأنسانيه المحضه التي ترشد الأنسانيه الى طريق الحق والهدى ، وتقودهم الى الأمن والطمأنينه والسكينه التي فقدها العالم بسبب الاضطرابات ، والظلام الحالك الذي يعيش فيه قبل نزول القرآن ولكن هذا التشريع وحده النفوس على الحق والخير ، وأسس الخلق الأنسانى وجعله قويا لا يضعف ولا يتزعزع أمام تيارات الحياة المضطربة .

ومهما بذل العلماء من جهود ليضعوا مقياس ومعالج وحدود لهذه . . . الأنسانيه لن يستطيعوا ذلك ، لان الآداب تحتم على الفرد أن يكون دائما مع الحق ، حتى لو كان هذا الحق على نفسه .

يقول الرافعى فى ذلك :-

((من أجل ذلك كانت آداب القرآن ترمى فى جملتها الى تأسيس الخلق الانسانى المحض الذى لا يضعف معه الضمير دون ما يجب له ، ولا يقوى معه القوى فوق ما يجب له ، والذى يجعل الأدب عقيدة لا فترا ان تهتك عليه البواعث من جانب الروح ، ويجعل وازع كل امرى فى داخله ، فيكون هو الحاكم والمحكوم ويرى عين الله لا تنفك ناظرة اليه من ضميره)) (١) .

ثم يبين الرافعى سبب القوة الروحية فى آداب القرآن الكريم وكيف أنها استطاعت أن تغير طباع الجماعة الجفاة من العرب ، وبسطوا سلطانهم على تلك الجزيرة حتى بلغت أضعافها ، وأنشأت جيلا من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أفضل الأجيال بما يتميز به كل منهم من علو النفس ، وصلاح الطبع ورجاحة العقل . ذلك أن الأخلاق الأنسانيه بما فيها مجتمعة فيهم كما قال تعالى :

((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم يسلمون
ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أشرف
السجود (١)))

لقد استطاع فجر الاسلام بهؤلاء البشر الذين كان عدد هم قلة الى أن تكاثر
شيئا فشيئا ، وبذلك استطاعت آداب القرآن أن تولف بينهم وأن تجعل لهم
نظاما واستقرارا ، وتضع لهم قلبا اجتماعيا عاما استولى على ما فيها من التصور
والفكر والادراك والاعتقاد .

هذه الصفات المجتمعة أمدتهم بالقوة قوة الآداب الاجتماعية مقتد بهم
بالرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي وصفه الله بقوله :

((وانك لعلى خلق عظيم)) (٢)

ثم يوضح الرافعي أن الأصل الأول لهذه الاخلاق هو (التقوى) وهي الضابط
التي وضعتها القرآن لاحكام ما بين الانسان والخلق وقد جعل الله سبحانه
وتعالى الرقيب على الانسان هو ضميره الذي منه تهبث تصرفاته التي تحكه وتمنعه
وتجعله طائعا خائعا لأوامر خالقه مجتئبا عن نواهيها ، وما أعظم الرقيب عندما
يأتي من النفس، هو الذي يكون حارسا لها من الضلال والانحراف وهو المقوم
اعوجاجها ، وهو الذي به تصلح المجتمعات البشرية ، لان النور ينبعث من
داخلها لهدايتها وحمايتها وارشادها ، عندها لن يكون هناك تفاضل بين
انسان وآخر الا بالتقوى بها تكون المساواة وفي ذلك يقول الرافعي :-

((وهذا الاصل - أصل المساواة - هو الذي كشفه القرآن بقوله عز وجل :

((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

ان اكرمكم عند الله اتقاكم (٣)))

(٢) سورة القم آيه (٤)

(١) سورة الفتح آيه ٢٩

(٣) سورة الحجرات آيه ٢

اذن أصل المساواة هو ما أوضحه القرآن في الآيه السابقه من التعارف بين
 الشعوب والقبائل وقياس التفاضل في هذا التعارف ((هو التقوى)) فبالـتقوى
 يتلاشى الخصام والتباخر من جميع النفوس ويتبادر الناس الى هدف واحد
 " هو التقوى " وهذا الهدف هو الذى أوضحه الاسلام لينقذ البشرية من الشعور
 بالعصبية والتفاضل بالا حساب والأنساب والأموال وهذه الغايه هى التى يلتقى
 عندها المجتمع الاسلامى ليحققها وان لم يستطع فهو بلا شك قد ضل الطريق
 وفارق الهدى وقد أوضح الرافعى أركان الفضيلة الاجتماعيه الكبرى فى ثلاث كلها
 حريه واستقلال :

(١) استقلال الارادة وقوتها وهذا هو الذى يكون عنه (الأمر بالمعروف)
 لا يكون بدونها .

(٢) استقلال الرأى وحرية ، ويكون منه (النهى عن المنكر) ولا يمكن أن يكون
 بغيره .

(٣) استقلال النفس من أسر العادات والاهام النظر والفكر فى مصنوعات
 الله ، ولا يكون الايمان ايمانا على الحقيقه بدونه ثم هذا الايمان هو
 الذى يسند الركبتين المذكورين آنفا ويشدهما ويقم وزنهما الاجتماعى
 فيمثم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بثقه الهية لا يعترضها
 شىء من عوارض الاجتماع التى تعترى الناس من ضعف الطبع
 الأنسانيه (١) .

وقد بين الرافعى أيضا قوام الأنسانيه وهى جملة ما ترمى اليه آداب القرآن :
 الاولى : تعين النسبه الصحيحه فى المساواة بين الانسان والانسان وهو يركز
 على المساواة ويكررها وهو مدرك للفساد الناجم ان فقدتها المسلمون من
 قوة وتسلط تظهر فى المجتمعات ، ويظهرها تتمكن من المجتمع ، ويصبح

مجتمعا مضطربا لا بقاء فيه الا للتنازع . .

الثانيه : حياة هذه النسبه الانسانية فيما يبطل به الأنسان من الخير والشر فتنه حتى لا يحيف القوى ولا يستيئس الضعيف ، ولتنصرف رغائب الامم على تباينها في السياسة والاجتماع ، وما اليها من الهزاهز كالحراب ونحوها ، الا عملا انسانيا يبتغى به دفع اعتداءه واقرار حق ورد باطل وتقويم زيغ .

الثالثه : حد هذه النسبه في الانسان بالقياس الى القوة الازلية ، حتى يتحقق معنى المساواة فيها ، فان كل ما هو أدنى فهو سواء في النسبة الى ما هو أعلى وان اختلف مع ذلك في نفسه وبان بعضه من بعض . ولولا هذا الحد لما أمكن أن يجمع الناس على آداب يكون من غايتها أن تحسب الأنسانيه فيهم ، ان يبعدون هذه الأنسانيه من قلوبهم الى ما وراء انكارها والتكذيب لها ، فلا يبقى لآدابها وجه تعتبر منه أو يؤخذ به في أمرها ومن ثم لا تكون الأنسانيه الا الفلظة والفظاظه في الأقوياء والا الذلّة والمسكنة في الضعفاء (١)

وبعد : فذلك هي آداب القرآن الكريم كما تحدث عنها الرافعي حديث المؤمن المثقف بالثقافه الاسلاميه ، ومقارنا بين جيل الصحابه والروح الاسلاميه التي استطاعوا أن يسودوا بها العالم ، وبين جيل اليوم الذي يتعرض للخطـر بسبب الغزو الفكري ، والافكار الغربيه التي دخلت على المجتمع الاسلامي باسم الحضارة والتطور الذي يتنافى مع (الآداب القرآنيه) .

(١) اعجاز القرآن والبلاغ النبويه مصطفى الرافعي ص ١٠٧-١٠٨

القرآن والعلوم

يتحدث الرافعي في هذا الفصل عن القرآن والعلوم ويذكر أن للقرآن وجهها اجتماعيا من حيث تأثيره في العقل الأنساني ، وهو معجزة التاريخ العربي خاصة ، ثم هو بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على سبيل هذه الأرض من ظهور الاسلام الى ما شاء الله (١) .

ثم يوضح الرافعي أهمية القرآن الكريم في العالم الذي لولاه لكان العالم غير ما هو فيه من حيث التقدم وانسباط العقل ، والنهضة العمرانية ، واحتفاظه ببقائه علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها .

ويؤكد أن القرآن أساس العلوم والنهضة الاسلاميه وقد بدأت العلوم تنشأ من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن ، وباختلاط المسلمين بالاعاجم بدأت السكتهم تجنح الى اللحن وتزيغ عن الوجه في الاعراب ، ومن ثم خيف على سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي الأصل الثاني بعد القرآن ، وعم الجهل بأمر الدين ومن هذا المنطلق قامت الدراسة والعناية بالقرآن الكريم ، فاعتنى قوم بضميط لغاته وتحريير كلماته . . . وغيرها .

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الاسماء والافعال والحروف وغيرها ، واعتنى المفسرون بالفاظه ، واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظريه فاستتبطوا منه ، وسموا هذا العلم بأصول الدين وهناك طوائف اهتمت بمعاني الخطابه ، وفي التخصص والاختصاص ، والحلال والحرام ، وقصص القرون السالفة ، والحكم والأمثال والنواعظ ، وآية المواريث ، آيات الليل والنهار ، ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وما الى ذلك فيما يتعلق بعلوم الشعر .

ويبين الرافعى أن هذه العلوم تدفع بعضها بعضا فى التعميم
وأنها تسير الى غاية واحدة وهدف واحد هو تحقيق الاسلام ثم يبين اشارة
القرآن الى نشأة هذه العلوم فيقول :

((وقد أشار القرآن الى نشأة هذه العلوم والى تحصيلها وغايتها على ما وصفناه
آنفا وذلك فى قوله تعالى : (سترهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد)) ؟ ولو جمعت
أنواع الأنسانيه كلها ما خرجت فى معانيها من قوله تعالى :

((فى الأفاق وفى أنفسهم)) هذه أفاق وهذه آفاق أخرى ، فان لم يكن
هذا التعبير من الأعجاز الظاهر بداهة وليس يصح فى الأفهام شىء)) (١) .

ان الله سبحانه وتعالى قد حقق وعده لعباده وأنه سيطلمهم
على كل شىء من خفايا الكون ومن أنفسهم على السواء ووعدهم أن يريهم آياته
فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم طريق الحق فى هذا الكتاب ومنهج
ومن أصدق من الله حديثا واستطاع الخلق أن يعرفوا أشياء كثيرة عن العلوم
ومنهم من أهدى ومنهم من انحرف .

ثم يبين أن ادلة اعجاز هذا الكتاب الكريم هى أن يخطئ الناس فى
بعض تفسيره على اختلاف الصور لضعف وسائلهم العلمية ، ولقصر حبالهم أن . .
تتعلق بأطراف السموات او تحيط بالأرض .

هذه هى كلمات الرافعى فى القرآن والعلوم حية نابضة بالايان العميق
والثقافة الدينيه ، التى تظهر فى هيامه بالقرآن وعنايته بدراسته دراسة عميقه
من روح قباضه بالايان الشدى الذى تطلبه كل نفس تؤمن بالله ايمانا حقيقيا .

حقيقة الإعجاز

تحدث الرافعي عن اعجاز القرآن وأنه أمر لا تبلغ فيه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس التي تلك تأتي أو جهة ، وإنما هو أثر من الآثار الإلهية ويوضح —
اعجاز القرآن فيقول ؛

((فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه ، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية فليس شيء ، فهي باقية ما بقيت ؛

ثم يوضح الحالة الكلامية التي كان عليها العرب قبل نزول القرآن ، ووصلت إلى حد التهذيب اللغوي ، واجتماعها على نمط القرشية ما يروونه مثال الكمال وبذلك قامت عندهم ملكة الكلام ، ولكنه بقي بلا ملك حتى جاءهم القرآن .

وعندما جاء القرآن سفه أحلامهم ، ونكس أصنامهم ، وأذرى عليهم وعلى آباؤهم الأولين ، وقام عليهم باللوم والتأنيب (١)

وهم أهل الحمية ، وأهل النفوس التي تصب كالمعاني في الألفاظ ، وذهب بذلك كله والغي عاداتهم وشرائعهم وقوانينهم وكان أول جيل منهم أن تناول مفتاح العالم فأداره في أقفال الأرواح وخرج للغايه التي جاء بها القرآن الذي يكبر أن يكون حياة لروح عصره الذي أتزل فيه فلا يستطيع أن يقول باعجازه في زمن الجاهلية فقط بل هو معجز لكل زمان .

أسلوب القرآن

تحدث الرافعي عن أسلوب القرآن فذكر أن أسلوب القرآن هو مادة الاعجاز العربي في كلام العرب كله وهو الذي قطع العرب عن المعارضة ، وأعتقلهم عن الكلام ، وظلهم بالحجة فتركهم يتلأون ، وأظهر لهم العجز في طباعهم من الضعف والتخادل .

وذلك لما في القرآن من طرق النظم ، ووجوه التركيب ، ونسق الحروف في كلماتها ، والكلمات في جملتها . ونسق هذه الجملة في جملة ، ما حيروهم في أنفسهم ، من هيئة رائعة وروعة مخوفة ، وخوف تقشعر منه الجلود حتى أنهم أحسوا بضعف الفطوة اللغوية ، وتخلف الملكة المستحكمة ، ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه . وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب أو اعتراض ساعة إلى هذه النفس إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم وأطلع على قلوبهم ، لقد عرف العرب كل الخصائص القرآنية فاستياسوا من حق المعارضة .

وقد نزل القرآن منهم منزلة المتحدى وذلك بأن أتوا بعشر سور مثله إلى سورة واحدة مثله ، ولكنهم عجزوا وان أستطاعوا فسيكون كسليمة الذي أراد أن يمارض ولم يستطع إلا بالمقابلة الكلمة بالكلمة والوزن بالوزن كما فعل في قوله تعالى

((انا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وأنحر)) (١)

قال فيها :

((انا اعطيناك الجماهر ، فصلى لربك وجاهر))

ولم يزه هذا القول إلا أن جعل مثلا للحاققة ولن يستطيع مخلوق أن يمارض القرآن الكريم ما دامت قوة الخلق ليست في قوة المخلوق ويتضح ذلك في قوله تعالى :-

((قل لئن أجمعتم الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) (١)

وقد حقق الله وعده في هذه الآيه وأظهر عجز الخلاق على الأتيان
بمثل هذا القرآن رغم أن أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على التقليل والمرونة
والتأويل . بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها العصـور
المختلفة فهو يفسر في كل عصر وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم الا الفطرة
وفهمه من جاء بعدهم من الفلاسفة ، وأهل العلوم ، وزعماء الفرق على ضرب
من التأويل (٢) .

(١) سورة الاسراء آيه (٨٧)

(٢) اعجاز القرآن والبلاغ النبويه - مصطفى الرافعي ص ١٨٨ - ٢٠٨

نظم القرآن

تحدث الرافعى فى هذا الفصل عن أسلوب القرآن الذى كان سبباً ،
لا نقطاع العرب دونه ، وانخذ اليهم عنه ، فوضح أن هذه الأسباب لا يمكن أن يكون
شىء منها فى كلام بلقاء الناس من أهل هذه اللغة ، لأنها خارجة عن قوى
العقول وجماع الطبائع ، ويقف أمامها كل بليغ مستشعرا العجز والوقوف دونها
ثم وصف القرآن بأنه خميسر الحياة العربية ، وهو من اللغة كالروح الالهية التى
تستقر فى مواهب الأنسان ، فتضمن لآثاره الخلود ، ثم يوضح تركيب الكلام
فى القرآن بقوله :-

((والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة حروف هى من الأصوات ، وكلمات هى من الحروف
وجمل هى من الكلم . وقد رأينا سر الاعجاز فى نظم القرآن يتناول هذه
كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التى قامت به ، فليس
لنا ببد فى صفته من الكلام فى ثلاثتها جميعا (١) .

وبعد ذلك قسم هذا الفصل الى ثلاثة أقسام تحدث فيها بالتفصيل

عن :-

(١) الحروف واصواتها .

(٢) الكلمات وحروفها .

(٣) الجمل وكلماتها .

وسأتحدث عن كل قسم منها باختصار :

الحروف وأصواتها

وصف الرافعى بحالة العرب عندما قسروا عليهم القرآن ، وأنهم رأوا حروفهم في كلماته وكلماته في جملته ، الحانا لغوية رائعة ، كأنها في اختلافها وتناسبها قطعة واحدة ، ورأوا أنفسهم أمام أمر لا قدرة لهم عليه ، وكان ذلك أبين في عجزهم ، حتى أن من عارضه منهم كمشيتم في خرافاته التي ما حسبها نظاما موسيقيا أو بابا منه طوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية ، وإنما هي في أوزان الكلمات وأجرام الحروف دون ما عداها ، وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب إلا أن يكون وزنا من الشعر والسجع (١) .

(١) اعجاز القرآن والبلاغ النبويه مصطفى الرافعى ص ٢١٢

الكلمات وحروفها

بدأ الرافعى هذا الفصل حديثه عن الكلمة التى هى صوت النفس ان أن صوت النفس أول الأصوات الثلاثة ، فى تركيب النسق البليغ ، حتى تتجمع أسباب اجتماع الكلام بين الألفاظ ومعانيها ، وبين هذه المعانى وصورها النفسية فيجرى مجرى الارادة ، واذ وصل الكلام الى منزلة الارادة ، فقد وصل الى النفس ، وأصبح كالروح الحية ، تبادرك بالروعة ، كما تبادر الحياة لكل جسم حى .

وأن الأصل فى نظم القرآن أن تعتبر الحروف بالأصوات والحركات ومواقفها من الدلالة المعنوية ، ولذلك يستحال أن يكون فى تركيب القرآن ، ما يدل على أن فيه كلمة زائدة او حرفا مضطربا أو ما يجرى مجرى الحشر والاضطراب أو ما يقال فيه تفوت واستراحة .

ولذلك صارت الفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق

اللفظة .

ومن هنا يظهر أن القرآن أستعمل بعض الالفاظ الطويلة فى عدد حروف الكلام ولكنه رغم ذلك جاءت محكمة لا اضطراب فيها ولا خلل ولا استكراه وفى ذلك يقول :-

((وقد وردت فى القرآن الفاظ هى من أطول الكلام عدد حروف ومقاطع ما يكون مستثقالا بطبيعة وضعه أو تركيبه ، ولكنها بتلك الطريقة التى أوأنا اليها قد خرجت فى نظمه مخرجا سريا ، فكانت من أحضر الألفاظ حلاوة وأعدبها منطقا وأخفها تركيبيا ، ان تراه قد هيا لها أسباب عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات ، فلم يجرها فى نظمه الا وقد وجد ذلك فيها كقوله : (ليستخلفنهم فى الأرض)) فهى كلمة واحدة من عشرة أحرف وقد جاءت عدببتها من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها ، فانها بذلك صارت فى النطق كأنها أربع كلمات ؟ ان تنطق على أربع مقاطع ، وقوله : (فسيفكفكم الله) فانها كلمة من تسعة أحرف ، وهى ثلاثة

مقاطع وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المد هو سـ

الفصاحة في الكلمة كلها (١)

هذا بعض من السر الذي أوضحه الزاقي للكلمات وحروفها في القرآن

الكريم ، ولأن هذا القرآن يحمل في كلماته وحروفه أسراراً عميقة في النفس

البشرية له تأثير في الأطمئنان النفسي والصفاء الروحي في مخاطبة الوجدان

واستثارته وهزه الى اعماق الاعماق .

الجمال وكلماتها

تحدث الرافعي في هذا الفصل عن الجملة التي هي مظهر الكلام وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي ، التي معان صورتها في نفسه أو تصفها ويكون هذا له تأثير في النفس وكأنه مادة مصورة ، تفيض النفس منها على الحواس اقامة ، مستفيضة ، وتجعل هذا الانسان من الاحساس به كأنه قلب كله ، ومما لاشك فيه أن تأثير جمل القرآن هو هذا التأثير الذي يجعل الانسان عندما يسمعه ويخشع له كأنه قلب ، وان من أسباب القوة لبقاء هذا القرآن معجزا هي الارتقاء الذي هو كائن في الخلبة والتميز والانفراد حيث وجدت .

فلو جاء القرآن مثل كلام العرب في الطريقة والذهب لذهب كما ذهب

أكثر كلام العرب .

وقد أوضح الرافعي أن نظم القرآن يجري على استواء واحد في تركيب

الحروف من أصواتها ومخارجها . وفي ذلك يقول :

((ان طريقة نظم القرآن تجرى على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها ، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة ووصفتها ، ثم الاهتمام فيه بوضعها من الكلام ، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات ، لا يتفاوت ذلك ولا يختل ، فمن أين يدخل على قارئه ما يكذب لسانه او ينبو بسمعته ؟ أو يفسد عليه اصغائه أو يردده عما هو بسبيله ، أو يشتت حساسه ويتوزع فكره ، أيورده الموارد من ذلك كله أو بعضه ، الا أن يكون هذا القارئ ربيضا لم تفلح فيه رياضة البلاغة ، ولا أجدى عليه التمرين والدرسه ، فخرج الف اللسان بليد الحس متراجع الطبع ، لم يبلغ مبلغ الصبيان في احساس الفريزة وصفاء هذه الحاسه واطراد هذا الصفاء .)) (١)

ومن هنا نعرف أن نظم القرآن يجتمع في الثلاث الاسباب السابق ذكرها ولكنها كومت معنى موحدا في بقاء هذا القرآن وخلوده واعجازه وشميزه ، -
وان كل معنى من المعاني السابقة كان له دور كبير في اعجاز القرآن وتملكه النفس البشرية به ، وفي التعمية اليها انسيابا روحيا يجعل قلوب المؤمنين الخاشعين مطمئنة لذكوره تشهد فيه راحتها واطمئنانها وتناجي به ربها بكلمات
لمارعة طالبة الصغرة والرضوان .

تحدث الزافعى عن موضوعات أخرى كثيرة اكتفى بالاشارة اليها

خشية الاطالة ، منها وهى :-

(١) قراءة التلحين ، أنواع الايقاع ، مبتدع التلحين ، ترجيع النبي يوم

الفتح ، التغيير فى الشعر .

(٢) الأحرف السبعة :-

حديث الاحرف السبعة . القراءات والفروق اللغوية ، عدد (السبعة)

فى كلام العرب .

(٣) مفردات القرآن :

غريب القرآن - اعراب القرآن - الالفاظ المعريه .

النظائر والافراد .

(٤) تأثير القرآن فى اللغة :

نسق القرآن - تطور اللغات بتطور أهلها - القيافة اللغوية ، والاستدلال

بالقرآن على حال العرب . اجتماع العرب على لغة القرآن الميزان اللغوى

خلود العربيه . اتصالها بمادة العلم ، اقامة الحروف وصحة الاداء .

(٥) سرائر القرآن

الآيات الكونية والعلميه فى القرآن . مسألة العلم .

(٦) التجردى والمعارضة :

مفاخرة تنتهى الى خذلان ، أو الدعوة الى الاسلام .

حكمة التجردى : التدرج فى التجردى ، مذاهب العجز - انما يعمل به بشر ،

معارضو القرآن فيما زعموا - مسيلة الكذاب . الاسود العنسى - طليحة

الاسدى (عصبية الدم) - سجاج التميمية - النضر بن الحارث . ابن

المقفع (المعلقات) ابن الراوندى - المتنبى - المعرى

(٧) احكام السياسة المنطقيه على طريقة البلاغة :

الاعجاز المنطقى : (الفيلسوف ابن رشد ، تحقيق المعنى واستبراء غايته

العقل والهام - البيان والعقل والشهور . بعض ما أياس العرب -

المعرضة . القرآن هو نفس الوحي وذلك تمام اعجازه .

اجتماع كلامه وقلته - صلى الله عليه وسلم

=====

وصف الرافعى اجتماع كلامه - صلى الله عليه وسلم وقلته بقوله :

((ومن كمال تلك النفس العظيمة ، وغلبة فكره - صلى الله عليه وسلم - على لسانه قل كلامه وخرج قصدا في الفاظه ، محيطا بمعانيه ، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها : فلا ترى - الكلام الفاظ ولكن حركات نفسية في الفاظ (١)))

ثم أوضح الرافعى كثرت الكلمات التي أنفرد بها - صلى الله عليه وسلم - دون العرب ، وكثرت جوامع كلمه ، وخلص أسلوبه ، فلم يقصد في شىء ، ولم يبلغ في شىء ، واتسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراد مرید لعجز عنه .

هذا الانفران الذى أنفرد به - صلى الله عليه وسلم - بالكلمات الكثيرة دون العرب ، ما كان باعثا على عجب اصحابه ، ويروونه طبقه هذا اللسان ، وطراز بحسنه انسان ، حتى أن ابا بكر رضى الله عنه قال مرة : لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ، " أى علمك " قال : أدبنى ربي فأحسن تأديبى (٢)

وان هذا لا يعنى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يطيل ولكن حسب ما يقتضيه المقام فقد شاهده - صلى الله عليه وسلم - وخطبه الطوال فى المواسم الكبار ، لا رغبة فى الطول ، ولا اظهارا للكثير ولكن ان كثرت المعانى كثرت الالفاظ وانا كثرت الوجوه افتن فى تكثير الالفاظ وان حذف فضوله بفائسة الحذف ولم يكن الله ليعطى موسى لتام ابلاغه شيئا لا يعطيه محمدا ، والذين بحث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيان واللسان (٣)

(١) ، (٢) : اعجاز القرآن والبلاغة النبويه مصطفى الرافعى ص ٣٠٠ - ٣٠١

(٣) اعجاز القرآن والبلاغة النبويه مصطفى الرافعى ص ٣٠٤

نفي الشعر عنه - صلى الله عليه وسلم -

=====

ولقد أفاض الرافعي القول في قضية كانت ولا زالت حديث مؤرخي الأدب
تلكم هي قضية الشعر وموقفه عليه السلام من نظمه ، وقرر أنه لم ينظم ولم يشأ أن -
ينظم بيتا واحدا ، وذلك هو قوله تعالى " وما علمنا الشعر وما ينبغي له " .

ويحلل الرافعي عدم انشاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للشعر -
بأنه لو كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - شاعرا لذهب مذاهب العرب التي
تبعث عليها طبيعة أرضهم من التكلف ، والمنافسة ، والمجاراة ، وهذه الأمور
تدفع بعضها بعضا منا يصرف عن الدعوة ، وإنما هو جعل للنبوة ولفضائل القرآن
وقد هيأه الله سبحانه وتعالى لهذه الرسالة العظيمة وللقيام بأعبائها والانصراف
عن كل ما هو دونها ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - " لما نشأت بغضت السي
الأوثان وبغضت إلى الشعر ولم أهم بشيء ، ما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ،
فعمنى الله منهما ثم لم أعرد " .

وهنا تتجلى الحكمة الإلهية في عدم قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -
الشعر وبغضه له وللأوثان حتى لا تغلب عليه الفطرة ولا يجد في نفسه لهما منزعا .
ولكن هذا لا يعني تحريم الشعر إذا كان دفاعا عن الحق وفي الأغراض
المشروعة . وقد أقر الرسول - صلى الله عليه وسلم - شعراءه على نظمه كعبد الله
بن رواحه ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، للدفاع عن الدعوة ومانحة
كيد أعداءها . (١) .

تأثيره في اللغة صلى الله عليه وسلم

=====

لقد نشأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قريش التي وصلت إلى مرتبة عالية من الفصاحة والبلاغة وهم أهل وعشيرته ، وقد تأدب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بآداب القرآن ، وبذلك أستطاع صلى الله عليه وسلم أن يكون على حد الكفاية في قدرته على الوضع يقول الرافعي في ذلك :

" فلا جرم كان - صلى الله عليه وسلم - على حد الكفاية في قدرته على الوضع والشقيق من الألفاظ ، وانتزاع المذاهب البنيانية ، حتى اقتضب الفاظ كثيرة لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد في مثقدم كلامهم ، وهي تعد من حسنات البيان ولم يتفق لاحد مثلها في حسن بلاغتها ، وقوة دلالتها وغرابه القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها وكلها صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي كله كقوله " مات حتف أنفه " و " الآن حمى الوطيس "

والثانيه ؛ في الأوصاف المفردة ، مما يكون مجازه مجاز الایجاز والاقتضاب ، وهذا الباب كانت تنصرف فيه العرب بالاشتقاق والمجاز ، فتضع الألفاظ وتنقلها من معنى الى معنى ، غير أنها في أكثر ذلك ، إنما تتسع في شيء موجود ولا توجد معدوماً ، فلم يعرف لأحد من بلغاتهم وضع بعينه يكون هو انفراد به واحده في اللغة (١)

ولم يقتصر تأثير الرسول - صلى الله عليه وسلم - في اللغة على ذلك فحسب ، بل هناك بعض الكتب الغريبة التي كان يبعث بها إلى قبائل العرب ، ويخاطبهم بلهجاتهم ، وهي خاصة بهم وبمن يداخلهم ، وما لاشك فيه ان ما هداه لذلك هو فطرته السليمة وطبعه القشويوم وتأدبه بآداب القرآن الذي جعل له منزلة عالية من الفصاحة والبلاغة ومن أمثلة ذلك كتابه - صلى الله عليه وسلم - لوائيل ابن حجر الكندي أحد أقبال حضرموت ومنه :

" إلى الأقبال العباهلة ، والأرواع المشابيب "

وفيه : وفي التبعة شاة لا مقورة الألياط ، ولا ختناك ، وأنطوا الشجسة
وفي السيوب الخمس ومن زنى مم شيب فخرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ، ولا غمه
في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام وائل بن حجر يترفل على الاقيال (١) .

نسق البلاغة النبويه

=====

وصف اليرافعى فى هذا الفصل بلاغة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حيث نسق البلاغة من جميع الأوجه التى لم تتفق لبليغ من البلاغاء من جهة الصناعتين اللغويه والبيانيه ، حيث أنه مسدود اللفظ محكم الوضع ، جزل التركيب متناسب الأجزاء ، فى تأليف الكلمات .
وفى الثانية : حسن المعروض ، بين الجملة ، واضح التفصيل ظاهر الحدود جيد الوصف ، متمكن المعنى .

أما من حيث اللغة فهى لغة الفطرة التى تصدر عن أفصح الناس بياناً ، وأبلغهم نكاهاً ، والهياماً ، ثم وضح اليرافعى أن كلام البلاغاء مهما بلغ منزلة عالية من الفصاحة والبلاغة يبدو كما هو وجهه هذا على أن كلام البلاغاء مهما تفاوتت نضجاً وحلاوة لا يبلغ الثمرة التى أثمرتها بلاغة السماء فى القرآن الكريم ثم بلاغة الأرض فى كلامه - صلى الله عليه وسلم - ، وأن كلامه غير متكلف ولا مثنوع ولكنه عفواً بديهه .

ثم شرح الاضاح التى أتى بها الرسول - صلى الله عليه وسلم -
موضحاً بلاغته ونسقتها مستعرضاً الأمثلة المختلفة من كلامه - صلى الله عليه وسلم -
وهذا يؤكد بلاغته واتساقها فلا عجب لان الرسول - صلى الله عليه وسلم -
قد تأدب أيضاً بأداب القرآن الكريم (١) .

(وبعد) فهذا قليل من كثير مما أحاط به اليرافعى فى مباحثه عن القرآن الكريم واسلوبه البليغ الذى أعجز العرب عن محاكاته حيث أثبت بالحجة الدافقة والمنطق السليم انه فوق أساليب البشر ، ومن ثم كان العجز عن التحدى من جانب العرب وهم فرسان البيان والحق أن اليرافعى ذاك الايمان العميق واليقين

الراسخ ، قد نصب نفسه ههنا وفي غير هذا المقام ، للدفاع عن هذا الكتاب
الساوي المقدس ولغته العربية الخالصة فضلا عن تعاليمه السمحة ، ومبادئه
السامية التي تهدي للتي هي أقوم .

وكذلك نرى الرافعي في البلاغة النبوية ، يظهر صفات الرسول - صلى
الله عليه وسلم - بأسلوب أحياناً وقد استطاع الرافعي أن يجلي عن نفسه في
هذا الموقف فوفق أيما توفيق ، وما نظن احداً من المعاصرين قد نافع من
الاسلام كما نافع أو بلغ شأوه في هذا المجال فجزاه الله عن رعاية القرآن ولغته
خير الجزاء

كتاب تحت راية القرآن

المعركة بين القديم والجديد

والرد على طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي "

لقد دارت المعركة بين القديم والجديد ، وكان يمثل هذه المعركة مصطفى صادق الرافعي ، وطه حسين ، وكانت المعركة تدور بين أنصار الجديد من أبناء الجيل الذين ينادون بالجديد في كل شيء ، وبين المحافظين الذين يتمسكون بالقديم ، وفي نفس الوقت لا يرفضون الجديد مطلقا ، بل يظلون منه على يسائر قواعد اللغة ، ويحفظ لها طابعها الأصيل ومن ثم كانت المعركة حامية وكان الخلاف واسع النطاق ، وخلاف في الرأي والأسلوب ، وخلاف في الفهم والحياة وفي تناولهم للأدب والدين واللغة ، هذا بالإضافة إلى أن كلا منهما لديه سبب كامن في نفسه ، وقد كان الرافعي شديد اللدغ قويا في الممارك والخصوم ويلتقي مع طه حسين في الجهد والدعوة إليه سلامه موسى (١) وكانت المعركة تتمثل في أربعة كتب هسي :-

- (١) مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين ،
- (٢) اليوم والغد لسلامه موسى
- (٣) المعركة بين القديم والجديد مصطفى صادق الرافعي
- (٤) كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين (٢)

(١) معارك طه حسين الأدبية والفكرية سامح كريم ص ٢٩٧ - ٢٩٨
(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢ محمد محمد حسين ص ٢٢١

مستقبل الثقافة في مصر

لقد كتب الدكتور طه حسين ((كتاب مستقبل الثقافة في مصر)) بمسود
أن حققت مصر شيئاً من الاستقلال على أثر معاهدة ١٩٣٦ ، وقد شعر أن عليه
مسئولية الاسهام في تبصير الشباب بواجباتهم ، وفي تحديد ملامح الشخصية
المصرية ، وموقفها من الثقافات العالمية ، وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى
في مصر وذلك بما يحمله من آراء لا تتفق مع المصريين ودينهم وعروبتهم : :

وتتضمن بعمق آراء الكتاب الأمور الآتية :

(١) طلبه من المصريين أن يسيروا سيرة الأوربيين ليكونوا لهم اندادا يقول

في ذلك :

((وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون
لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها
وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو —
خادع أو مخدوع)) (٢) .

(٢) تصوير العرب بأنهم غزاة دخلاء لا يطمئن اليهم المصريون وفي ذلك
يقول :

((والتاريخ يحدثنا كذلك ، بأن رضاها عن السلطان العربى بعد الفتح
لم يبرأ من السخط ، ولم يخلص من المقاومة والثورة وبأنها لم تهدأ ولم
تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون ،
وفي ظل الدول المختلفة التى قامت بعده)) (٣) .

(١) كتاب مستقبل الثقافة في مصر ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٦

(٢) مستقبل الثقافة في مصر طه حسين الفقرة ٩ ص ٤٥

(٣) نفس المصدر المرجع الفقرة (٣) ص ١٦

بادخال مجموعات مختلفه من الافكار والآراء الغربية اليونانية والباطنية والاحادية
والاباحية فى مختلف المجالات وكانت أدامه الى ذلك الصحافه والتأليف
والمحاضرة ، والعمل فى الجامعة ووزارة المعارف وفى الأحزاب السياسية
وكانت الأحزاب السياسية والصحافة هما الاطار الذى يتحرك فيه التفطية خطوة
ومواجهة المعارضة والترصد ازاء خطوة أهل الاصاله والحمله عليهم فى

عنف (((١)

(١) طه حسين - حياته وفكره فى ضوء الاسلام - أنوالجندى الطبعة

الاولى ١٣٩٦ - ١٩٧٦م ص ١٦٧

اليوم والغد

=====

يتضح هدف سلامه موسى في كتابه " اليوم والغد الذي يقول في

مقدمته :-

" كلما أزدت خبرة وتجربة وثقافة توغخت أمامي أغراض الأدب كما أزالته فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا فاني كلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقى بها وزاد شعوري بأنها منى وأنا مشها ، هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب " (١)

يتضح في هذا النص مدى كراهية سلامه موسى للشرق وموقفه العدائى منه ، وعلان كفره الصريح بالشرق ، وإيمانه العميق بالغرب ، ويدعو كذلك الى تحرير المرأة وخروجها الى مضمار العمل جميعها حتى لا تتناسب مع طبيعتها كالطيران والقضاء ، ثم يتطرق سلامه موسى الى الأدب الذي يريدده أن يكون أديبا أوربيا تسعا وتسعين بالمائه ، ثم يقوم على المعنى والقصد لا على اللفظ كما كان الحال عند العرب ، وكذلك يريد أن تكون الثقافة ثقافة أوربية لكي يفرس حب الحرية والتفكير الجري ، وبعد ذلك يتطرق سلامه موسى الى الدين ويهاجمه في أكثر من موضع ، وهو بذلك يهدم أركان الأديان عامة والاسلام خاصة ، ويتحدث عن مسألة التعليم ، وهو يريد أن يكون التعليم أوربيا لا سلطان للدين عليه ، ولا دخل له فيه وكذلك يعرض آراءه عن الحكومة التي يجب أن تكون في رأيه ديمقراطية ، وأن يعاقب كل من يجعلها مثل حكومة هاروق الرشيد أو المأمون ، أو تقراطية دينية ، ثم يتعرض للشريعة الاسلامية

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين ج ٢ ص

في أحكامها التي أنزلها الله ، فيتحدث عن تعدد الأزواج وبينه
الطلاق الا بحكم المحكمة ، ويعاقب بالسجن كل من يتزوج اكثر من امرأة (١)

ان سلامة موسى بلا شك يريد أن يضع شريعة ومنهاجا ودينا جد يسد
ليسير العالم عليه ويعطى نفسه حقوقا ليست له . . .

كل هذه الافكار الهدامة التي أظهرتها بعض المؤلفات التي تشكك
في العقائد الاسلامية ، وتحط من قدر اللغة العربية ، هي التي دعوت
مصطفى صادق الرافعي الدفاع عن الدين واللغة العربية ، وتتلخص هـــــــ
الأسباب في مراحل ثلاث هي :-

(١) المرحلة الأولى :

ظهور المؤلفات التي يتضح فيها التشكيك العقائدي ؛
بعد ظهور هذه المؤلفات التي يتضح فيها التشكيك في كل ما هو
اسلامي واعلان الحرب على المظاهر الاسلامية التي أرادوا أن يضعفوا
من شأنها بظهور الأفكار الهدامة التي تعتمد على العقل الأوربي
الذي تأثروا به الكتاب وجاءوا والابناء أمتهم المسلمين بالافكار التي لا تتفق
مع المبادئ الاسلامية السليمة .

(وهناك خطوه ثانيه للبعد عن الاسلام ، وهي خطه الانفلات من كل
ما هو عربي وتبني دعوة غريبه تفصل بين مصر وبين العرب بصفحة
خاصة وبينها وبين الشرق بصفحة عامه ، واصحاب هذه الدعوة
أسموا أنفسهم ، أو أسماهم الناس دعاة المصريين وهم :

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين ج ٢

الاستاذ لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور
طه حسين والاستاذ سلامة موسى . وهذا الأخير قاسم مشترك حسب
التعبير الحسابي ومتطوع تحت الطلب لكل أمر ينال من الاسلام أو من
اللغة العربية .

المرحلة الثانية :

=====

التشكيك في عروبة الشعب المصري :

ان الصراع القائم لم يقف عند حد التشكيك العقائدي وانما تجاوزه الى
التشكيك في عروبة الشعب المصري وهذا من شأنه أن يضعف العقيدة
الدينية عند الشعب المصري ، ويضعف الشعور بالعروبة ، ومن هنا
يصبح شعبا بلا دين يحميه وبلا تاريخ قوى ينتقى اليه فينسلخ من جلده
ويبتعد عن كيانه وذلك بما يدخل في روعه بأنه فرعونى تارة ، وتارة
أخرى بأنه أوربى ، وفي أضعف الأيمان أنه شعب من شعوب البحر
الابيض .

المرحلة الثالثة :

=====

التآمر على اللغة العربية في شكل الدعوة الى العامية :

ان المرحلتين السابقتين من أخطر المراحل في تدمير معنويات الشعب
المصري وتجرده من كل ما هو اسلامي وعربي وهذا يعني ضياعه وضياعه
يعنى نجاح الاستعمار في فرض سلطته التي يريد لها على الامم العربية
الاسلامية ، فهم يريدون انسانا ضعيفا حتى يستطيعوا أن يسيطروا عليه

سيطرة كاملة يحققون أغراضهم ومطامعهم التي يريدونها ، ومن هذا المنطلق بدأوا في الدعوة الى العامية أو تشويه اللغة العربية بالتخلص من الأعراب لحساب الاستعمار ، استهدفا لعزل سلطان القرآن الكريم على القلوب ، وكان عملاء المستعمرين أول من نادى بفكرة الدعوة الى العامية ، وترك اللغة الفصيحة ، ولكن هذه الدعوة لم تجد آذانا صاغية عند المصريين ، لان الشعب الاسلامي العربي لا يتجرد من أصله بأبواق الدعاية الاستعمارية ، ولان هذا الشعب يتمتع بأصالة عربية دينية ، فالمسلم الحقيقي لا يستجيب لنداء الكاثوليك للدين ، ومنذ القديم والمعروف أن العربي يرفض الذل فهو دائما يدعو الى العلاء لكن الاستعمار الخبيث كان يبيت سموه في قطع من الحلوى حين دعا رجلا انجليزيا كان يعمل مهندسا للرى الى محاضرة القاها في كلوب الأزبكية تحت عنوان هو " لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن " وقال في معرض محاضرتة " أن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عنده المصريين استبقائهم للغة العربية الفصحى وأشار بإغفالها واستبدال العامية بها اقتداء بالامم الاخرى وضرب مثلا بالأمة الانجليزية التي تركت اللاتينية واستبدلت بها اللغة الانجليزية الحديثه (١) .

ما هو المذهب الجديد :

في هذه الممارك، الفكرية بين الكتاب الذين تأثروا بالاستعمار وبدوا - ينادون بما رسمه لهم تظهر قوة الرافعي الفكرية متصدية لكل من أراد أن يقلل من شأن هذه اللغة وان الله سبحانه وتعالى جعل هذا الكتاب محفوظا الى قيام الساعة كما قال تعالى ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) (٢)

(١) مصطفى صادق الرافعي كاتبها عربيا ومفكرا اسلاميا . مصطفى الشكعة

الطبعة الثانية ص ١٧ - ٢٩

(٢) سورة الحجر آية (٨)

وسخر الله الرافعى ليكون قوة مدافعة عن هذه اللغة ويرد عليهم

فيقول :

((فالمذهب القديم اذن هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها ، وأن تكون هذه الأسفار القديمة التي تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمان منزلة أمة العرب من الفصحاء ، وأن يكون الدين العربى لا يزال هو هو كأنما نزل به الوحي أمس لا يفتننا فيه علم ولا رأى وأن يأتى الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين ، اذ لا يزال منها شىء قائم كالأساس والبناء ولا منفعة فيها معا الا بقيامها معا)) (١)

ثم يتساءل الرافعى عن المذهب الجديد فى نظر من يدعون اليه أهى المقابلة فى نظرهم اذا كان المذهب القديم الا بغير فالاسود هو الجديد واذا كانت الفصاحة والحرص على ميراث التاريخ ، والقانون الطبيعى للفضيلة الاجتماعية ، واهمال القومية ، وترك الواجبات والشكر لجلودنا أنها ليست أوربية كل هذا جديد لان ذلك قديم ؟ أم هناك حقيقة ثابتة معدودت مخفيت على عظمها وخطرها فى هذه اللغة خفاء أمريكا فى هول المحيط حتى بعث الله لها فى أيامنا هذه من يرميها ببصره فكشفها وسماها وكان منها المذهب الجديد وكانت أياه)) (٢)

ثم يمضى الرافعى فى طريقه موضحا العصور التاريخية التى مرت باللغة ولم يسم أحد فى هذه العصور مذهباً جديداً الا الذين عادوا من أوروبا متشبعين بروح الترجمة ، وعانوا الى العربية بطبع ضعيف ومادة واهنة . .

(١) تحت راية القرآن . مصطفى الرافعى ص ١١

(٢) تفحص راية القرآن من الورج المنقوش ص ١١-١٢

اختلاف الرافعى مع المجددين :-

الرافعى يرى المجددين فى ضمائرهم ويضع مقارنة لاصحاب الضمائر
اذ ليس من الممكن أن يكون فى الملحد ضمير مؤمن ولا فى الفاجر ضمير تقى ،
ولا فى المستهتر ضمير ورع لذلك يجب على الأمه أن تأخذ حذرهما منهم .

ثم يبين أن هؤلاء المجددين نادوا بمذهبيهم الجديد ، وذلك لأن الأدب
تعطل وأصبح صحفيا ، مما قلل شأن الأدب وأصبح هؤلاء الادباء يعتبر كـ
بنفسه ومن هنا جاء المذهب الجديد .

والرافعى لا يرفض الجديد بل يسير فى ركابه اذا كان هذا الجديد
للملم والتحقيق وتمحيص الرأى والابداع فى المعنى ، وتبقى اللغة على أصالتها
العربية ، وأن يكون التفطن (طرائق) مختلفه يقول فيها :-

((كما قيل مثلا فى ابداع القاضى الفاضل الذى سموه الطريقة الغامضية))
هذه الطرق التى أقرها الرافعى مع بقاء الجوهر الاصلى للغة العربية بدون محو
أو اثبات شيئا ليس منها (١) .

ثم يذكر كثرة الاراء والمعقول المفكرة بلا قيد ولا شرط ولا بد للتفكير السليم
أن يكون مقيدا بشروط حتى لا تتدخل الالهواء وكل من أراد أن يضع مذهبا أسماه
" مذهبا جديدا " لذا يجب أن تكون علة الاجتماع مقيدة " بالاديان " ثم تحدث
عن دعاة المذهب الجديد " بأنهم أرادوا أن يكتب الكاتب فى العربية منصرفا
الى المعنى والغرض تاركا اللغة وشأنها .

والرافعى يرى أنه لا بد من الحرص على الأصل الصحيح القوى حتى تأتى
الام ، وتبنى عليه وتزيد ، أما اذا بنى على أصل فاسد فان الاجيال القادمة
ستجد اصلا فاسدا وتبنى عليه وهكذا الى أن تضع اللغة العربية (٢) .

(١) تحت راية القرآن . مصطفى الرافعى ص ١٥٠ .

(٢) " " " " " " ص ١٧٠ .

الجملة القرآنية

=====

المستعمر دائم الكيد للاسلام بطرق شتى سواء كان عن طريق الحيلة
والمكر والدهاء أو عن طريق الاغراء وغزو العقول بالمظاهر الخداعه فهـو
لا يلبث أن يترسص بالمسلمين وقد أستطاع أن يحقق ما يريد وذلك بسبب
استجابة بعض أبناء المسلمين لارائه وأفكاره ونشرها ، ولكن الله قد قيض من
أبناء هذه الأمة من يقف لهم بالمرصاد ويورد كيدهم في نحورهم .

ها هو مصطفى الرافعى يتنبه الى ذلك عندما نشرت احدى الصحف
التي تصدر في أمريكا الكلام على " رسائل الأحزان " بأن الرافعى لو ترك " الجملة
القرآنية " والحديث الشريف ونزع الى غيرها لكان أدبيا عظيما وله مذهب وحده .

وقد تنبه الرافعى الى هذا الخطر وكانت هذه الكلمة " الجملة القرآنية "
نورا جديدا ملأت فكر الرافعى وأنارته وأظهرت له بأن وراء هذه الكلمة كيدا
للفة القرآن وتقليلا من شأن اللغة العربية فزادته حماسة وقوة ليمضى فى طريقه
ليكون نصلا قويا فى وجوه أعداء الاسلام . (١)

ثم يرجع الرافعى السبب فى ضعف الأساليب الكتابيه والنزول باللفظة
دون منزلتها الى ثلاثة أسباب هى :

(١) مستعمرون يهدمون الأمة فى لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها
الذى هى أمة به ولن تكون أمة الآيه ، ان هذا المستعمر يريد أن يجرد
الأمة من أساسها وماضيها حتى تصبح بلا كيان ولا هدف ، أما من ناحية
النشأة الأدب فهم يدير يدون على مثل منهج الترجمة الانجيليه والانطباع
عليها وتصويج اللسان بها ، واما جهلا بها أو ضعفا ، ثم يقول ليس
كل كاتب يبلغ منزلة من البلاغة ، ولا كل من أوكل الى نفسه صناعة تبغ

فيها ، وأستطاع أن ينسب نفسه اليها ، وان عد في طبقة من أهلها ،
ثم تحدث عن الكتابة ، وأن لها أدواتها ، وكذلك درجاتها فمنها الأعلى
والأوسط وما دون ذلك ، ويتساءل الرافعي هل من الرأي أن نعين المستعمر
على خصائصنا ومقوماتنا وفي ذلك يقول :

((أفمن الرأي أن نعين المستعمرين على خصائصنا ومقوماتنا ، أو نتخذ في
اللغة أديانا شتى ، أو نجعل قياس العلم من الجهل في بعضه ، والضعف
عن بعضه والا فماذا بقى بعد هذه الثلاثة ما يفسح له جانب العذر ان نحن
قلنا بمذهب جديد في اللغة)) .

ويتحدث الرافعي عن رجال كان لهم الفضل الاكبر أمثال السيد جمال -
الدين ومحمد عبده وعلى يوسف البارودي والمويلحي وغيرهم ، في دفع الاستعمار
عن اللغة ببلاغتهم ، وأساليب الفصاحة ، وجعلوا أقلامهم والسنتهم وعقائدهم
حفظا للغة من الانتقاص أو الزوال (١) .

أما الرد على الدكتور طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي)
فقد أفرد له الرافعي مقالات عدة ومنها :

(قال انما اوتيته على " علم " بل هي فتنه) .

(١) تحت راية القرآن - مصطفى الرافعي ص ٢٨ - ٢٩ .

قال انما أوتيته على "علم" بل هي فتنه

=====

كتب الرافعى هذا الموضوع عند قراءته لكتاب " فى الشعر الجاهلى " للدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ساخرا متهمكا من طه حسين بقوله :

" بأنه لا يستطيع أن يدعى أنه شاعر ذو مكاثة أو كاتب ذو فن ، وإذا لم يكن كذلك فلن يبقى له شىء " ، لان تاريخ الأدب قائم على الشعراء والكتاب ، وهو فى ذلك يرجع الى طبع ضعيف لم تحكه صناعة ولا راضته مذاهب الخيال ، ولا عهد له بأسرار الالهام التى صار بها الشاعر شاعرا ، والكتاب كاتبا ، وما هو من ذلك الا خلط يسقى علما ، وجرأة تكون نقداً وشاحل يصبح رأيا ، وتقليد للمستشرقين يسميه اجتهادا (١)

ثم يوضح الرافعى أن الجديد فى نظره حسين هو (الشك) ومعنى ذلك عند الرافعى أنه العجز عن تقرير نص جديد ، وإذا لم يستطع فقد هبسه الشك فى القديم يقول فى ذلك :

((ومعنى ذلك أنك اذا عجزت عن نص جديد تقرره به شيئا جديدا فشك فى النص القديم فحسبك ذلك شيئا تعرف به ومذهبها تجادل فيه ، لان للمنطق قاعدتين احدهما تصحيح الفاسد بالقياس والبرهان ، والأخرى افساد الصحيح بالجدل والمكابرة (٢) .

تناول الرافعى منهج البحث فى كتاب الشعر الجاهلى بالنقد والسر على الدكتور طه حسين الذى يقول أنه سيسلك طريق المحدثين من أصحاب الفلسفة أمثال ((ديكرت)) يقول الدكتور طه حسين فى كتابه " فى الادب الجاهلى "

((أريد أن أقول اني سأسلك في هذا النوع من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة .
أريد أن أصطنع في الأرب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الاشياء في أول هذا العصر الحديث - (١) .

ويقول أيضا :

((نعم ايجب حين نستقبل البحث عن الأرب العربي وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها ، وأن ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها ، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية) (٢) .

يشكر الرافعي هذا القول على الدكتور طه حسين الذي يريد أن ينسى عواطفه القومية ، وكل مشخصاتها ، وينسى عواطفه الدينية وما يتصل بها ، وهذا منتهى الجهل في نظره لان من (نسي دينه) وقوميته تاركا كل ما يؤكد ويثبت اثباتا قاطعا حقيقة هذا الدين ، ناهبا مذهب الشك في حكمه على الاشياء ناسيا دينه في رده على هوار كليمان المستشرق الفرنسي الذي زعم أنه اهتدى الى مصدر عربي من مصادر القرآن ، هو شعر أمية بن أبي الصلت "الذي يجب أن يكون النبي قد استعان به كثيرا وقليل في نظم القرآن" كما جاء في كتاب طه ، كبرت كلمه تخرج من أفواههم أن يقولون الاكذبا ثم يتساءل الرافعي في انكار شديد كيف أن طه حسين يسكت عن الرد على هوار في زعمه أن القرآن - من نظم النبي ويقول :

((ليس يعني هنا أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا يكون ، فالأمر عنده على حد الجواز كما ترى ، وليس يعنيه أن يكون دينه ودين أمته صحيحا وكذبا))
ثم يقول الرافعي أنه يلتبس العذر لطه حسين ان كان أمام من أئمة البلاغة ، ويكون هذا الكلام رأى رأه ، وان كان الحادا وكفرا ، ولكنه ليس كذلك ، وانما كلامه

(١) الادب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ٦٧

(٢) " " " " " " ص ٦٨

عن القرآن كلام من (نسي دينه) يقول الرافعى :

(على أن كلامه في هذا الكتاب عن القرآن الكريم كلام من (نسي دينه) يسئل كلام من لا دين له ، فلمس في الأمر عنده معجزة والاعجازه ولا تنزيل (١) .

ثم يواصل الرافعى التهمك والسخرية والنقد اللاذغ بالدكتور طه حسين الذى يزعم في كتابه بأن عقله يجد في الشك والقلق لذة والاضطراب رضا ثم يذكر أقوال الدكتور طه حسين ويرد عليها بالأدلة والايات المقنعة التى تدل على سعة ثقافة الرافعى وأنه حقيق لأدب الفكر الاسلاميه وحامي حقى الاسلام السنى يدافع بقلمه الذى يعد سيفاً لامعاً في معركة تحتاج الى شجاعة وقوة وكان ارادت السماء حرمة من حماسة السمع لتعرضه عنها رجحانا وثورا فكريا .

يقول الرافعى عن طه حسين :

((وأنه من فئة (حسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقيناً ، وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لا شك فيه - صفحة ٦ - فهو لا يجد نفسه ممن أولئك الذين قال الله فيهم (ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم - وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) (٢) .

بل كره الله الايمان وزينه في قلبه القلق والاضطراب والشك ، ولو تعلم أن كتابه والحاده حديث بينه وبين نفسه أو بينه وبين مثل (كازانوف) لأهملناه ثم لما كان حكمة عندنا الا ما قال الله تعالى :-

((ومن أبصر فلنفسه ومن عى فعليها) (٣)

ويوضح الرافعى اسباب الرد على طه حسين وذلك لان آراءه وكلامه تلقى على طلبة الجامعة ، وبذلك يكون طه حسين مسؤول عن ازاعة عقيدة ماتتسى

(١) تحت راية القرآن - مصطفى الرافعى ص ١٤٦ - ١٤٧

(٢) سورة الحجرات آيه (٦)

(٣) سورة الانعام آيه (١٠٤)

طالب ، والرافعى يدعو أئمة الدين أن يدركوا عقائد أبنائهم واخوانهم ، والا كانوا شركاء مع الجماعة فى اثم وغواية طلابها (١) .

ثم يرد عليه بعنف وقوة عندما تحدث عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وعنف الرافعى قد أتى فى موضع المناسب لان طه حسين يتعرض للقرآن أو - التشكيك فى شىء من نصوصه يستحق أن يتصدى له كل من يؤمن ايمانا حقيقيا بدافع من دينه وحرصا على عقول أبنائه هذه الأمة من الضياع والتأثر بأرائهم وقد ذكر الرافعى اقواله ثم رد عليها فحينما قال فى صفحة (٢٦) (للثورة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ويزود هذين الأسمين فى الثورة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودها التاريخى فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل وابراهيم الى مكة قال : وتعتبر مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودى والقرآن من جهة أخرى ، حينما قال ذلك هاجمه الرافعى فى الرد هجوم المدافع عن دينه وعن عقيدته الاسلامية ، المتحدث بصدى ايمانه العميق ، وقد اخذته الغيرة الدينية على المقدسات الاسلامية ، فيقول :

فانظر هذه الوقاحة فى قوله (للقرآن أن يحدثنا) كأنه زعم زاعم لــــه أن يقول وأن لا يقول ، واذا لم يكف النص فى كتاب سماوى تدبر له الأمة كلها لاثبات وجود المنصوص عليه فما بقى معنى لتصديقه .

المستشرقون أساتذة طه حسين ، تحدثوا عن القرآن ، وقالوا بأنــــه من كلام النبى - صلى الله عليه وسلم - فهو عندهم مثل أى كتاب ، فى موضع النقد والتحليل لانهم ليس لديهم عقيدة دينية تحمليهم على تصديقه والايمان به ،

فيدخلون عليه ما يدخلون على كلام الناس من الخطأ والغفلة والحيلة والكذب والرافعى بتركهم سوار كهيمنان زعمه وما شاء فيه من ظنون وأوهام تتعرض للقرآن الكريم وفي ذلك يقول :

((فله أن يزعم ما شاء ولكن ليس علينا أن نصدق أو نطمئن ، وإذا هو ذكر اثنين

من الأنبياء ، وإذا هو ورد فيه قوله تعالى :

((وان يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)) (١)

فذلك غير كاف في نظر الجامعة المصرية لاثبات أن ابراهيم واسماعيل شخصان كان لهما (وجود تاريخى) ولا أنهما هاجرا الى مكة ورفعوا قواعد البيت الحرام وبنيها الكعبة اذن فالقصة في رأى الجامعة المصرية من الأساطير الموضوعية وما يلتحق بحبل الروايات التي يشدون بها المعانى الاجتماعية والسياسية والتاريخية ، ويؤتى بها في الرواية على أنها من الكذب الفنى توصلنا الى سبك حادثة او تقرير معنى أو شرح عاطفة .

ويوضح الرافعى بأن العرب لا يعدون اليهود منهم ، وان كانت **الرافعى**

واحدة ، ولغتهم واحدة ، لذلك هم ليسوا بحاجة الى الكذب والنفاس وفي ذلك يقول :

((أولا يعلم استاذ الجامعة أن النصوص الواردة بأن العرب لا يعدون اليهود

منهم ، وان كانت الدار واحدة واللغة واحدة ، فما حاجتهم الى حيلة روايات

سخيفة ، وهم لم تفصل طباعهم على طباع طه حسين ، ليكذبوا وينافقوا وهم

يعلمون أنهم كانوا منافقون ، على حين أنهم مستيقنون أن اليهود أهل كتاب

وعلم فلا يقبلون من أمة جاهلة أن تضع لهم التاريخ ، ثم كيف دخل هذا الكذب

واندست هذه الحيلة في القرآن ؟ نبئونى (يعلم) ان كنتم صادقين) (٢)

(١) سورة البقرة الآية (٢٦) .

(٢) تحت راية القرآن . الرافعى (١٥٢)

وقد رد على طه حسين في ذلك أيضا السيد محمد الخضر حسين في كتابه
" نقض كتاب في الشعر الجاهلي " بقوله :-

((ورود اسى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في القرآن يكفى لاثبات وجودهما
التاريخى ، وأخباره عنهما بأمر يكفى للدلالة على وقوعه ، وهو بالطبيعة يكفى
لاثبات وجودهما التاريخى ، وأخباره عنهما بأمر يكفى للدلالة على وقوعه ، وهو
بالطبيعة - يكفى هذه الامم التي خالط قلوبها الايمان بأن الرسول المرسل
بالآيات البينات لا يقول على الله الا الحق ، اما الذين لم يبصروا بدلائل
نبوته ، ولم يقبلوا وجوههم في سيرته ، فليس من شأنهم الاكتفاء بخبر القرآن ولا أن
يدلهم ورود اسم شخص فيه على وجوده التاريخى ، فلم يكن لهذه الكلمة المستعارة
من " ذيل مقالة في الاسلام " وجه يشفع لورودها في هذا النسق ، فان المسلمين
حقا يزدرئونها ، وغير المسلمين لا ينتفعون بها ، ولا نرى لها من شأن غير اغواء
النفوس التي لم تبلغ في ادراك الحقائق أشدها .

قصة اسماعيل وابراهيم كانت تدور بين العرب أيام جاهليتهم ، ثم ساقها
القرآن على وجه محكم وبيان ساطع ، ومن حاول الجهر بانكار ما تتداوله قلوب
أمة ويقرره كتاب تدوين بصدق أمم ، كان حقا عليه أن يسلك مسلك ناقدى التاريخ
فبين للناس كيف كان نبأ الواقعة مخالفا للمعقول أو المحسوس أو التاريخ الثابت
الصحيح ، ولكن المؤلف لم يسلك في انكار هذه القصة طريقة نقد التاريخ
فيحدثنا لماذا لم يسمها عقله أو كيف وقع حسه على ما يبطلها ، أو من أين
سمع أن مؤرخا قبل صاحب " ذيل مقالة في الاسلام " قال ما يناهضها . ان لم
يكن مع المؤلف سوى عاطفة غير اسلامية تزوجت تقليد الا يرى فحملت بهذا البحث
وولدت على غير مثال " (١)

ويقول الاستاذ في صفحة ٢٨ : فقريش اذا كانت في هذا العصر ناهضة نهضة
مادية تجارية ، ونهضة دينية وثنية ، وهي بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن
توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة .
ويحلل طه حسين قصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بأنها اسطورة وتعلق
العرب بها ونسبتهم اليها يعود الى أن العرب يبحثون عن نهضة جد يذلها
تاريخ قديم ، يتصل بالاصول العربية التي تتحدث عنها الاساطير . وفي ذلك
يقول :

" وان فلين ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه "الاسطورة" التي تفيد أن -
الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم - كما قبلت روما قبل ذلك ، ولأسباب مشابهة
" أسطورة أخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة بانينيا من بن برهام صاحب
" ظروادة " .

يحلل الرافعي قول طه حسين هذا بأن قبول قريش هذه الاسطورة الخرافية
التي تثبت أن الكعبة من بناء اسماعيل وابراهيم ، معنى هذا أن هذه الاسطورة
كانت رائجة قبل الاسلام فلما جاء الاسلام أخذها الرسول - صلى الله عليه
وسلم - لانه منهم ، وبذلك تجزم الجامعة المصرية أن في القرآن كذبا وتلفيقا
لان الاسطورة ((كما يقول أستاذها صفحة (٢٩)) حديثة العهد ظهرت قبل
الاسلام وأستغلها الاسلام لسبب ديني " أي فهي كذب صريح يعلم الاسلام أنه
كذب ويتغفل به العرب لسبب ديني فماذا بقى من هذا الدين الذي يتناول
الخرافة المخترعة قبل الاسلام بقليل ويوردها في كتابه على أنها منزلة من السماء
وأنها وحى يوحى ؟)) (١) .

وبواصل الرافعي الرد العنيف على طه حسين بواقع من حميته الدينية
وغيرته الاسلامية على الدين والدفاع عنه بقلمه الحاد ، وبصيرته النافذة

من روحه المخلصه لهذا الدين الذى جعله الله باقيا الى أن يطوى الأرض ومن عليها وفي ذلك يقول ((وتاما على هذه الخرافة يقول أستاذ الجامعة فى صفحة (٨٠))) فهو يعنى القرآن - يذكر التوراة والانجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى ، وهو يذكر غير التوراة والانجيل شيئا آخر هو صحف ابراهيم ، ويذكر غير دين اليهود والنصارى دينا آخر وهو مله ابراهيم . هو هذه الحنيفية التى لم نستطع الى الآن أن نتبين معناها الصحيح ، واذا كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ولم يكن أحد قد احتكر مله ابراهيم (تأمل !) ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها ، فقد أخذ المسلمون يردون الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم * (١) .

ينكر الرافعى هذه الاقوال على طه حسين فيقول :

أهم المسلمون الذين زعموا هذا أم نزل فى قرآنهم كما فى قوله تعالى :

(ثم أوحينا اليك أن اتبع مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (٢)

ويواصل الرد عليه بقوله :

فاذا كان ذلك من فعل المسلمين فالقرآن كذلك من صنعهم عند أستاذ الجامعة وهذا الاستاذ يشير بالحنيفية التى لم يفهم معناها الصحيح الى ما ورد فى الحديث من قوله - صلى الله عليه وسلم - بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقد تكررت هذه اللفظه فى الحديث ، فكيف سمعها العرب ورواها العلماء ولم يفهموها ، وكيف يكون ذلك وهى مبنية على آيات كثيرة وروى فى القرآن مثل قوله تعالى :

((ميا كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما)) (٣)

وقوله : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع مله ابراهيم حنيفا) (٤)

(١) تحت راية القرآن مصطفى الرافعى ص ١٥٤

(٢) سورة النحل آيه ١٢٢

(٣) سورة آل عمران آيه ٦٩

(٤) سورة النساء آيه ١٢٥

وتظهر ثقافة الرافعي الواسعة في شرحه " لمعنى (الحنيف) في قوله :
إن معنى الحنيف انما هو الذي مال عن الشرك والتشبيه والتجسيد مما يزعمه
اليهود والنصارى والمشركون ، والحنف في اللغة : الميل ، وكان العرب يقولون
في كل من تعبد واعتزل الأوثان : أنه تحنف وكل من حج واستقبل البيت
سموه حنيقا ، لأنه بيت ابراهيم ، ثم توسع الاسلام في الكلمة على سنته فسمى
الألفاظ الاسلاميه المعروفة ، فالمعنى الصحيح للحنيفية أنها الشريعة النقيصة
التي لا شوب فيها من الالحاد والشرك ، والتي تعدل بالناس الى الله وتوجهه
الخلق الى الخالق وحده ، وانظر كيف يقول الله : ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ثم يزعم أستاذ الجامعة أن قصة ابراهيم " حيلة " في اثبات الصلة
بين اليهود والعرب ، وبين الاسلام واليهوديه وبين التوراة والقرآن
فهل في الجهل أوسع من هذا)) (١) .

ويستطرد الرافعي في استنكاره وعجبه من طه حسين الذي يقول :

في صفحة (١٢٦) (القرآن وحده هو النص العربي القديم الذي يستطيع المؤرخ
أن يطمئن الى صحته ويعتبره شخصا للمصر الذي تلى فيه " .

فأين الشك الذي ابتلى به هذا الرجل ، وكيف يستطيع على قاعدته في

البحث والتحليل " ووضع علم المتقدمين كله موضع الشك " أن يثبت هذا القول ؟
وهل هو يجهل أنه كان قبله بزمن بعيد قوم " يجدون في الشك لذة وفي القلق
والاضطراب رضا " وهم الراضية ، وقد شكوا في نص القرآن وقالوا انه وقع فيه
نقص وزيادة وتغيير وتبديل ؟ ((٢))

والرافعي يتساءل اذا كان الحكم للشك في هذه الأمور ، والى تعليقات

براهها كل من يكتب ، اذن الى أي اتجاه يسير طلبة الجامعة ؟ أيؤمنون بقاعدة

(١) تحت راية القرآن . مصطفى الرافعي ص ١٥٤-١٥٥

(٢) " " " " " " ص ١٥٥-١٥٦

الشك التي قدرها أستاذهم ؟ أم يصدقون الرافضة ؟ وما الذي يجعل طه
أصدق منهم ؟ أو يجعلهم أصدق منه ، طالما أن الأمر فيه مذهب الشك والتعسف (١)

ويوضح الرافعي اعتقاد طه حسين في أن القرآن يمثل العصر الجاهلي

ويستخدم الأدلة والحجج في الرد عليه فيقول :

" يمتدد الاستاذ أن القرآن يمثل العصر الجاهلي " وبشخصه " وأنه أصدق مرآة

للحياة الجاهلية - ص ١٦ - وأن العصر الجاهلي القريب من الاسلام يضع

وأنا نستطيع أن نتصوره تصورا واضحا قويا صحيحا ، بشرط لا نعتمد على

الشعر ، بل على القرآن من ناحية والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى - ص (٢)

ويتابع ذكر آراء طه حسين عن القرآن الذي وضعه في موضع الشك، وأصبح هذا

الكتاب المقدس يتأرجح في رأيه بين الآراء الكثيرة التي يراها والتي تنبع من شكه

لا من عقيدته إذ يقول في صفحة ٨٣ : " ليس يعني أن يكون القرآن تأثر

بشعر أمية - ابن ابي الصلت - أولا يكون) (٤)

يقول الرافعي :

" ان القرآن عند هذا الرجل أشبه بالكتب التي يضمها المؤلفون فتكون تشيلا

للعصر الذي وضعت فيه لأنه صادرة عن فكر متأثر بالاسباب الكثيرة التي أنشأت -

العصر ، نشأته الخاصة به والمميزه له مؤثرة بهذه الاسباب عينها فيما يضمه

ويؤلفه ، كما ترى في الياذة هو ميروس مثلا ، واذن فلم يبق معنى لما ورد فيه

من أنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٤)

ويلتحق هذا ومثله " بالاساطير التي استفلها الاسلام لسبب ديني " .

(١) تحت راية القرآن مصطفى الرافعي ص ١٥٥-١٥٦

(٢) ، (٣) نفس المرجع ص ١٥٦

(٤) سورة فصلت آية (٤١)

وتظهر جرأة الرافعي الدينيه بواقع الأيمان العميق ، ولم يكتسب
بالرد على طه حسين بل نراه يتصرف للجامعة المصريه في عقيدتها لأنها
وافقت على رأيه ودرسته الطلبة وامتحتنتهم فيه ثم يتساءل في سخريه عن علم
طه حسين في قوله تعالى :

" من بين يديه " وقوله " من خلفه " هذه بلاغة السماء التي هي معجزة الله في
أرضه ، والتي يسجد لها كل بليغ لأنه مدرك لما في هذه المعجزة من معاني ،
ويوضح معنى الآية شارحا لها بما أوتي من سعة في العلم وبصيرة في تفسير
وتحليل آيات القرآن ، ويذكر أن القرآن لا يشخص عصرا ، ولا يمثل بل هو كتاب
كل عصر ، وهو الثابت على كل علم وكل بحث وكل اختراع واستكشاف على مدى
الآزمنة في أيها جاء ما سيستأنفه التاريخ وهذا معنى " من بين يديه " وأيها
ذهب ما يطويه الماضي وهذا معنى من خلفه وذلك ان العصور يصح بعضها
بعضا .

ويكشف بعضها خطأ بعض ، وقد يتقرر في زمن ما يثبت بعد أزمان
طويله أنه كان خطأ فقله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)^(١) فمن
الكلمات التي لا تخطر بفكر انساني يظن أنه يشخص العصر الجاهلي ، بل هي
علم من لا يعلم غيره أن ستجد أمور وتحدث علوم وتمحص تواريخ وتنشأ مخترعات
فلو فهم الجاهل لما تكل الا الفاهم ، وقد قال الله في أشباه طه حسين^(٢)
(وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا) (٣)

يقول الدكتور طه حسين بأن القرآن يمثل لنا الحياه الدينيه القويمه
التي تدعو أهلها الى أن يجادلوا ما وسعهم الجدل .
(فالقرآن اذن يمثل أصدق تمثيلا للحياة الدينيه عند العرب من هذا الشعر
الذي يسمونه الشعر الجاهلي .

(١) سورة فصلت آية (١٠١)

(٢) تحت راية القرآن . الرافعي ص ١٥٦ - ١٥٧

(٣) سورة الروم آية (٩)

ولكن القرآن لا يمثل الحياة الدينية وحدها ، وانما يمثل شيئا آخر

غيرها لانجده في هذا الشعر الجاهلي :

يمثل قدرة على الجدل والخصام أنفق القرآن في جهادها حقا عظيما . أليس
القرآن قد وصف أولئك الذين كانوا يجادلون النبي بقوة الجدل والقدرة على
الخصام والشدة في المحاوره وفيهم كانوا يجادلون النبي بقوة الجدل والقدرة
على الخصام والشدة في المحاوره ؟ وفيما كانوا يجادلون ويخاصمون ويحاورون ؟
في الدين وما يتصل بالدين من هذه المسائل المعضلة التي يتفق الفلاسفة
فيها حياتهم دون أن يوفقوا لحلها : في البحث - في الخلق في امكان
الاتصال بين الله والناس في المعجزة وما الى ذلك) (١)

ويرد الرافعي على الدكتور طه حسين بأنه جاهل في زعمه أن القرآن

يمثل للعرب حياة عقلية قوية في الجدل الديني والفلسفي ، لانه وصفهم
بشدة الخصام ، وبأنهم كانوا يجادلون ويخاصمون ويحاورون في الدين وما يتصل
به من هذه المسائل المعضلة التي يتفق الفلاسفة فيها حياتهم .

ثم يضع الرافعي اللوم الشديد على الجامعة المصرية التي تركت طه

حسين يدرس فيها ويطلبه أن يذكر له مجلسا واحدا من هذه المجالس العربية
الفلسفية وما دار فيه من البحث والتحقيق والجدل والخصام والمحاورة في
معضلات الفلاسفة التي ينفقون فيها حياتهم ، حتى يصدق أن معنى اللدد -
والخصام الوارد في القرآن صفة للعرب .

ويؤكد بما يذكره لنا من تعرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - للاذى

من المشركين حالة العرب في ذلك الوقت وأنهم لجئوا الى ابداءه بطريقة بدائية
لا تدل على الاحتجاج والمجادله والمنطق وسعة الفلسفة والثقافة ان أنها لو
كانت لديهم تلك الحجج لعمدوا اليها ثم يواصل تهكمه بقوله :

« من حججهم الفلسفية كانت تلك الحجارة التي نص التاريخ على أنهم كانوا يقذفون بها النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى اضطروه الى أن يحتسب بالحائط - الى الأنواع الاخرى من الايذاء التي تلقاها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المشركين من نثر التراب على رأسه ، وقولهم بأنه شاعر وساحر وكذاب ومجنون ونحوها ما يدخل في باب الحمق والسفاهة والاستهزاء . » (١)

ثم يقول : " ومتى كانت هذه من صفات الفلاسفة يا شيخ الجامعة " ويوضح طريقة الجدل التي استعملها المشركون مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين كان يدعو قبائل العرب ، ويتلو على قومه القرآن ، ويحبه عنه عبد المزي يقول من وراءه .

((يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب " ويبين مجالس العرب حينما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو الناس ويتلو عليهم القرآن يأتي عالمهم وتكلمهم النضر بن الحارث ، فيخلفه في مجلسه ، ويقص على الناس من أخبار ملوك فارس ويقول :

والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه الا أساطير الأولين اكتتبها
كما اكتتبها) (١)

يرد الرافعي على طه حسين الذي يقول بأن العرب لم يكونوا في عزلة سياسية بل هم أصحاب سياسة ، ويستشهد على ذلك بسورة الروم ، والرافعي يظهر خطأ طه حسين في تفسير الآيات التي تدل على العلم بالغيب لا على ما في العرب وفي ذلك يقول :

((والطاقة الكبرى في صفحة ٢٢ ان يزعم الاستاذ أن وجود سورة في القرآن تسمى سورة الروم ، دليل على أن العرب لم يكونوا في عزلة سياسية بل هم أصحاب سياسة

متصلة بالسياسة العامة وقد أخذت ذلك من قوله تعالى :

(ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفليون في بضع

سنين) (١)

وكأنه كان يعني أن هذا التاريخ كان مصروفا في أهل السياسة من العرب وفي وزارة خارجية قريش . فأخذ القرآن عنهم كما زعم الرجل فسي إبراهيم واسماعيل ، وغفل أستاذ الجامعة الذي لا يفهم قوله تعالى (وهم من بعد غلبهم سيفليون) فلم يدر أن هذا انباء بالغيب يدخل في باب المعجزة لا في باب التاريخ ولا في باب السياسة فذكر الروم في القرآن وما يجري مجراها في قصص الأمم اعجاز من النبي الأمي في هذه الأمة الأمية ، فهو بذلك دليل على جهل تلك الأمة ويداوتها لا على علمها وحضارتها ، ولن يكون القرآن دليلا على علم العرب وحضارتهم ومعرفتهم بالتاريخ واتصالهم بالسياسة كما يقرر طه حسين في الجامعة الا اذا كان القرآن كلام النبي (الذي جاء به لم يكن وحيا وتنزيلا فلتنظر الجامعة أين يذهب أستاذها الخبيث في قوله في ص (٢٣)) وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن قد ظهر في أمة جاهلة همجية) وهل نصدق طه فيما يستنتج بفكره العقيم من أن العرب كانوا أمة متحضرة راقية . وكانوا أصحاب علم ودين وسياسة متصلة بالسياسة العامة * أو نصدق النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب * ومن أين تجي الحضارة ويأتى العلم وتستقيم السياسة مع جهل (الأمة) بالكتابات والحساب) (٢)

ثم يواصل الرافعي استنكاره ونقده اللادغ للدكتور طه حسين ويحاول أن يظهر أفكاره وأخلاقه وطباعه ويرميها بالاضطراب والزيغ ويألب الجامعة على طه حسين . وأنه يجب عليها حماية طلبتها من ~~أن يجهلوا من الاستاذ~~ ~~ها~~

(١) سورة الروم آية (١ - ٢)

(٢) تحت راية القرآن . المعركة بين القديم والجديد مصطفى الرافعي ص ٦١ - ٦٢

حتى لا يكون سببا في زيغ الطلبة الذين يتلقون عنه العلم ثم يتحدث عن عميد الكلية ويقول انه لا يعلم شيئا من أمور الدين ، ولكن إذا كان هذا شأنه فماذا يقول في الاستاذ البليغ مدير الجامعة الذي أسمه أحمد () وبعد نشر هذا المقال نهض العلماء لمحاربة الاحاد في جميع المعاهد الدينية ان أنهم أكدوا الاحاد استاذ الجامعة وجهله وخطئه .

عصبية طه حسين على الاسلام

=====

لقد أثار الغرب في طه حسين ما جعله يتعصب على الاسلام وذلك بالظمن على القرآن ، وعلى الرسول بأنه رجل سياسى وتوهين أمر الأئمة من الصحابه ، ان طه حسين يتعرض لاهم مقدسات الاسلام والتي على أساسها يقوم هذا الدين وتبنى دعائمه .

وقد لخص الرافعى عصبية طه حسين على الاسلام في ثلاثة وجوه :

أولها عقيدته في القرآن وأنه من وضع الذى جاء به لا من وحى ولا تنزيل ولا معجزه .

وثانيها رأيه في النبى - صلى الله عليه وسلم وأنه رجل سياسى فلا نبوة ولا رسالة . وثالثا عله في توهين أمر الأئمة من الصحابة فمن بعدهم وقياسهم في الانسانية وأهوائها وشهواتها على قياس نفسه وطباعه . .

فأما القرآن فقد أفردنا له مقالا أفتضح به أستاذ الجامعة أشد فضيحة - وأخزاها ، ونزيد عليه هنا أن الأستاذ يقول في صفحة ٨٥ في الرد على المستشرق (هوار) الذى زعم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أخذ من شعرا مية بن أبى الصلت واستعان به في نظم القرآن : " من الذى يستطيع أن ينكر أن كثيرا من القصص القرآن كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى - وبعضه عند العرب أنفسهم ، وكان من اليسير أن يعرفه غير النبى ، ثم كان النبى وأمية متعاصرين ، فلم يكون النبى هو الذى أخذ من أمية ولا يكون أمية هو الذى أخذ من النبى " .

ثم يتصدى الرافعى لظه حسين في هذه الاقوال التى يقول أنها تصـور رأى قائلها الذى يتحدث عن القرآن بهذه الصورة وكأنه يقول أن القرآن لا ينقصه أن يكتب عليه تأليف فلان .

وما يزال الرافعي يذكر اقوال طه حسين ويرد عليها بقول طه حسين
في صفحہ ١٨ في بيان أن القرآن ليس في حاجة الى شواهد من الشمـــــــر
على الفاظه ومعانيها عند العرب " تخالفهم أشد الخلاف لان أحدكم لم ينكسر
عربية النبي فيما نعرف " .

ثم يقول في صفحة ٧٦ عن علماء الموالى وعلماء العرب :
" فأرادوا هم (اى علماء العرب) أو الموالى أو أولئك وهؤلاء أن يدرسوا القرآن
درسا لغويا ويثبتوا صحة الفاظه .

ومعانيه ، ولا مرما شعروا بالحاجة الى اثبات أن القرآن كتاب عربى مطابق
في الفاظه للغة العرب ، فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات
القرآن بشىء من شعر العرب يثبت أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل الى
الشك في عربيتها " أنتهى .

أن طه حسين بقوله هذا يبين أن الشعر اكثر عربية من القرآن حتى أن -
العرب تتأكد من سلامة العربية بالشعر وتطابقه على القرآن ، ولكن الرافعى
يوضح أن سبب استشهاد العرب بالشعر لا يراد منه اثبات عربية القرآن ولا هو
من شك في العربية ولا من أمرا ما يقول وانما يراد به اتخاذ القرآن سببا في جمع
مادة اللغة وشواهدا كما كان السبب في وضع العلوم العربية كلها ، أفترى وضع
النحو كان لا ثبات أن القرآن ليس فيه لحن ، أم كان لا قامة الألسنة الزائفة
حتى يسهل عليها الاداة والقراءة ؟ ثم يراد من تقييد تلك الشواهد وجمعها
وتدوينها تفسير كلمات القرآن ليفهمها من يجيئون بعد العرب كما فهمها العرب
أنفسهم ، وظاهر أنه لا سبيل الى ذلك الا بالنصر على معاني الكلمات عندهم ،
ولا ثقة بهذا النصر ان لم يكن عليه دليل من شعرهم ان هو وحده ، المحفوظ عنهم
وهو كان متن اللغة والخبر والأثر ، ولمصرى لولا صنيع العلماء في جمع هذه الشواهد
لقام الف زنديق يضيفون الى مطاعنهم في القرآن أن فيه خطأ في اللغة ، فانظر
أين هذه الحكمة ما يخبط فيه أستاذ الجامعة .

ثم يقارن طه حسين بين القرآن والاليانزة والاوديسا عند اليونان وفي
عناية كل من اليونان والمسلمين بجمعهما وترتيبهما يقول في ذلك صفحة (٩١)
(ان اليونان يقدسون الاليانزة والاوديسا ويعنون بجمعهما وترتيبهما وروايتهم
واذا عتبا عناية المسلمين بالقرآن الكريم) .

يقول الرافعي انه لم يفهم من هذا الكلام شيئا ، لانه يحتمل كل شئ
ولو فسر لنا فسرنا له وأريناه مبلغ جهله وسوء أدبه (١) .

ثم يذكر الرافعي أن طه حسين حين يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم -
لا يوفيه حقه من الاجلال والاكرام الذي يستحقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يبد
لكل قلب يجيش بمشاعر التقدير والاعظام لفضل هذا الرسول صلى الله عليه وسلم
أن يذكر الصلاة عليه .

ولكن لا يعلم أهي غفلة من طه حسين أن يذكر الصلاة على النبي أم أنه
يرى أن ذلك غير ضروري .
يقول الرافعي في ذلك :

(أما رأيي في النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن أعجب ما عجبنا له أنه ما هو
عالم أو كاتب مسلم يذكره صلى الله عليه وسلم الا صلى عليه أو وضع رمزا لصيفة
ولو هذا الحرف (ص) وترى كتاب المسيحيه يأخذون بهذا الأدب في كتبهم العربية
لأن المسلمين يقرءونها ، أما أستاذ الجامعة فكأنه لا يتولى النبي صلى الله عليه
وسلم ولا يحسن عظمته ولا أثره ، فقد ذكره في كتابه مرارا تفوت المد فلم يتأهب معه
ولا مرة واحدة ، فلا بعقيدة المسلمين أخذ ، ولا بمجاملة المسيحيين اقتدى ، بل
طريقته هي طريقة المبشرين بعينها ، تشعرك وقاحة الكاتب وفروره وانتشار
عقده ، مع أنهم قالوا ان هذه الصلاة من الرجل المسلم انما تكون دليلا على خلوص

الأنصار ، أن يعود الى قريش والى مكة مرة أخرى ، قال : والتقى الرماد على هذه النار التي كانت متأججة بين قريش والأنصار وأصبح الناس جميعا - فسي ظاهر الأمر - اخوانا مؤتلفين في الدين " .

وقد حلل طه حسين الاحداث التاريخية من أبي سفيان الى حفيده يزيد وفي نظره ان الحق على الاسلام متوارث من أبي سفيان الذي لم يكن مسلما حقيقيا وانما كان مصانعا ، الى يزيد الذي انتقم من غزوة بدر في موقعة الحرة . وان طه حسين لم يقف عند حد الانتقام فقط ولكنه تدخل في عقيدة يزيد بأنه ليس مسلما طالما أنه ساخط على الاسلام وما جاء به .

يقول في ذلك :

" ان يزيد صورة صادقة لجده أبي سفيان في السخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن " .

ثم يؤكد الرافضي اسلام أبي سفيان بالاحداث التاريخية وبمواقف أبي سفيان التي شهد بها التاريخ وسجلها عنه وفي ذلك يقول :

" فأبو سفيان والصحابه أو أكثرهم منافقون في رأى الجامعة المصرية لانهم لم يكونوا اخوانا مؤتلفين في الدين الا في ظاهر الأمر وأبو سفيان مع ذلك من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم - وقد شهد معه حنيننا والطائف وفقت عينه في هذه ، وهو القائل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد غزوة حنين :

والله انك لكريم فداك أبى وأمى ، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ولقد سالتك فنعم المسالم أنت " أفهذا كلام منافق ينتظر ويتربص ؟

ويشبه الرافضى رأى طه حسين هذا برأى الرافضة ، الذين زعموا أن الصحابه كانوا منافقين في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم (أبا بكر وعمر وأبا عبيده ابن الجراح وجله المهاجرين الانصار) (١)

كتاب الشعر الجاهلي
رأى لجنة العلماء فيه

=====

اجتمعت لجنة العلماء للنظر في كتاب الشعر الجاهلي وما يتضمنه من تكذيب للقرآن الكريم . ووضحت موضوع الكتاب وهو انكار الشعر الجاهلي وأنه منتحل بعد الاسلام وذلك بسبب تجرد طه حسين من دينه وقوميته عملا بمذهب ديكرارت هذا بالاضافة الى ما في الكتاب من روح الالحاد والزندقة التي لا يمكن بحال من الاحوال أن تلقى على طلبة ليس لديهم من المعلومات والثقافة الدينية ما تحميهم من الوقوع في الضلال والزيغ والانحراف عن جادة الصواب وترى اللجنة بأنه اذا لم تحارب هذه الروح الالحادية في التعليم ويستأصل هذا الشر من جذوره وتعقم دور التعليم مما يضلل أبنائها بحجة حرية الرأي أختل النظام واضطربت النفوس لان الدين اساسي كل طمأنينه . وإن كان الكتاب قد وضع في ظاهره لانكار الشعر الجاهلي ولكن المتأمل يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولا لهدم الاديان وبخاصة الدين الاسلامي ، فانه تذرع بهذا البحث الى إنكار أصل كبير من أصول اللغه العربيه من الشعر والنثر قبل الاسلام ما يرجع اليه في فهم القرآن والحديث ، هذا ما يتضمنه الكتاب في جملته .

وقد ذكرت اللجنة مواضع الكفر الصريح في الكتاب والمواضع التي تدل

على الالحاد فيه - ملخصة فيما يأتي :-

(١) انكار المؤلف لهجرة ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وقال ان ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما ويقول أيضا ليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الاسطورة التي تفيد أن الكعبه من تأسيس اسماعيل و ابراهيم .

لقد أسماها طه حسين "أسطورة" نعم قصة ابراهيم واسماعيل التي اثبتها القرآن الكريم ولا مجال للشك والجدل في نصوص أتى بها القرآن

هذا الكتاب السماوي الذي لا يستطيع البشر بأهوائهم المختلفه
أن ينالوه بأي كلمة شك او الحاد الا إذا كان هؤلاء الناس يمشون
داخل كهف معتم من مخيلتهم الفاسده التي انطلق منها مذهب الشك .
في نصوص القرآن التي أوردتها اللجنة في خطابها ذاكرة اقوال القرآن
في الرد عليهم قال تعالى :

((وان يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)) (١) وقوله تعالى
أيضا (وان بؤانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
للطائفين والقائمين والركع السجود) وأذن في الناس بالحج يأتوك
لإجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢) وقوله تعالى
(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهر
بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (٣))

(٢) انكاره للقراءات السبع المتواتره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وانها
عنده ليس واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم في اصول الدين
أن السبع متواتره عن النبي وأن طريقها الوحي وأن منكرها كافر .

(٣) انكاره لأولية الاسلام وأنه يحدد دين ابراهيم بقوله (ص ٨١ وشاعت
في العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة أن الاسلام يحدد دين
ابراهيم وفي الصفحة التي قبلها " أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للاسلام
أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وأن خلاصته أن الدين الاسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحقيق
الذي أوحاه الله الى الانبياء من قبل وهو في هذا يكذب قوله تعالى
(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٤)) .

(١) سورة البقرة الاية ٢٦

(٢) سورة الحج الاية ٢٥

(٣) سورة البقرة الاية ١٢٤

(٤) سورة النحل آية ١٢٢

وقوله تعالى :

(ان أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) (١)
رفعت اللجنة هذا الاحتجاج الى شيخ الجامعة الأزهر وطلبت منه
أن يضع حدا لهذه الفوضى وهذا الالحاد والكفر . وبعد ذلك كتب
طه حسين الى مدير الجامعة المصرية هذا الخطاب :
حضرة صاحب العزة الاستاذ الجليل مدير الجامعة المصرية .

أتشرف بأن أرفع لعزتك ما يأتي :

كثر اللفظ حول الكتاب الذي أصدرته منذ حين باسم : " في الشعير
الجاهلي ، وقيل اني تعمدت فيه اهانة الدين والخروج عليه ، وانسى
اعلم الالحاد في الجامعة ، وانا أوكد لعزتك اني لم أرد اهانة الدين
ولم أخرج عليه ، وما كان لي أن أفعل ذلك ، وأنا مسلم أو من بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأنا الذي جاهد واستطاع في تقوية التعليم
الديني في وزارة المعارف حين كلفت العمل في لجنة هذا التعليم ،
ويشهد بذلك معالي وزير المعارف وأعوانه الذين شاركوني في هذا العمل
وأوكد لعزتك أن دروس في الجامعة خلت خلوا تاما من التصريح للديانات
لأنني أعرف أن الجامعة لم تنشأ لمثل هذا .

وأنا أرجو أن تتفضلوا فتبلفوا هذا البيان من تشاءون وتنشروه حيث
تشاءون وأن تقبلوا تحياتي الخالصة واجلالي العظيم . . (٢)

طه حسين

(١) سورة آل عمران ٦٧

(٢) تحت راية القرآن الرافعي ١٧٣ - ١٧٤

وهكذا استطاع الرافعي بقلمه الشجاع وأفكاره النيرة وثقافته الدينية
يهدي الدين الاسلامي ، وعميق ايمانه وحججه القوية الدامغة في دفع الكفر
والاحاد عن هذا الدين ، استطاع أن يجعل العلماء يطاردون الاحاد ،
وأن يؤلب الامة على الأفكار الهدامة التي أتى بها مسلم عربي من أبناء
الامة الاسلامية ، وأن كان عميدا للأدب وأستاذ له ، ويكفي الامة
الاسلامية فخرا أن تجد في هذا الكتاب الدفاع عن الدين ليكون هو ائمة
الحرب لكل من يتصدى للمقدسات الدينية ، ويحاول النيل منها والتشكيك في
صحتها .

وخلاصة القول ٤

ان كتاب المعركة بين القديم والجديد يمثل معركة التصدي لمن يحاولون
الساس باللغة العربية وآدابها أو يحا ولون النيل من المقدسات الدينية وعلى
رأسها القرآن الكريم ، وتظهر في الكتاب نظرة العنّف والسخرية والتهمك من
الرافعي للمجددين ، ويرد عليهم بعنف وشدة وحجج منطقيه في اقناعهم بفصاحة
اللغة العربية وخاصيتها ليست في الفاظها ولكن في تركيبها ، ومد أن رد على
المجددين تناول " كتاب في الشعر الجاهلي " ورد عليه رأيا رأيا واستطاع أن -
يظهر خطأ طه حسين ، بما أوتي من قوة البيان والحجج القوية ، وكان في هذه
المعركة شديدا عنيفا ، وتبهيثت له الفرصه للنيل من طه حسين بتعرضه للمقدسات
الاسلاميه ، وان كانت هناك أسباب شخصية الا أن تعرض طه حسين للمقدسات

الاسلاميه جعل مركز الرافعى قويا للنيسل ولم يكن الرافعى وحيدا في هذه المعركة بل كان معه رجال من المؤمنين وهم :

" الامير شكيب ارسلان والقاضى الاستاذ عباس فضلى ، والشيخ محمد الخضسر حسين والاستاذ محمد لطفى جمعه ، والاستاذ محمد فريد وجدى ، والدكتور محمد أحمد الفمراوى ، والشيخ محمد الخضرى ، والشيخ محمد أحمد عرفيه ، وكثرة وافرة من علماء المسلمين " (١) .

وكان من ثمره المعركة أن ظهر لولون جديد في أدب الرافعى هو المقالات التى أجراها على لسان كلية ود منه ، ساخرا متهكما من طه حسين حينما بعث معتذرا للجنة العلماء عند ما طالبوه بمصادرة الكتاب . وهكذا تظهر ثقافسة الاديب المسلم فى ردوده التى تتضمن الحجج الدامغة والاستشهاد بالآيات القرآنية .

وان كتاب " المعركة بين القديم والجديد " يضع الرافعى بين كتاب العربية ويجعله رائد الفكرة الاسلاميه فى عصره وفى كل العصور .

ولا غرو أن يكون الرافعى كذلك فقد تتلمذ على يد الامام محمد عبد هوجمال الدين الافغانى ومحمد رشيد رضا وتشبع بأرائهم ، فهب مناظلا عن الاسلام مناظلا خصومه ، وقد تجلى ذلك فى آثاره الدينيه كما رأينا .

(١) مصطفى صادق الرافعى - كاتبا عربيا ومفكرا اسلاميا د . مصطفى الشكعه

ان كتاب المعركة بين القديم والجديد يمثل معركة التصدي لمن يحاولون المساس باللغة العربية وآدابها أو يحاولون النيل من المقدسات الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم ، وتظهر في الكتاب نظرة العنف والسخرية والتهكم من الرافعي للمجددين ، ويرد عليهم بعنف وشدة وحجج منطقية في اقناعهم بفساحة اللغة العربية وخاصيتها ليست في الفاظها ولكن في تركيبها ، وبعد أن رد على المجددين تناول " كتاب في الشعر الجاهلي " ورد عليه رأيا رأيا واستطاع أن يظهر خطأ طه حسين ، بما أوتي من قوة البيان والحجج القوية ، وكان في هذه المعركة شديدا عنيفا ، وتبيئت له الفرصة للنيل من طه حسين بتعرضه للمقدسات الاسلامية ، وان كانت هناك أسباب شخصية الا أن تعرض طه حسين للمقدسات الاسلامية جعل مركز الرافعي قويا للنيل ولم يكن الرافعي وحيدا في هذه المعركة بل كان معه رجال من المؤمنين وهم :

" الامير شكيب ارسلان والقاضي الاستاذ عباس فضلي ، والشيخ محمد الخضر حسين والاستاذ محمد لطفي جمعه ، والاستاذ محمد فريد وجدى ، والدكتور محمد أحمد الفيراوي ، والشيخ محمد الخضري ، والشيخ محمد أحمد عرفه ، وكثيره وافرة من طماء المسلمين " (١) .

وكان من ثمرات المعركة أن ظهر لون جديد في أدب الرافعي هو المقالات التي أجراها على لسان كئيبة ودمية ، ساخرا متهكما من طه حسين حينما بحث مستذرا للجنة العلماء عندما طالبوه بمصادرة الكتاب . وهكذا تظهر ثقافة الاديب المسلم في ردوده التي تتضمن الحجج الدامغة والاستشهاد بالآيات القرآنية .

وان كتاب " المعركة بين القديم والجديد " يضع الرافعي بين كتاب العربية ويجعله رائد الفكرة الاسلامية في عصره وفي كل العصور .

ولا غرو أن يكون الرافعي كذلك فقد تتلمذ على يد الامام محمد عبده وجمال الدين الافغانى ومحمد رشيد رضا وتشبع بأرائهم ، فهب مناظلا عن الاسلام مناظريسا خصومه ، وقد تجلى ذلك في آثاره الدينية كما رأينا .

(١) مصطفى صادق الرافعي - كاتبها عربيا ومفكرا اسلاميه د . مصطفى الشكعة



الخاتمة

مصطفى صادق الرافعي ، أديب الفكرة الاسلاميه ، والمدافع عنها
بما أوتى من قوة البيان ، واشعاع الفكر ، والحمية الدينيه ، التي أشعلها فسى
نفسه ما وصل اليه حال العصر ، والرافعي ابن بهيته وكان لها تأثير كبير عليه ،
جعله يشهر قلعه في اظهار الحقائق وأخذ يتتبعها تتبع العالم البصير ويجليها
لذوى الالباب ويؤيدها بالبرهان الساطع ، نُدحس شبهات المعتدين الاثمين
مسلمين كانوا ام غير مسلمين ، ومن ثم كانت بداية هذا البحث الحديث عن الحياه
الدينيه في عصر الرافعي وعن روافدها الثقافيه التي كانت تستمد منها مقوماتها
وتتمثل في الكتابات الاوليه ، والمعاهد الدينيه ، والمكتبات العامه وعندما أدخلت
العلوم الحديثه في التعليم أهملت العلوم الدينيه واللغه العربيه ، والازهر
كان مصدر الاشعاع الاول للعلوم ولكنه أصابه ما أصاب غيره من الخمول والركود فسى
عصر الدوله العثمانيه ، وأصبح غير قادر على أداء رسالته ، وكذلك كان للاستعمار
أثره السيء في البيئه المصريه لِأَنَّ الاستعمار لم يستعمر الاراضى فقط ، ولكنه
خطط لاستعمار الفكر واضعاف العربيه لغه القرآن ، وذلك بفتح المدارس المدنيه
والتدريس فيها باللغات الاجنبيه على حساب العربيه ، هذا بالإضافة الى ابتعاث
الطلاب الى اوربا واختلاطهم بالمجتمعات الاوربيه المتحرره من قيود الاديان -
الساويه ، ما أثر على كثير من الطلاب المبتعثين الذين عادوا يحملون مع الفكر
الاوربي بنزور الاحاد والزندقة ، ولكن أثر ذلك على العقائد الدينيه ، وبدأوا ينشرون
هذه الافكار الهدامه بين المصريين ، وكذلك كان للحملات التبشيريّه للدين المسيحي
أثرها في بلبلة العقول مما قلل من شأن الاسلام ومنزلته في نفوس المسلمين ، وقد
اجتمعت قوات ثلاث للقيام بهذه المهمه ، المبشرون ، والمستشرقون ، والمستعمرون
وقد عملت هذه القوى عملها على اوسع نطاق وانتشرت بأقنعه تخفى وراءها وجوهها
عائشه حانقه على الاسلام وكثر الجدل بين المسيحيين والمسلمين حول بعض
التعاليم الاسلاميه التي لم يدركوا أسرارها ، وقد تعرضوا للقرآن الكريم بالطعن

لإنهم يعلمون أن المسلمين ان تمسكوا بكتاب الله عصمهم من كيد المعتدي —
الناقمين منه ، والحاقد بين عليه ، وقالوا انه من تأليف محمد ، ولم يكتفوا بقولهم —
هذا ، بل تعرضوا أيضا للرسول — صلى الله عليه وسلم بالطعن في سيرته ، والتعرض
للسنة النبويه بالذس والتشكيك ، لان السنة تمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع
الاسلامى وكذلك تعرضوا أيضا لاحكام الشريعة الاسلاميه ، في زواج الرسول — صلى
الله عليه وسلم — وتعدد الزوجات تشويها لسمعه ، ولكن المسلمين الغير لم يتركوا
المستعمرين ، يشوهوا من سمعة هذا الدين ، بل وقفوا لهم بالمرصاد ، واستطاعوا
ان يردوا عليهم بالردود القويه والحجج المقنعه التى تظهر ضياء هذا الدين —
وتوضيح أحكامه ، والحكمه من التشريع الاسلامى لأمر أختارها الله لعباده ، وهو —
اعلم بما يصلحهم فيما يختاره لهم من طريق قويم يكفل لهم السعاده فى الدارين —
وهناك كتابان تظهر نور الاسلام من ناحيه ، وترد على المتحاملين عليه من ناحيه
اخرى وهى كتاب " المخططات الاستعماريه لمكافحة الاسلام " للاستاذ محمد محمود
الصواف الذى رد على مزاعمهم الكاذبه حول القرآن الكريم ، وقضية الاختلاط ، —
وتشويه معنى الجهاد ، وقيام الاسلام بالسيف ، والذس والتشكيك فى السنه ، وموقف
الاسلام من المرأة ، والمؤلف الثانى هو " مفتريات على الاسلام " للاستاذ أحمد محمد
جمال فقد رد ايضا على مزاعمهم الكاذبه حول القرآن الكريم ، والحدِيث النبوى
والتشريع الاسلامى ، والفتوحات الاسلاميه ، واهدافها ، وقد اتفق المؤلفان
فى بعض ردودهما على المستشرقين حول القرآن الكريم ، والسيره النبويه ، وقد
كررت بعض هذه الردود ، لانها تصم أهم مصدرين من مصادر التشريع الاسلامى
القرآن والسنه ، وكذلك تأكيداً لردودهما المقنعه التى تظهر ما يعلق باهم
مصدرين من مصادر التشريع الاسلامى وقد انتشرت البدع والخرافات فى المجتمعات
الاسلاميه نتيجة للجهد والخمول ، والمجتمع المصرى بصفه خاصه لان هذا الامر
هو الذى أثر فى مصطفى الرافعى وجعله يناهض المبتدعين ، وينافح عن الدين —
وكذلك قام بعض الرجال المخلصين للذود عن الدين الاسلامى ، ومن هذا المنطلق

قامت حركة الاصلاح الدينى من المسلمين الغير ، امثال الشيخ محمد بن عبد الوهاى
 ومحمد اقبال ، وجمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، وفى هذه الاجواء
 التى انتشرت فيها البدع والخرافات نهض مصطفى صادق الرافعى ، حاملا مشعل
 الاصلاح لتصحيح معنى الاسلام فى نفوس المسلمين ، اظهارا لنوره الذى تشوهه
 هذه البدع والخرافات ، والرافعى من اسرة دينية عريقة الجذور والموطن الاول -
 لهذه الاسره فى طرابلس الشام ، وانتقلت الى مصر فى اواخر القرن الماضى
 وتولت مناصب القضاء بامر من السلطان العثمانى ومن ثم نشأت
 التعليميه فى مصر ، وكان لأسرته الدينيه أثر كبير فى اثره بعلوم الدين
 التى كانت تمثل جانبا هاما فى أدبه ، وقد كانت بداية هيبته بالادب
 بأنه كان شاعرا ، ثم تحول من الشعر الى الكتابه ، وكان انشاء الجامعة المصره
 سببا فى تاليفه " تاريخ آداب العرب " وعند اظهاره لهذا الكتاب واستحسان
 الادباء له ، واستقباله بالثناء المحمود ، جعل الرافعى يتحول من الشعر الى
 الكتابه ، واصبح ناثرا ، وقد كان لاسسه خصومات كثيرة مع بعض ادباء عصره
 مثل طه حسين ، وعباس العقاد ، حيث انه قد تعرض بالنقد لاكثر الادباء ، وكان
 حديد اللسان ، وله معارك طاحنه كان له فيها بأس شديد .

وللرافعى اثار علميه واثار أدبيه تتضمنها مؤلفاته التى تشتمل على الموضوعات
 المختلفه ، وتظهر دوره كأديب استطاع ان يخلص النشر من قيوده التى فرضها العصر
 من السجع والمحسنات اللفظيه والحلى والزخارف ، وكانت هذه الفترة تمثل الادب فى
 حالة من الضعف والركاكة اللفظيه ، وتوجد أمثلة على ذلك ، ولكن النشر
 لم يبق على هذه الحالة لان هناك عوامل ساعدت على تحرره من هذه القيود الثقيله
 وأثر ذلك فى تطور الاساليب النشريه وتحررها من قيود الصنعة والتكلف ، وتوجه
 الأدباء الى منزعين مختلفين ، منزع الاسلوب المرسل ، ومنزع الاسلوب المسجوع
 وكان الرافعى يمثل مدرسة الطائفة الاولى فى الاسلوب المرسل الى حد كبير فى
 كتاباته ، وادباء الجيل يشهدون للرافعى بمكانة مرموقة بين ادباء جيله (وأقوالهم

تشهد بذلك ، وما هذه الاقوال الا من باب التكريم ، أما اعمال الرافعى فهى تعلن عن نفسها فى جلاء ووضوح ، وتبرهن عن مكانة كاتبها التى تشهد له بالفضل الذى يستحق التمجيد ، وقد كان أدب الرافعى يتمثل فى موضوعات شتى اسلاميه واجتماعيه ، واخلاقية ، ووصفيه . ، ووجدانيه ، وقصصيه ، والامثلة الموجودة تبرز هذه الجوانب ، كشواهد للنواحي المختلفة التى يتميز بها أدب الرافعى — من حيث الاسلوب الفلسفى العميق والاستدلال المنطقى ، ومن حيث الصور البيانية كالتشبيهات البارعة التى تزيد المعنى وضوحا والا استعارات والجناس والطباق والكتابه وكذلك بعض الامثلة على اقتباس الرافعى من القرآن والحديث النبوى الذى ضمنه اسلوبه ، وكذلك اللون الجديد لذى امتاز به الرافعى فى اسلوب التهمك والسخرية التى اجراها على لسان كليله ودمنه فى سخريته من طه حسين وكان هذا الاسلوب على غرار " الرمزية " اما من حيث موضوعاته فى الاصلاح الدينى فان بعضها يشير الى الموضوعات الاتيمه :-

الاشراق الالهى وفلسفة الاسلام ، وفلسفة المغازى والفتوحات الاسلاميه والرافعى والاحداث الاسلاميه الكبرى " فوق الآدميه " الاسراء والمعراج وحقيقة المسلم ، ووحى الهجره ، وسمو الفقر فى المصلح الاجتماعى الاكبر ، والانسانيه العليا والله اكبر ، وقرآن الفجره ، وفلسفة الصيام ، واصلاح الازهر ، وأيهما المسلمون ، والمرأة والميراث ، وحجاب المرأة المسلمه ، والزواج بالاجنبيات ومدى خطورته على الاقطاء فى :مقالة (الاجنبية " ولحوم البحر .

وهناك شواهد من هذه المقالات على أدب الرافعى لا عطاء صورة موجزه عن بعض المقالات الاسلاميه الرافعية ، التى تمثل مقاله الاسلاميه ، والبراعه الرافعية فى اظهار هذا الجانب بالصوره المشرقة ، والحروف المضيئه التى سجلت بلا ريب أدبا يستحق التقدير والاهتمام بمدى لا ينضب معينه من افكار جديده وموضوعات متنوعه ، تمثل أدب الفكره ، ومن ثم كان رائدها وزعيمها بما أوتى من عبقرية فذه وفكر ناضح وبما يحمله فى نفسه من نبضات حيه ، وروح مشرقه وللرافعى

كتاب " اعجاز القرآن والبلاغة النبوية " وقد أورد الرافعي فصولا في اعجاز القرآن تحدث فيها عن القرآن الكريم ومدى فصاحته وهدايته للبشر، وما الى ذلك من موضوعات مختلفة في الحديث عن القرآن من حيث آدابه ، وصلته بالعلوم وحقيقة اعجازه ، ونظمه ، ثم انتقل الى الحديث عن " البلاغة النبوية " هذه البلاغة الانسانية التي حيرت العقول بما أوتيت من اجتماع في الكلام وقلته ونفي الشعر عنه - صلى الله عليه وسلم - وتأثير هذه اللغة بالشقيق من الالفاظ التي لم تسمع من احد قبله من العرب .

وللرافعي أيضا كتاب " تحت راية القرآن " المعركة بين الجديد والقديم وقد خاض هذه المعركة في قوة وصلابه مع دعاة الجديد الذين ينادون بترك الفصحى الى العامية ، فوقف لهم بالمرصاد بما أوتي من سلاح الفكر والبيان ، ومن أشهر المعارك معركة مع طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي " الذي رد فيه عليه لأنه تعرض للقرآن الكريم وللشعر الجاهلي بالتشكيك في نصوصه ، وما كان ممن الرافعي الا أن تناول الجوانب التي تحدث فيها بالرد المقنع ، والبراهين الساطعة ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ألّب عليه طائفة العلماء وأقام عليه ثورة عنيفة أهاجت رجال الدين وشيوخ الأزهر ، واستطاع أن يتغلب على خصمه لان خصمه تعرض للمقدسات الاسلامية بالطعن ، هزلت به القدم وتلك قاصه الظهر .

وبذلك تمكن مصطفى الرافعي من الانتصار على خصومه ، في هذه المعركة وكان انتصارا مؤزرا بتأييد من الله لعباده المخلصين الذين أوتوا اسلحة فتاكه لكل تائل يريد النيل من الاسلام من أبناء المسلمين الخافلين ، او من اعدائه الكافرين ، وكانت ارادة السماء أن منحت الرافعي القوة الصارمه في القضاء على كل كيد للاسلام وهذا ليس غريبا على ~~فخري~~ الاسلاميه القويه وعلى اعتداده بنفسه وطموحه الكبير الذي لا يقبل صفار الامور وانما يسعى للامجاد والعلی .

وهكذا كان الرافعي نورا وهاجا في سماء الفكر الادبي الاسلامي ، ومصدر خير لهذا الادب بما حققه فيه من روعة البيان والتبيان متضمنا المثل الاعلى للكشف

عن الفضائل الاسلاميه التي لا تقتصر جوهرها بل كلما بحث الباحثون في كل
عصر ، وجدوا سعادة الانسانيه التي تنشدها في دينها الخالد ، هذا اللون
الجهيد من الادب الرافعي هو الذي أظهر وأبان أديبا اسلاميا للنفس الانسانية
التي تطمح في العزه والسمو الروحي ، فالاشراق سيكون بلا انقطاع في نفس المؤمن
اذا تجوهر بالايمان ، وتمسك بدينه فالسلام ينبع من ذاته في هذا العالم المضطرب
الذي اصبحت فيه الماديات تغلب على الروحانيات وقد استطاع الرافعي ان ينجح
في كفاحه وان يقطف ثمار هذا الكفاح في حياته . وفي سائه لان مثل هذه -
النفوس لا تموت ، طالما أنها تركت علما نافعا وراءها انها حية بتراتها الخالد
وافكارها القيمه التي تدرس ، وتبقى امثالا يحتذى بها في عالم المعرفة

الفهارس العامة

فقير الله

= ٢٧٦ =

(أ)

ابراهيم (حافظ) ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٨

ابراهيم عليه السلام - ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٦ - ٢٥٧

٢٥٧

ابراهيم (محمد هلال) ٥٧

أتاتورك (مصطفى كمال) ٧٣ ، ١٣٣

ارسلان (شكيب) ٥٧ - ٦٣ - ٧١ - ٢٦٦

اسماعيل عليه السلام - ٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥٦

الاشعري (أبو موسى) ٢٠١

الأصفهاني (أبو الفرج) ٦٦ ، ١٠٧

الأفغاني (جمال الدين) ٤١ - ٢٤٠ - ٢٦٦ - ٢٧٠

اقبال (محمد) ٤١ - ٤٤ - ٤٦ - ٤٧ - ٢٧٠

أمين (أحمد) (٢ هـ)

أمين (قاسم) ٢٤

أنطون (فرح) ٦٦

(ب)

البارودي (علي يوسف) ٢٤٠

البارودي (محمود سامي) ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦

باشا (محمد محب) ٦٢

باشا (محمد نجيب) ٧٤

البخاري ٣١

السبدي (مصطفى نعمان) (٦٧ هـ)

الابراشي (زكس) ٧٥

البيستاني ٥٥

البشري (عبد العزيز) (٢ هـ)

البكري (توفيق) ٥٧ - ٦٨

بمجت (أحمد) (١٣٨ هـ)

البيهي (محمد) (٤١ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ هـ)

(ت)

التميمي (سجاع) ٢٢١

(ث)

ثابت (حسان) ٢٢٤

ثابت (زيد) ١٩٨ - ٢٠٨

(ج)

الجاحظ - ٦٦ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١٣٤

الجارم (علي) - (٢ هـ)

جبريل - ١٤٩

بن جبل (ممان) ١٩٨

جمال (احمد محمد) (١٠ هـ - ١٥ هـ - ١٧ هـ) - ٢٩ - ٣٠ -

(٣١ هـ - ٣٢ هـ) - ٣٤ - ٣٦ (٣٧ - ٣٨ - ٣٩ هـ) - ٢٦٩ -

جمعه (محمد لطفى) ٢٦٦

الجناحى (الشيخ على) ٩١ - ١١٣ - ١٣٢

الجندى (أنور) ٢٣١ ، (٢٣٢ هـ)

الجندى (درويش) ١٣٢ هـ - ١٣٣ هـ)

(ح)

بن الحارث (النضر) ٢٢١

حداك (أمين) ٥٧

حسين (طه) ٦٢ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٠ - ١٣٢ -

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - (٢٣٢ هـ) - ٢٣٥ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ = ٢٤٤ = ٣٣٢ ٣٣٣

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٣٥٢

٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١

٢٧٢ - ٢٧١

حسين (محمد الخضر) ٢٤٦ - ٢٦٦

حسين (محمد محمد) (٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٤ هـ)

الحسينى (أبى يعلى حمزه) ١٩٩

بن حكيم (هشام) ٢٠٠

جنفى (ابراهيم) ٥٧

الخورانى (ابراهيم) ١٠١

= ٢٧٩ =

(خ)

الخضري (محمد) ٢٢٦

بن الخطاب (زيد) ٤٢

بن الخطاب (عمر) ٤٩ - ٥١ = ١٥٢ - ١٩٣ - ٢٠٠

خفاجي (عبد المنعم) ١٠٦

خويلد (خديجة) ١٥٢

(د)

ابو الدرداء ٢٠١

الدسوقي (عمر) (١٠٣ هـ - ١٠٤ هـ) ١١٠

الدقاق (عمر) (١١١ هـ)

ديكارت ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٥٦

(ر)

الرافعي (سعيد) ٥٠

الرافعي (عبد الرزاق) ٥٠

الرافعي (عبد القادر) ٤٩

الرافعي (محمد الطاهر) ٤٩

الرافعي (مصطفى صادق)

٤٠ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٩ - ٦٠ -

٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -

تكلمة الرافعى (مصطفى صادق) ٧٥ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢
٨٣ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧
٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -
١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ -
١١٨ - ١١٩ (١٢٠ هـ) - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ -
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - (١٣٠ هـ) - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٤ -
١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - (١٤٣ هـ) - ١٤٤ -
١٤٥ - ١٤٧ - (١٤٨ هـ) - ١٥١ - ١٥١ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - (١٥٤ هـ) -
١٥٥ - ١٥٧ - (١٥٨ هـ) - ١٦٠ - (١٦١ هـ) - ١٦١ - ١٦٣ - (١٦٤ هـ) -
١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - (١٧٥ هـ) -
١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - (١٨٠ هـ) - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ -
١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ -
١٩٤ - (١٩٥ هـ) - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - (١٩٩ هـ) - ٢٠٠ - ٢٠١ -
٢٠٢ - ٢٠٣ - (٢٠٤ هـ) - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -
٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - (٢١٤ هـ) - ٢١٥ - ٢١٦ -
٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -
(٢٢٦ هـ) - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -
٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ -
٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ -
٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ -
٢٧٣ -

الراوندى ٢٢١

الراوى (حارث طه) ١٠٨

بن رباح (بلال) ١٥٢

رزق (نقولا) ٥٢

رضا (محمد رشيد) ٢٦٦

بن مرواحه (عبد الله) ٢٢٤

ابوريسه (محمود) (١٨٧ هـ)

(ز)

الزيات (أحمد حسن) (٣ هـ) (١٠١ هـ)

زيادة (صي) ٩٨ - ٩٩

بن زيد (أسامه) ٣٥

زيدان (جرجسي) (٤ ، ٥ هـ)

زيدان (جورج) (٥٥ ، ٦١ هـ)

فريهر (جوليد) ٣١

(س)

الاسدي (طلحه) ٢٢١

سرگيس (سليم) ٥٥

السطوحى (عبد الستار) (١٦٥ هـ)

بن سعود (محمد) ٤٣

سعيد (أمين) (٤٣ هـ)

أبى سفيان ٢٦٥

الاسكندر (احمد) (٢ هـ)

= ٢٨٢ =

سلامه (جرجس) (٥٦)

السيد (احمد لطفى) ٦٢ - ٢٣٥

(ش)

شرف الدين (صدر الدين) ١١٠

الشكعه (مصطفى) (١٧١ - ٢٣٥ - ٢٣٦ هـ)

شوقى ٧٦

(ص)

صبرى ٥٧

الصديق (أبوبكر) - ٣٥ - ١٥٢ - ١٩٣ - ٢٢٣

صروفى ٥٥

الصلت (أميه) ٢٤٢

الصوف (محمد محمود) ١٤ - ١٧ - (٢٠ هـ) - ٢٢ - ٢٣ (٢٤ هـ)

٢٥ - ٢٧ - ٢٦٩

(ض)

ضيف (أحمد) (٢ هـ)

ضيف (شوقى) (١٠٣ هـ)

= ٢٨٣ =

(ط)

أبي طالب (علي) ١٥٢ - ١٥٤ - ١٩٨ - ٢٠١

الطوسي ٥٠

ابن طولون ٢٣٠

طه (علي محمود) ٨٣

(ظ)

الظاهري (ابراهيم) ٥

(ع)

بن العاص (عمرو) ١٤٢

ابن عباس ٢٠٢

الخدوي (عباس) ٤٩

عبد الوهاب (سليمان) ٤٢

بن عبد الوهاب (محمد) ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٢٧٠

العبد (امام) ٥٧

عده (محمد) ٣ - ٤١ = ٩٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ٢٤٠ - ٢٦٦ -

٢٧٠

العربي ٥٧

عرفه (محمد احمد) ٢٦٦

الغريسان (سعيد) (٥٠ - ٥٣ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦)
٦٧ (هـ) (٦٩ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٤ - ٨٧)
٩٠ (هـ) (٩١ - ٩٣ - ٩٦ (هـ) - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ (هـ))
١٠٧ - (١٠٨ هـ) - ١١٠ -

عطوه (ابراهيم) (١٣١ هـ) .

بن عفان (عثمان) (٢٠١)

عفيق (عبد الله) (٦٨ - ٧٥ - ٧٦)

العقار (عامر) (٧٨ هـ)

العقاد (عباس محمود) (٢١ هـ) (٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٣ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٢ - ١٠٠ - ١١٠) (٢٧٠)

عسون (داود) (٥٧)

على (محمد) (٤)

العنسى (الاسود) (٢٢١)

(غ)

الغمراوي (محمد احمد) (٢٦٦)

(ف)

فضلى (عباس) (٧١ - ٢٦٦)

فكرى (عبد الله) (١٠٥)

الطك فؤاد (٦٣ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٤)

الفصيل (عبد الرحمن) (٤٣ هـ)

(ق)

القاضي الغاضل ١٣٤ - ٢٣٨

القاياتي (حسن) ٨٢

قربان (داود) ١٠٢

(ك)

الكاشف ٥٧

الكاظمي (عبد المحسن) ٥٤ - ٥٥ - ٥٧

كريم (سامح) (٥٧٧) (٢٢٩ هـ)

كسرى ٣٥

بن كعب (أبي) ١٩٨ - ٢٠١

الكندي (وائل بن حجر) ٢٢٥

الكواكبي ١٠٥

كيلاني (محمد سيد) ٦٩ (٥٧٠ هـ)

بن كعب

(م)

بن ماجه (الحافظ بن أبي عبد الله محمد) (٢٦٣ هـ)

المازني ٨٣

بن مالك (كعب) ٢٢١

مبارك (زكي) ٦٨ - ٧٢

الامباني ٣

الاسدي ٢٢١

محرم ٥٧

محمد (صلى الله عليه وسلم) ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٢ - ٣٥
٣٧ - ٣٨ - ٣١ - ٤٦ - ١٣١ - ١٣٨ - ١٣١ - ١٣١ - ١٤١ - ١٤٧ - ١٤٨ -
١٥٠ - ١٥٢ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦١ - ١٦١ - ١٩٣ - ١٩٨ -
٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٧ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -
٢٢٧ - ٢٤٤ - ٢٤٨ - ٢٥٢ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٦٣ -
٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٩

محمد بن عيسى (أبى عيسى) (١٣١ هـ)

محمود (على عبد الحلیم) (٢٠٥ هـ)

مخلفوف (حسنين) (١٠٩ هـ)

مرزوق (عبد الصبور) (٨ هـ)

بن مسعود (عبد الله) ١٩٨ ، ٢٠١

بن المسيب (سعيد) ٩٥

مسيلة الكذاب ٢٢١

المصرى ٢٢١

مطران ٥٧

مظهر (اسماعيل) ٨٠

المقدسى (أنيس) (١٠١ - ١٠٢ - ١١١ - ١٣٤ هـ)

ابن المقفع ٧٣ - ١٠٤ - ١٠٧ - ١٣٤ - ٢٢١

نبتة المقوقس (أرماتوسسة) ١٤٢

المنظوطى (مصطفى) ٥٧ - ٦٨ - ١٠٤

موسى (سلامه) ١٨٢ - ١٨٤ - ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥

المويلحى ٥٥ - ٥٦ - ١٠٢ - ١٠٥ - ٢٤٠

= ٢٨٧ =

الميداني (عبد الرحمن حنيفة) (١٣ هـ)

(ن)

ناصر (حفيظ) ٧٠ - ١٠٢ - ١٠٥

النجمي (محمد) ٥٧

ابن النديم ١٩٨

نسيم ٥٧

نشأت (كمال) ١٠٩

(و)

واصف (محمود) ٥٧

وجدي (محمد فريد) ٢٦٦

(ي)

اليازحي (ابراهيم) ٥٥ - ٥٦ - ٦٦

اليازحي (ناصر) ١٠١

(هـ)

هرقل ٣٥

الهنداوي (١١١ هـ)

هوار ٢٦٠

هوجو (فيكتور) ٦٦

هيكل (محمد حسين) ٢٣٥

قائمة

للصاوير و التجميع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
(١) الاتجاهات الوطنية فسي الأدب العربي المعاصر	محمد محمد حسين	الطبعة الثالثة	دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير ، الاستشراق بالاستعمار	عبد الرحمن حنينك الميداني	الطبعة الاولى	دار القلم = دمشق سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م بيروت
(٣) الأدب الجاهلي	طه حسين	الطبعة العاشرة	دار المعارف مصر .
(٤) الادب المعاصر في مصر .	شوقي خريف	الطبعة الخامسة	دار المعارف بمصر
(٥) اعجاز القرآن والبلاغ النبوي	مصطفى صادق الرافعي	الطبعة التاسعة	دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م لبنان
(٦) أغاريد الرافعي	مصطفى نعمان البدرى	—	وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر العراق .
(٧) أنبياء الله	احمد بهجت	الطبعة الثالثة	دار الشرق القاهرة - بيروت سنة ١٩٧٥ م
(٨) أوراق السورد	مصطفى الرافعي	الطبعة الثامنة	المكتبة التجارية سنة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٧ م

اسم الكتاب اسم المؤلف المحقق الطبعة دار النشر

(ب)

٩) البيان والتبيين الجاحظ تحقيق حسن الصندوقى عبد السلام هارون

(ت)

١٠) تاريخ الأدب العربي احمد حسن الزيات - الطبعة الخامسة دار نهضة
والمشرون مصر للطبع والنشر الفجالة
القاهرة

دار الهلال

١١) تاريخ آداب اللغة العربية جرجس زيدان

الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي

١٢) تاريخ آداب العرب مصطفى الرافعى

١٣٩٤ هـ بيروت لبنان
٢١٩٧٤

١٣) تاريخ التعليم الايجنبى جرجس سلامه

المجلس الاعلى
لرعاية الفنون
والاداب والعلوم
الاجتماعية نشر
الرسائل الجامعية

فى مصر فى القرنين التاسع
عشر والعشرين

المجلد الاول دار الكاتب

١٤) تاريخ الدولة للسعوديه أمين سعيد

سنة ١١٥٨

١٣٠٧

الطبعة دار الكتاب

١٥) تحت رآيه القرآن مصطفى الرافعى

السابعة العربية

المعركة بين القديم

سنة ١٣٩٤ بيروت لبنان

والجديد .

١٩٧٤ م

الطبعة السادسة دار العلم

١٦) تطور الاساليب النثرية أنيس المقدسى

١٩٧٩ م للملايين بيروت

فى الادب العربي

اسم الكتاب اسم المؤلف الطبعة دار النشر

(ج)

١٧- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى
لا بسى عيسى محمد بن عيسى بن سوره تحقيق
المجلد الرابع ابراهيم عطو

١٨- الجانب الاسلامى فى ادب مصطفى الرافعى .
عبد الستار السطوحى الطبعة الاولى
مكتبة الثقافة - قطر ١٣٩١ هـ
دار الفكر - بيروت م ١٩٧١

(ح)

١٩- حديث القمر مصطفى الرافعى
دار الكتاب العربى بيروت - لبنان الطبعة السابعة
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

٢٠- حقائق الاسلام وابطال خصومه
عباس العقاد الطبعة الثالثه
دار الكتاب العربى للنشر - بيروت ١٣٨٦ هـ -
م ١٩٦٦

٢١- حياة الرافعى سعيد العريان
مطبعة الاستقاء بالقاهره الطبعة الثالثه
١٣٧٥ هـ - م ١٩٥٥

(د)

٢٢- دراسات فى الادب العربى تلخيص
محمد عبد المنعم خفاجى مكتبة الزهر
وتدريسه .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
------------	------------	--------	-----------

(ر)

٢٣- رسائل الاحزان	مصطفى الرافعى		دارالكتاب العربى بيروت، لبنان
٢٤- رسائل الرافعى	جمع وترتيب محمود ابوريسه .	القاهرة . ١٩٥٠م	
٢٥- الرمزه فى الادب العربى .	درويش الجندى		دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة

(س)

٢٦- ساعات بين الكتب	عباس العقاد	١٩٢٩م	منشورات المكتبة العصرى - بيروت صيدا .
٢٧- السحاب الاحمر	مصطفى الرافعى	١٣٩٤ - ١٩٢٤م	دار الكتاب العربى بيروت - لبنان

(ط)

٢٨- طه حسين حياء وفكره فى ميزان الاسلام	انور الجندي	الطبعة الاولى ١٣٩٦-١٩٢٦م	دار الاعتصام
٢٩- طه حسين الشاعر الكاتب	محمد سيد كيلانى	الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣م	

اسم الكتاب اسم المؤلف الطبعة دار النشر

(ع)

- ٣٠- عبقرية محمد عباس العقاد الطبعة الثانية دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان ١٩٦٩ م
- ٣١- العقاد في معاركه
الادبية والفكرية سامح كريم الطبعة الاولى دار القلم - بيروت
لبنان ١٩٨٠ م
- ٣٢- على السفود مصطفى الرافعي — دار العصور للطبع
والنشر

(خ)

- ٣٣- الغزو الفكري اعدائه د. عبد الصبور مرزوق
ووسائله مؤسسة مكة للطباعة
والاعلام .
- ٣٤- الفكر الاسلامي الحديث د. محمد البهي
الحديث وصلته
بالاستعمار العربي دار الفكر بيروت
لبنان الطبعة السادسة
١٩٧٣ م
- ٣٥- الفنون الادبية واعلامها أنيس المقدسي
في النهضة العربية
الحديثه . دار العلم للملايين
بيروت الطبعة الثانية
١٩٨٧ م
- ٣٦- في الادب العربي
الحديث عمر الدسوقي الطبعة السابعة
١٩٧٠ م دار الفكر العربي

(ك)

- ٣٧- كتاب الهلال حسنين مخلوف — دار الهلال
مصطفى الرافعي
حياة وأدبه

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
(م)			
٣٨- لمحات من حياة العقاد المجهوله	عامر العقاد	الطبعة الاولى ١٩٦٨ م	دار الكتاب العربي
٣٩- ما يقال عن الاسلام	عباس العقاد	الطبعة الثانيه ١٩٦٦ م	دار الكتاب العربي بيروت - لبنان
٤٠- المخططات الاستعماريه لمكافحه الاسلام	محمد محمود الصواف	—	مكتبات الدار السموده للنشر
٤١- المختار من أدب الرافعي	صدرالدين شرفالدين	—	دار الكتاب العربي
٤٢- المساكين	مصطفى الرافعي	الطبعة السابعة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ م بمصر	المكتبة التجاريه الكبرى
٤٣- مستقبل الثقافه في مصر	طه حسين	—	مطبعة المعارف - ومكتبتها بمصر
٤٤- مصطفى الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً اسلامياً	مصطفى الشكعه	الطبعة الثانيه ١٣٧٨هـ	عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبى القاهره
٤٥- معارك طه حسين الادبيه والفكرية	سامح كريم	—	دار القلم بيروت ، لبنان
٤٦- مع الرافعي الكتاب ومستخرج من حوليات كلية العلوم	عمر الدسوقي	العام الجامعي ١٩٦٨-١٩٦٩ م	—
٤٧- مقترحات على الاسلام	احمد محمد جمال	الطبعة الثانيه ١٩٧٢ م - ١٣٩٣هـ	دار الفكر بيروت

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
٤٨- المفصل في تاريخ الادب احمد الاسكندري	احمد أمين على الجارم عبد العزيز البشري احمد ضيف	١٣٥٢ هـ ١٩٣٤ م	لجنة التأليف والترجمة والنشر
٤٩- المقتبس من وحى القلم	خليل الهنداوي عمر الدقاق مصطفى الرافعي	—	دار القلم الكويت دار الشرق بيروت
٥٠- الموسوعة الميسرة	باشراف شفيق غربال	الطبعة الثانية	مؤسسة فرانكفين

(ن)

٥١- نحو أدب اسلامي	د . علي عبد الحلیم محمود	—	جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه البحوث والدراسات
٥٢- نشأة النشر الحديث وتطوره	عمر الدسوقي	—	دار الفكر العربي
٥٣- نقش كتاب في الشعر الجاهلي .	محمد الخضر حسين	—	المكتبة العلميه بيروت ، لبنان

(و)

٥٤- وحى القلم	مصطفى الرافعي	—	دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان
---------------	---------------	---	------------------------------------

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

=====

- (أ) المقدمة : امداف البحث ، منهج البحث ، المحاولات السابقة فى الموضوع .

الباب الأول

- ١ الحياة الدينية فى عصر الرافعى

- (٢ - ٧) الفصل الأول : العناية بالعلوم الحديثه واعمال العلوم الدينيه

- ٢ الكتابيب الأوليه

- ٣ المعاهد الدينيه وعلى رأسها الأزهر

- ٤ المكتبات العامه

- ٦ التعليم الأجنبى فى مصر

اممال الكاتيب الاوليه وأثر ذلك

- ٦ فى القنماء على اعمم المراكز لتحفيظ القرآن

- (٨ - ١٠) الفصل الثانى : الفز والفكرى

- ٨ أ - معنى الفز والفكرى وامدافه

ب - طلاب البعثات العلميه واختلاطهم فى

المجتمعات الاوربيه بالمقلبات العقلانيه

- ٩ المتحرره من قيود الاديان السماويه

- (١١ - ٣٩) الفصل الثالث : التعصب الدينى :

- ١١ أ - الحملات التبشيريه للدين المسيحى

وأثرهما فى بليله العقول .

- ١٣ ب - الطعن على الاسلام وكثرة الجدل بين

المسيحين والمسلمين .

- ١٥ شبهات حول الدين
- ١٦ ما قالوه عن القرآن
- ١٧ ما قالوه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
- ١٨ الدس والتشكيك في السنه
- ١٩ تشويه الاعداء لموقف الاسلام من المرأة
- موقف الصوفاء من هؤلاء في كتابه (المخططات
- ٢١ الاستعماريه لمكافحة الاسلام)
- ٢٢ مساويء الاختلاط بين الفتيان والفتيات في المجتمع
- ٢٤ تشويه معنى الجهاد وقيام الاسلام بالسيف
- المؤلفات الدينيه التي تظهر نورا لاسلام
- ٢٨ وتناغم المتحاملين عليه " مفتريات على الاسلام "
- ٣٠ الحديث النبوي في نظر المستشرقين
- ٣١ الافتتاح الاسلاميه أسبابها
- ٣٤ واهدافها
- ٣٦ بعض المطاعن التي تعرض لها المستشرقون على الاسلام
- ٣٧ زواج النبي (صلى الله عليه وسلم)
- ٣٨ مزاعمهم أن الطلاق في الاسلام قسوة وظلم للمرأة

(٤٧-٤٠)

الفصل الرابع: التقاليد الموروثة

- ٤٠ انتشار البدع والخرافات
- ٤١ الاصلاح الديني
- ٤٢ الاصلاح الديني في نجد
- ٤٤ محمد اقبال وحركته الاصلاحية

الباب الثاني

٤٨

حياة الرافعي

(٤٩ - ٨٧)

الفصل الأول : أسره ومولده

الفصل الثاني : نشأه التعليميه وثقافته الخاصه (دينية ومدنية)

٥١

وأثرهما في تكوين شخصيته الاسلاميه المجامدة

٥٤

شيوخه في الادب

٥٥

شاعر الحسن

٥٨

الرافعي وشعراء عصره

٦٠

الرافعي وافاني الشعب

٦١

من الشعر الى الكتابة

انشاء الجامعة المصريه

٦٢

وتاريخ آداب العرب

٦٨

الرافعي والنقد

٦٩

بين الرافعي وطه

٧٢

الرافعي وكتيبه ودهمه

٧٤

الرافعي شاعر الطاء

٧٥

الرافعي وعبدالله غفيفي

٧٧

بين الرافعي والعقاد

٨٢

فترة جمـام

٨٥

كيف كان يكتب

٨٦

نقله اجتماعية

٨٧

وفاته

الباب الثالث

٨٨

أدب الرافعي

(٨٩ - ٩٠)

الفصل الأول : آثاره العلمية

٨٩

تاريخ آداب العرب

٩٠

تحت راية القرآن

(٩١ - ١٠٠)

الفصل الثاني : آثاره الأدبية

٩١

المساكين

٩٢

وحي القلم

٩٦

حديث القمر

٩٨

رسائل الاحزان

٩٨

السحاب الاحمر

٩٩

أوراق الورد

١٠٠

ديوان الرافعي

١٠٠

ديوان النظرات

١٠٠

على السفود

الفصل الثالث : أسلوبه وخصائصه الفنية مع التمهيد له بتطور الاساليب (١٠١ - ١٣٥)

وتحررها من الصنعة اللفظية التي غلبت على الادب في

العصر العثماني .

١٠١

النثر الادبي بين عصرين

١٠٣

حركة تحرر وانطلاق

١٠٧

أسلوب الرافعي

١١١

الرافعي القصصي

١١٢

الرافعي المترسل

١٣٢

الرمزية في أدب الرافعي

المباب الرابع

١٣٦

مظاهر الاتجاه الديني في ألبان اليرافقى

(١٩٢-١٣٧)

الفصل الأول : مقالاته فى الاصلاح الدينى

١٣٧

الاشراق الالهى وفلسفة الاسلام

١٤٢

اليامتان (فى فلسفة المغازى والفتوحات الاسلامية)

١٤٧

الاسراء والمعراج

١٥٢

وحى الهجرة

١٥٥

حقيقة المسلم

١٦٠

سمو الفقر (فى المصلح الاجتماعى الاكبر)

١٦٢

الانسانية العليا

١٦٥

الله أكبر

١٦٨

قرآن الفجر

١٧٠

شهر للشورى (فلسفة الصيام)

١٧٤

تجديد الاسلام

١٧٨

فى مخنة فلسطين

١٨٢

المرأة والميراث

١٨٦

حجاب المرأة المسلمة

١٨٩

الأجنبي

١٩١

لحوم البحر

(١٩٣-٢٦٦)

الفصل الثانى : مؤلفاته الدينية

١٩٣

اعجاز القرآن والبلاغ النبوى

١٩٦

القرآن

١٩٨

تاريخ القرآن جمعه وتدوينه

٢٠٠

القراءة وطرق الاداء

٢٠٢

مفردات القرآن

٢٠٣

الجنسية العربية فى القرآن

٢٠٦

آداب القرآن

٢١٠	القرآن والعلوم
٢١٢	حقيقة الاعجاز
٢١٣	أسلوب القرآن
٢١٥	نظام القرآن
٢١٦	الحروف وأصواتها
٢١٧	الكلمات وحروفها
٢١٩	الجميل وكلماتها
٢٢٢	البلاغ النبوي
٢٢٣	اجتماع كلاء وقلته (صلى الله عليه وسلم)
٢٢٤	نفي الشعر عنه (صلى الله عليه وسلم)
٢٢٥	تأثيره في اللغة صلى الله عليه وسلم
٢٢٧	نسق البلاغ النبوي
٢٢٨	كتاب تحت راية القرآن والرد على طه حسين
٢٢٩	في كتابه " في الشعر الجاهلي " .
٢٣٦	ما هو المذهب الجديد
٢٣٨	اختلاف الرافعي مع المجددين
٢٤١	قال انما اوتيته على علم بل ممي فتنة
٢٥٦	عصبية طه حسين على الاسلام
٢٦٢	كتاب في الشعر الجاهلي (رأى لجنة العلماء فيه)
٢٦٧	الخاتمة
٢٧٤	الفهارس العامة
٢٧٥	فهرس الاعلام
٢٨٨	المصادر والمراجع
٢٩٦	فهرس الموضوعات